

1

أ.د. زينب عبد العزيز

صليبية الغرب وحضارتها



حرب صليبية بكك امقاييس

1 صليبية الغرب وحضارته

حرب صليبية بكل المقاييس

أ.د. زينب عبد العزيز

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

اسم السلسلة : صليبية الغرب وحضارته
اسم الكتاب : حرب صليبية بكل المقاييس
اسم المؤلف : أ.د. زينب عبد العزيز
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٣/١٥٦١٤
الترقيم الدولي : I.S. B. N. 977 - 5346 - 84 - 3
تصميم واخراج الغلاف : وائل سلامة
جمع إلكتروني : فور إتش ت : ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

الآراء الموجودة

بالكتاب لا تعبر

بالضرورة عن رأى الدار



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢

E-mail: daralkitab2003@yahoo.com

1

صليبية الغرب وحضارته

حرب صليبية
بكل المقاييس

إهداء

إلى الذين يحرفون الكلم ويزيفونه،
علهم يتقون...

والى الذين بيدهم تصويب الأمر،
دفاعاً عن الإسلام بالحق، علهم يفعلون...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾
(البقرة: ٧٩)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾

(آل عمران: ٧٠)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران: ٧١)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا

تَعْمَلُونَ﴾

(آل عمران: ٩٨)

تهديد

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة حول عبارة «حرب صليبية»، وتبارت أقلام كبار المسيحيين فى مصر ليمحوا عنها ارتباطها بالدين المسيحى والصليب، مستخدمين عبارة «حرب الفرنجة» بدلا عنها لأن الصليب منها برىء... وتسابقت بعدهم أقلام بعض الذين ألفوا التطوع والمواكبة، من المسلمين، لإثبات صحة ذلك التحريف الجديد، أو هذا التلاعب بالألفاظ، دون أن يتبينوا حقيقة وأبعاد هذه الحملة لتغيير الحقائق التاريخية الثابتة الممتدة عبر التاريخ..

وإلى هؤلاء وهؤلاء أقدم معنى كلمة «حرب صليبية» كما وردت فى أكبر معجم للغة الفرنسية بعنوان «كنوز اللغة الفرنسية» والمكون من ستة عشر مجلداً. ففى المجلد السادس، صفحة ٥٢٤ (وكل مجلد مكون من حوالى ١٣٠٠ صفحة) نطالع:

«حملة عسكرية كان المساهمون فيها يرتدون صليبا من القماش قد تمت حياكته على صدور ثيابهم. وهى حروب قام بها المسيحيون الأوروبيون فى القرون الوسطى لتحرير الأراضى المقدسة من أيادى المسلمين».

وفى كتاب المؤرخ الفرنسى جروسىه المعنون «ملحمة الحروب الصليبية» الصادر عام ١٩٣٩، نطالع فى صفحة ٦: «انطلقت صيحة «الرب هو الذى يريد هذه الحرب» من كل مكان فور أن أعلنها البابا أوربان الثانى بنفسه

وجعل من هذه الصيحة، صيحة التجمع العام وطلب من جنود المسيح أن يوصموا أنفسهم بعلامة الصليب. وهكذا ولدت الحروب الصليبية التي سرعان ماتم تنفيذ فكرتها لتلقى بالأمراء والجموع الغفيرة إلى أعماق الشرق» ويقول جيزو، المؤرخ الفرنسي في كتابه عن «التاريخ العام للحضارة الأوروبية» الصادر عام ١٨٢٨، صفحة ٢٦، في الدرس العاشر: «تعلمون تاريخ الحروب الصليبية التي أشعلها سيمون دي مونفور ضد الألبيجوا. لقد كانت تمثل صراع الإقطاع في الشمال ضد محاولة إقامة الديمقراطية في الجنوب (...). لقد هزمت محاولة التنظيم الجمهوري واستطاعت الحرب الصليبية أن تعيد نظام الإقطاع في جنوب فرنسا».

وفي كتاب «التواريخ الكبرى للمسيحية» الصادر عن دار نشر لاروس وتحت إشراف فرانسوا لوبران، سنة ١٩٨٩، نطالع أمام سنة ١٠٩٥: «في شهر نوفمبر، وبعد أن أعلن البابا أوربان الثاني أنه يفضل المحاولات السلمية، راح وأعلن الحرب الصليبية!»

وفي «قاموس اللاهوت» الصادر عام ١٩٩٨ عن دار نشر المطابع الجامعية الفرنسية، وتحت إشراف جان إيف لاکوست: «دعى البابا أوربان الثاني إلى تحرير الأراضي المقدسة من عبودية الكفرة. وأيا كانت انحرافات هذه الحروب الصليبية فقد حاولوا وصفها بطابع الحج الجماعي»!

أما «القاموس التاريخي للبابوية» الصادر عام ١٩٩٤ عن دار نشر فايار وتحت إشراف فيليب لوفيلان، فنطالع تحت كلمة «الحروب الصليبية»: «إنها بمثابة الصلة بين عادة الحج إلى الأماكن المقدسة، والتي نجمت عنها فكرة الحروب الصليبية. وكان البابا أوربان الثاني هو أول من أعلنها عقب مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ إلا أنه كانت هناك محاولات سابقة من جانب البابوية للإعداد لها. ففي عام ١٠٦٣، ولأول مرة، قام البابا إسكندر الثاني بمنح الجنود المسيحيين الذين كانوا يحاربون المسلمين في إسبانيا مغفرته لهم من

الذنوب التي اقترفوها في دنياهم. ومع البابا جريجوار السابع وعبارة «جنود المسيح»، أصبحت الحرب المقدسة موضوعا رئيسيا في السياسة البابوية، فبعد الهزيمة المأساوية التي عاشها البيزنطيون في معركة مانزكيرت عام ١٠٧١، وعد البابا الذين سيضحون بحياتهم من أجل إخوانهم المسيحيين في الشرق جائزة أبدية لدفاعهم عن العقيدة المسيحية (...). ويمثل نداء البابا أوربان الثاني ملمحا جديدا، فلأول مرة يقوم البابا بإعلان حرب مقدسة باسم المسيح (...).

وفي القرن الثاني عشر ستجاهد البابوية لإضفاء قاعدة قانونية لاهوتية متينة للحرب الصليبية. وبعد الخطاب البابوي الصادر في أول ديسمبر ١١٤٥ بعنوان «كم من سابق لنا» (فالخطاب البابوي يعنون بأولى كلماته)، من البابا أوچين الثالث والذي يحث فيه المسيحية الغربية على الانتقال من سقوط أديسة، سيصبح، من حيث الشكل والمضمون، النموذج المثالي لكل القرارات البابوية المتعلقة بالحروب الصليبية التالية. فالبابا يطالب بحقه المتفرد في قيادة الحملات الصليبية وتوجيهها باسم تراث الكنيسة وباسم مبادرات سابقة. ولأول مرة تتم صياغة الامتيازات الممنوحة للمحاربين الصليبيين. فعلى المستوى المادى ستقوم الكنيسة بفرض حمايتها على ممتلكات وأسر الصليبيين، وأمرت بتأجيل تسديد ديونهم وإلغاء دفع الفوائد المتراكمة عليهم طوال مشاركتهم في هذه الحروب. وعلى المستوى الروحى، أعلن البابا أوچين الثالث تطبيق نظام «أموال الاستحقاق»، واعداد بإلغاء العقوبات الدنيوية المفروضة عليهم نتيجة أخطائهم؛ وأن من يتطوع بالتجنيد في الجيوش الصليبية ويبدى إسهاما صادقا سيُعفى من العقاب الذى تفرضه الكنيسة على المخطئين. وزايد القديس برنار على ذلك بأنه حوّل الحرب الصليبية إلى مشروع مقام من أجل الحصول على الخلاص، وبالتالي تم محو الهدف الأسمى الذى كانت تمثله الأرض المقدسة لصالح عملية إعداد تؤدي إلى إعادة المخطئ إلى العفو الإلهى. الأمر الذى أدى إلى

تعرض مفهوم الحروب الصليبية إلى انحراف متعدد الجوانب بتشجيع العسكريين والزعماء والحكام على خوضها بدلا من العامة.

ويمتد المقال على ست صفحات من القطع الكبير والبنط الصغير، لم نأخذ منه سوى أولى فقراته لنوضح بالمستندات الرسمية الكنسية كيف أن التعصب الكنسى هو الذى أطلق عنان الحروب الصليبية وأوجد دوافعها وتولى قيادتها والإعداد لها والتشجيع عليها بكل الوسائل.. بل سرعان ما «فاضت الحروب الصليبية وتعدت الأراضى الإيطالية لتمتد إلى بلاد البلقان والإمبراطورية البيزنطية بمساندة البابوية».

ومن الغريب أن يعيد التاريخ نفسه، فكما يحاول البابا يوحنا بولس الثانى توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما للتصدى للمد الإسلامى، كما حاول رفاقه السابقون القيام بنفس المخطط والمطالبة بتوحيد الكنائس وضمها للحروب الصليبية. وليس تاريخ تلك الحروب هو ما يعنينا هنا، وإنما كل ما حاولنا تحديده والتأكيد عليه هو أن هذه الحروب أعلنتها الكنيسة وأطلقت على من يخوضونها «جنود الرب» أو «جنود المسيح» وأنها قامت بأمر من يسوع، وقد أمر البابا أوربان الثانى كل المشاركين فيها أن يقوموا بحياكة صليب ضخم على قمصانهم الحربية من الأمام والخلف. وهو نفس ما نطالعه فى الموسوعة العلمانية الفرنسية المعروفة باسم «أونيفرساليس» وتقع فى أربعة وعشرين مجلداً.

ففى المجلد السادس منها، وعلى مساحة سبع صفحات ونصف، كتب جان ريشار قائلا: «الحروب الصليبية هى: حملات حربية قامت الكنيسة بتنظيمها لتحرير الأرض المقدسة. وترجع أصول الحروب الصليبية إلى الكتابات الكنسية للقرن التاسع التى رفعت فكرة مقاتلة الكفرة (المسلمين) إلى درجة التقديس، للدفاع عن المسيحيين المهزومين.

«إن الصراع الذى واجه الصليبيين بالمسلمين فى الفترة من ١٠٩٦ إلى

١٢٩١، يمثل واحدة من كبرى صفحات التاريخ الإنساني. ففى البداية انقضت جماهير الحجاج المسلحون بإيمانهم، ثم تبعهم فرسان الغرب وقد تمكنوا من تنظيم أنفسهم للاستيلاء على فلسطين (...)

«ولقد انتهى الأمر بطرد اللاتين من بلاد المشرق، إلا أن روح الحروب الصليبية ظلت متأججة بعد ضياع الأرض المقدسة: فلقد استطاعت البابوية إشعال نار الصراع ضد الأتراك وضد مغول تيمور لنك وضد وثنى دول البلطيق بل وداخل الحدود المسيحية، وذلك من خلال نظام صكوك الغفران والحماية القانونية والمساعدات المالية، كما شنت هجماتها الصليبية ضد المنشقين الكاتار واتباع هاس بل وضد الإمبراطور هوهنشتاوفن وعائلته الذين كانوا يعارضون سيطرة روما. إن الحروب الصليبية الأولى كانت بمثابة محاولة لإخضاع أوروبا لحكومة أو سلطة دينية، فبفضل الحروب الصليبية هذه استطاع البابوات فى أحيان كثيرة فرض السلام قهراً بين أمراء مسيحيين وأقاموا بينهم نظاماً ضريبياً ذا طابع تعسفى أدى فيما بعد إلى ردود فعل عنيفة».

وبخلاف هذه المقدمة وما تلاها من تفاصيل تكشف عن تعصب البابوية وأطماعها بل وتشبثها العنيد فى السيطرة والاستيلاء لا على الأراضى المقدسة فحسب وإنما على البلدان الأوروبية المسيحية المنشقة آنذاك فى خلافات عقائدية صارخة، نورد فقرتين من كتاب رانسيمان عن الحروب الصليبية ودخول الصليبيين بيت المقدس فى شهر يوليو ١٠٩٩ ميلادية:

«إن الصليبيين وقد جُنوا بما أحرزوه من نصر كبير بعد المعاناة، اندفعوا عبر الطرقات والمنازل والمساجد يقتلون كل من صادفهم، يستوى فى ذلك الرجال والنساء والأطفال، واستمرت المذبحة طيلة عصر ذلك اليوم وتلك الليلة. ولم تفرض راية تانكريد أية حماية على أولئك الذين لاذوا بالمسجد الأقصى، ففى وقت مبكر من صباح اليوم التالى اقتحمت عصابة من

الصليبيين المسجد وقتلت كل من فيه. وعندما طاف ريمون داجيليه بالمنطقة التي يقع فيها المسجد كان عليه ان ينقل الخطى ليجد طريقا بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه» (صفحة ٤٣٤ - ٤٣٥ من المجلد الأول)

ويقول رانسيمان فى موضع آخر: «وكان الجيش فى معرفة النعمان يعانى الجوع بعد أن نضدت المؤن التي استولى عليها من الجوار، ولم يكن له من سبيل سوى أن يأكل لحوم البشر!» «وهذا دَرَك لاينحدر إليه الحيوان» - على حد قول مترجم ذلك الكتاب.. فراح فرسان السيد المسيح يشوون جثث قتلاهم من الرجال والصبيان المسلمين ليأكلوها.. واللهم لاتعليق!

وقد كتب المؤرخ راول دى كاين المرافق للفرنج قائلاً: «فى مدينة المعرة، كان رجالنا يقومون بغلى شبان الوثنيين (المسلمين) فى آوانات، ويوثقون الأطفال على الأسياخ ويأكلونهم مشويين».

وما أكثر الوثائق الموجودة عن قصص آكلى لحوم البشر التي ارتكبتها جنود «الفرنجة» الصليبيون فى مدينة المعرة عام ١٠٩٨، وحتى القرن التاسع عشر كان يمكن العثور عليها فى كتابات المؤرخين الأوروبيين وهو ما نطالعه فى كتاب «تاريخ الحروب الصليبية، للمؤرخ ميشو الفرنسى المنشور فيما بين ١٨١٧ - ١٨٢٢ (راجع المجلد الأول صفحات ٣٥٧، ٥٧٧)، و«بيلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات ٤٨ و ٧٦ و ١٨٣ و ٢٤٨. أما فى القرن العشرين فقد تم التعطيم على مثل هذه الحقائق، إذ لا نكاد نجد لها أثرا اللهم عبارة رانسيمان السالفة الذكر، وما أكثر ما اعتادوا التعطيم عليه...

مقدمة

على عكس الأسلوب المتبع فى كتابة المقدمات، والذي جرى العرف على أن تكون بمثابة عرض وتقديم لفكرة الكتاب، سنكتفى هنا بسرد بعض القرارات التى تم اتخاذها من جانب الإدارة الأمريكية أو غيرها من المؤسسات والتى تكشف عن حقيقة تلك السمة التى لا يمكن إغفالها أو إنكارها لهذه الحرب الصليبية التى أرادوها كاسحة..

● أعلنت محطة الإذاعة البريطانية صباح يوم ١٩ مارس ٢٠٠٣، فى نشرة السادسة صباحا باللغة العربية الخبر التالى: «صرح الرئيس جورج بوش أنه حتى وإن تنحى الرئيس صدام حسين فإنه سوف يجتاح العراق لتتركتها أو لفرض العلمانية عليها لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب فى منطقة الشرق الأوسط وفى العالم بأسره».

و«التركة» مصطلح يقصد به فرض النظام التركى أو النظام الذى تم فرضه على تركيا لاقتلاع هويتها الإسلامية فى مطلع القرن العشرين بفصل الدين عن الدولة واقتلاع اللغة العربية لغة القرآن.

وبعد أيام اذاعت إحدى المحطات العربية الخبر التالى:

● «إن الصراع المتوقع مع الغزو الصليبي الأمريكى سيكون شاملا لأن العدو أعلن أنه يستهدف كل شىء حتى المدارس والجامعات وطريقة حياة الناس ودينهم ومعتقداتهم».

ثم أعلن بوش القرار التالي بعد التاسع من أبريل، أى بعد استيلائه على العراق:

□ وقف الدراسة فى جميع المدارس والجامعات حتى بداية العام القادم الدراسى إلى أن يتم تعديل المناهج التعليمية!

□ وتحدثت جريدة لوس انجلوس تايمز «عن الحظر الذى فرضته الإدارة الامريكية على بعض المنظمات غير الحكومية من أن تتجه إلى العراق بينما سمحت لفرق المارينز أن تصطحب فى «حقائبها» المنظمات التبشيرية التابعة لكل من بيلى وفرانكلين جراهام، اللذين يعتبران الإسلام دينا شيطانيا وأنه يجب تنصير كافة المسلمين» (٢٠٠٣/٤/٤).

□ انتقد روبيرت ساتلوف، مدير التخطيط الاستراتيجى والسياسى فى معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، فى جريدة واشنطن بوسطن (٢٠٠٣/٤/٤) السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه البلدان العربية، ذلك لأن البيت الأبيض والكونجرس يعتمدان لإقامة محطة بث تليفزيونية METN (شبكة الشرق الأوسط التليفزيونية) وهى قناة معلومات رسمية باللغة العربية، ستكلف مئات الملايين من الدولارات لتمطر هذه البلدان بما تريده من توجيهات وأخبار.

وإذا ما ربطنا هذا الخبر الذى تم نشره عند إنشاء القمر الصناعى «لومن ٢٠٠٠» الذى أوجده الفاتيكان ليمطر به الأنجيل والتبشير على العالم، والربط هنا هو نفس عبارة «يمطر التبشير» لأدركنا معنى القناة الفضائية الأمريكية الجديدة.

□ وفى الرابع من أبريل ٢٠٠٣ نشرت صحيفة لوموند الفرنسية مقالا بعنوان «المبشرون المعمديون فى شاحنات الجيش» بقلم هنرى تانك، وهذا نصه:

«المبشرون الأمريكيون لا يضيعون وقتهم. إنهم يعسكرون عند أبواب العراق، مستعدين للانطلاق جريا لمساعدة الشعب «ماديا» و«روحيا» عندما سيتم تحريره من صدام حسين. إن الجمعية المعمدية للجنوب (١٦ مليون تابع) تعد واحدة من أندر الكنائس في الولايات المتحدة التي أقرت الحرب على العراق هي وجمعية شبكة الإنقاذ، وهي جمعية إنسانية خيرية يتزعمها فرانكلين جراهام، ابن المبشر الشهير بيلي جراهام، وهم حاليا مزوّدون بكل فرقهم ويقعون على الحدود الأردنية.

«إن معمدى الجنوب، ومقرهم في مدينة دالاس (تكساس)، قد شحنوا معدات قيمتها مائتان وخمسون ألف دولار. وقد علق أحد القساوسة الموجودين بالموقع، والذي من باب الأمن قد غيّر اسمه إلى «الأخ جون» قائلاً إن الهدف هو تقديم المساعدات لمعسكرات اللاجئين قبل أن ندخل العراق لكي نبحث فيها عن أماكن غرس في الجنوب ونمنى فيها بعثة تبشيرية معمدية. أما «شبكة الإنقاذ» فهي تستعد أيضاً لإرسال عشرات الأمريكيين والكنديين المتخصصين في «الإنقاذ» الملحّ، (والإنقاذ هنا يعني إنقاذ المسلمين من الكفر وتنصيرهم). وتصر جمعية التبشير على العمل الإنساني وعلى أهميته أما المعمديون فهم مناضلو الإنجيل الذين يودون دخول العراق ليقدموا العقيدة المسيحية للعراقيين، واعدن أن يتقادوا أي «ضوء». إن مثل هذه المحاولات تثير السخط. ولقد أعلن إبراهيم هوبس، المتحدث الرسمي لمجلس الصداقة الإسلامية - الأمريكية (CAIR) إنه مذهول من شحن هذا الكم من المبشرين.

«وبعد ١١ سبتمبر قد تميّز خطاب مبشرين من أمثال فرانكلين جراهام، رئيس جمعية شبكة الإنقاذ بعباراتهم اللاذعة الجارحة ضد المسلمين. ووجودهم في العراق يؤكّد المخاوف من حرب صليبية ضد الإسلام - على حد قول هوبس - وهو نفس ما تخشاه الأوساط البروتستانتية المعتدلة، التي لا تنوى ادخار مساعداتها للشعب العراقي ضحية الحرب، لكنهم يحذرون من الخلط بين عمليات المساعدات الإنسانية والتبشير.

ووفقا للواشنطن تون بوست، الصادرة في ٢٨ مارس ٢٠٠٣، فإن لجنة الإنقاذ للكنيسة المعمدية قالت إن أموالها سترسل إلى العراق عن طريق جمعياتها المسيحية، «مع التنبيه عليهم ألا يقوموا بعمليات التبشير»، (وقد وضع الكاتب هذه العبارة بين شولتين للفت النظر إلى استحالة الالتزام بها، فإن لم يكن التبشير هو المقصود فلماذا يتم إرسال النقود أو المساعدات عن طريق كل هذه الفرق التبشيرية؟)

□ وفي مجلة اكسبريس الصادرة في ١٠/٤/٢٠٠٣ اعترض البابا يوحنا بولس الثاني على هذه الحرب «لا لأنها تتحدى الشرعية الدولية وتطيح بها فحسب، ولكن خشية من أن تؤدي حرب العراق إلى صدام الديانات والذي ستدفع ثمنه الأقليات المسيحية «المحصرة» وسط محيط من الإسلاميين».

□ وتحت عنوان «المبشرون الصليبيون الجدد» كتب بيل بركوبتز يوم ٩ أبريل ٢٠٠٣ في «كلمة الطريق» قائلاً: لقد تلبد الجو هذه الأيام بالإعلان عن فرق المبشرين المسيحيين الأصوليين المتوجهين إلى العراق في عملية تبشير بعد الحرب. وكل يوم يمر تمطر الولايات المتحدة مزيدا من الموت والدمار على شعب العراق وتزيد بذلك غضب العالم الإسلامي المتزايد بسرعة. وما أن تنتهي الحرب وتبدأ عملية الاحتلال فإن إدارة بوش تخطط لإقامة حكومة أمريكية مكونة من مسانديها السياسيين وشركات البترول، لترعى مصالحها. وخلف هؤلاء الحُصّاد الشرسين مباشرة يتبعهم جيوش من القادة الأصوليين المسيحيين، منقبين في الرمال بحثا عن أتباع جدد..

«وطوال الأيام العشرة الماضية أعلنت العديد من المنظمات الأصولية المسيحية خططها لتدعيم فتح منافذ وإيجاد فرص للمساهمة في إعادة بناء العراق. والغريب أنه قبل الحرب لم يكن أي واحد منهم يفكر في العمل ليمنع إدارة بوش من اجتياح هذا البلد، والآن يبدو جميعهم مهتمين بالذهاب إلى العراق حتى وإن كان شعب العراق غير راغب في وجودهم!»

«ولقد اعلن القس فرانكلين جراهام حديثا أن منظمته، شبكة الإنقاذ، ستفتح الطريق. ولعلكم تذكرون أن القس بيلى جراهام ابن القس فرانكلين جراهام، قد سب كل المسلمين عقب أحداث ١١ سبتمبر بقليل وقال إن الإسلام «شر». والآن، هاهو مع العديد من جماعات الأصوليين المسيحيين الأمريكيين والكنديين يعدون الشاحنات المليئة بالأناجيل والأربطة.

«ولا يجب أن ننسى أن القس فرانكلين جراهام واحد من العديد من القادة الأصوليين المسيحيين الذين قادوا حملة كراهية واسعة ضد الإسلام، وقد تضمنت هذه الحملة عبارات ضد الإسلام والمسلمين والقرآن بل والنبى محمد أيضا.

«وقد أعلنت وكالة أنباء أجاى بريس، وهى وكالة أنباء مسيحية، عن أن المبشر فرانكلين جراهام قد تولى قيادة الجمعية التبشيرية لوالده وأصبح يقود منظماتها. وجمعية شبكة الإنقاذ واحدة من أوسع المنظمات المسيحية انتشارا، ولقد تم تجنيدها لتقوم بمساعدة أولئك الذين أصابتهم حرب تحرير العراق.

«وبعد أحداث ١١ سبتمبر بقليل قام القس فرانكلين جراهام بصعق المسلمين وإدارة بوش بمحاولة تهميشه الإسلام معلنا: «إن إله الإسلام ليس هو نفس إلهنا. إنه ليس ابن الله كما فى العقيدة المسيحية أو العقيدة اليهودية - المسيحية. إنه إله مختلف، وأومن بأن الإسلام عقيدة شديدة الشيطانية وشريرة». وبعد ذلك قال فى قناة إن بي سى: «الذين هاجموا المبنيين لم يكونوا إصلاحيين أو تابعين للوثر. إنها كانت هجمة على هذا البلد من أشخاص من العقيدة الإسلامية».

«وفيما يتعلق بحربه الصليبية، قال جراهام لشبكة بليفت نت: «نحن مدركون أننا فى دولة عربية وأنه لا يمكننا أن نخرج على الملأ ونبدأ فى الخطابة التبشيرية». وبعد قليل أضاف قائلا: «أعتقد أنه بينما نقوم بالعمل، سوف يعطينا الله الفرص لنقول للآخرين ونحدثهم عن ابنه. نحن هناك لنبلغهم أننا نحبههم وننقذهم، وبصفتى مسيحيا فأنا أقوم بذلك باسم عيسى المسيح.

«والقس جراهام ليس وحده الذى يتبع هذه الحرب الصليبية للقرن الواحد والعشرين. فإن جمعية المعمدان الجنوبية (SBC) وهى واحدة من أكبر المنظمات التبشيرية البروتستانتية، بل زعيمة المبشرين، فهى أيضا تخطط لإنقاذ العراق ما أن تنتهى الحرب. ووفقا لشبكة بليف نت، فإن جمعية المعمدان الجنوبية هذه قد قامت منذ خمس سنوات بإعادة تنظيم طاقم إدارتها للبعثات التبشيرية الدولية للتركيز على تلك المناطق من العالم التى يعيش بها المسلمون. وفى ذلك العام قامت الجمعية بطبع كتاب إرشادى للصلاة ليستخدموه لتتصير المسلمین.

«وجمعية القس دونالد وايلدمون المعروفة باسم جمعية العائلة الأمريكية (AFA)، لها أيضا مخطط للتدخل الإنقاذى فى العراق. وعلى الرغم من أن الشبكة الإلكترونية لهذه الجمعية والتى تحمل لافتة ثابتة مكتوب عليها «هل الإسلام دين سلام» وإجابة الجمعية على هذا السؤال بالنفى طبعاً، فإن القس الراعى لها يقول: «نود الذهاب إلى العراق بعد أن نجمع لهم الأموال لمساعدتهم على إعادة بناء بلدهم ونعرفهم أن مسيحيي أمريكا يهتمون بهم ويريدون مساعدتهم على التخلص من الطغيان.

«وبينما المسيحيون واليهود فى إدارة بوش يقودون حملة دمار شاملة على العراق ويقومون بذبح الآلاف من المدنيين العزل، يريد القس وايلدمون أن يعرف العراقيين أن عطف المسيحيين وحبيهم لا يتوقف عند الشيطان!..

«وهناك القس جيف كريستوفرسون، راعى كنيسة أوكتيل خارج مدينة تورنتو فى كندا، «يعرب عن أمله فى أن يشيّد كنائس فى بغداد ما أن تتم الإطاحة بصدام حسين. ويضيف القس أنه قام باتصالات مع بعض العراقيين المسيحيين المقيمين فى تورنتو وقالوا له «إن بلدهم مستعد لتلقى تعاليم الإنجيل!» ويضيف القس كريستوفرسون أن هناك فى بغداد حوالى خمسمائة مؤمن مستعدين لتلقى التحرر مما هم فيه.

«ويضيف نفس هذا القس إنه ما أن يتم افتتاح خط أنابيب البترول ستكون كنيسته على أهبة الاستعداد. فمع أمل هذه النافذة التي ستفتح نريد أن نقفز منها وندخل هناك حيث يمكننا مشاهدة الكنائس وهي تقام. إننا نريد على الأقل أن تكون لنا شبكة إلكترونية وقد حباننا الله بأن أوجد لنا منفذا في الأوساط العليا كمدخل للعراق.

«وأخيرا فإن المنظمة الأمريكية المعارضة للإجهاض (ALL) تحذر من أن برنامج تنظيم الأسرة سيعرف طريقه إلى العراق، وسوف تقف نساء العراق في طوابير للإجهاض في القريب العاجل. وفي تصريح صحفى لمنظمة تنظيم الأسرة الأمريكية، أعلنت رئيستها جلوريا فلدت أنها تريد أن يتم الإجهاض الإجبارى على اللاجئات العراقيات بدلا من حملهم العقيدة الإسلامية. وجميع العاملين بهذه المنظمة يعلنون «أنه ما أن يتوقف إطلاق النار حتى ستبدأ حرب الإجهاض».

«ويعلن جيم سولاك «أن برنامج تنظيم الأسرة لا يعرف الحدود»، وهو المدير التنفيذي للجمعية، ويضيف قائلا: «إن الشعب العراقى يتطلع إلى الحصول على حرية حقيقية من القهر، إلا أن برنامج تنظيم الأسرة الأمريكى يريد أن يفرض نفسه ويكسب حريه على أطفال العراق قبل ولادتهم من خلال برنامج الديكتاتورى للإجهاض ومنع الحمل».

«هل يمكن لأحد أن يتخيل أى شىء أقل ترحيبا وأكثر حرجا وإهانة للشعب العراقى من أن يرى القس فرانكلين جراهام يجوب القرى المدمرة حاملا فى يد بعض الأربطة البلاستيكية وفى اليد الأخرى بعض الأناجيل؟»

□ وفى خطاب الرئيس الفرنسى چاك شيراك إلى البابا يوحنا بولس الثانى، الوارد فى مجلة إكسبريس ٢٠٠٢/٣/٢١ يقول (...) «كما إنى أضع فى الاعتبار حماية الجماعات المحلية المسيحية المهددة فى منطقة الشرق الأوسط والأدنى والتي نعلم جميعا أن اهتمامات وعطف قداستك تتجه إليها».

□ وفى ١٠/٧/٢٠٠٢ كان لوران مورافيتيس قد أعلن فى تقريره أمام مجلس الدفاع، وكان ذلك بدعوة من ريتشارد بيرل، وطالب بتغيير النظام فى المملكة العربية السعودية والقضاء على الإسلام.

□ وتحت عنوان «أمريكا ستكسب الحرب العالمية الرابعة» كتب جيمس وولسى المدير السابق للمخابرات المركزية الأمريكية فيما بين ١٩٩٣ و١٩٩٥ «لقد دخلنا الحرب العالمية الرابعة والتي هدفها أكبر من أن تكافح الإرهاب، فهو يرمى إلى أن تمتد الديمقراطية إلى مختلف بلدان العالم العربى والإسلامى اللذين يهددان الحضارة الحرة التى شيدها طوال القرن العشرين ودافعنا عنها طوال الحرب الباردة، الحرب العالمية الثالثة (...) ولكى نهزم الإرهاب لابد لنا من تغيير معالم الشرق الأوسط.

□ وإذا ما فتح القارئ الإنترنت على جريدة أومانيته الفرنسية وهى تعرض أرشيفها للقراء مجاناً، سيجد ٣٣٥ عنواناً تحت مسمى حرب صليبية، وكلها مقالات صدرت فى الآونة الأخيرة وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر أو عند الإعداد لحرب العراق، وتقتطف منها بعض هذه الفقرات:

فى ١٢/٢/٢٠٠٣ كتب برونو أودنت وچان بول ببيرو تحت عنوان: «لماذا يتعين على فرنسا أن تصمد»:

(...) «إن ما تغيّر اليوم بالنسبة للصراعات السابقة (حرب الخليج، كوسوفو، أفغانستان) هى الهاوية التى تفصل الرأى العام العالمى، المعارض إجمالاً لحرب جديدة، ومجلس الأمن بمنظمة هيئة الأمم المتحدة، إذا ما وافق الأخير على الحرب الصليبية التى يقودها بوش. وحتى إذا ما قام ساكن البيت الأبيض هذا وأشعل الحرب مخالفاً لرأى الأمم المتحدة، فلا شرعية لما يقوم به. الأمر الذى سيفتح المجال للتساؤل حول الإدارة الجديدة للعالم فى الأزمة السياسية المتوقعة نتيجة لذلك»..

□ وفى نفس التاريخ وتحت عنوان: «ليل النفس المظلمة» كتبت رچين ديفورچ: (...) فى البيت الأبيض يوجد رجل، ليس بإله، لكنه يكاد يمتلك نفس السلطان، وينتظر بفارغ صبر متزايد أن تتضمن «أوربا العجوز» دون اعتراض إلى حربه الصليبية ضد «قوى الشر».

□ وفى ٢٠٠٣/٢/١٠ كتب عقبا لمرانى تحت عنوان «اختيار الخوزات الزرقاء». (...) «فمن الجانب الأمريكى، أن دور النجم بلا منازع يقوم به دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكى الذى تفوق على نفسه فى دور المبشر المجنون لأمريكا البيضاء المسيحية (...) إن المعنيين الآخرين فى هذه المأساة (أوربا، تركيا، روسيا، البلدان العربية..) غير مقتنعين بالحرب الصليبية الأمريكية».

□ وفى ٢٠٠٣/١/٣٠ كتب بيير لوران فى الافتتاحية تحت عنوان: «اعتراف بالضعف»: «إن التشبث الحربى المقلق لبوش لا يقنع أحدا، ولعبة البوكر الجديدة القائمة على «أدلة» هى اعتراف بالضعف. وفى حربه الصليبية ضد العراق قد خسر بوش معركة أساسى هى معركة الرأى العام، لكنه مع ذلك لم يتخل أبدا عن رغبته فى الحرب».

□ وفى ٢٠٠٣/١/٢٣ كتب چون - بول بييرو فى الافتتاحية تحت عنوان «بورتو اليجرو والعالم» منذ عام، وفى الوقت الذى كان ينعقد فيه المؤتمر الاجتماعى العالى فى بورتو اليجرو (FSM) كان جورج بوش - فى خطابه حول حالة الاتحاد - يتحدث عن تلك المسيرة الجنائزية التى تدفعنا اليوم إلى أبواب الحرب. إنه مؤتمر اجتماعى عالمى ضد تدخل مسلح جديد يبدأ اليوم كصدى للرأى العام الرافض لتجنيد فى حرب صليبية بترولية»

□ وفى ٢٠٠٣/١/٢٠ كتب چون - بول بييرو فى الافتتاحية تحت عنوان: «فيتو الرأى العام» إن موجة الاعتراضات التى تجتاح العالم هذا الأسبوع تفتتح مرحلة جديدة من معارضة شعوب العالم ضد حرب العراق التى

نسجها الفريق القابع فى البيت الأبيض ومستشارو إدارة الشركات النفطية. إن المشكلة التى يواجهها الرئيس الأمريكى أكثر تعقيدا مما يمكن أن تكشف عنه ميوله الحربية فى منطقة الخليج (...) لقد تخيل بوش أنه يمكنه تجنيد الشعور العام الشعبى، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فى **حربه الصليبية** ضد ما أطلق عليه «محور الشر»..

□ وفى ٢٨/١/٢٠٠٢ كتب جون - بول بييرو تحت عنوان: «أديان.. تحالف غير مقدس فى الولايات المتحدة» حول تطور العلاقات بين اليمين الجمهورى واليمين المسيحى والآخرين، (...) ولقد عاون هذا الأخير اليمين الجمهورى لاختلاق التشابه بين حرب دينية وحرب ثقافية ووطنية جديدة أعقبت أحداث الحادى عشر من سبتمبر، نجد أصداءها فى «صدام الحضارات» العزيز على صمويل هانتجتن وعلى نداء جورج ووكر بوش **لحرب صليبية**.

□ وفى ٢٨/١٢/٢٠٠٢ كتب القس جاك مورى الرئيس السابق للاتحاد البروتستانتى فى فرنسا تحت عنوان: «البعد الدينى يعقد كل الأمور». (...) لا يمكن استبعاد البعد الدينى من الوضع الراهن، فالصراعات الدينية كانت سببا فى اجتياح يوغسلافيا السابقة، وفى أيرلندا وبريطانيا، ولا أقول شيئا عن مأساة فلسطين اليوم والاستفزاز الدينى الذى قام به شارون باجتياحه ساحة المساجد، والأصولية التى تحوم حول البيت الأبيض التى تحدد باسم «الرب» السياسة الأمريكية المحايية لإسرائيل بلا قيد أو شرط، الأمر الذى يجعلها أكثر تعقيدا (...) لذلك، حينما أسمع الرئيس بوش يتحدث عن **حربه الصليبية** للخير ضد الشر، أتوقع أسوأ ما يمكن توقعه.

□ وفى ١٩ أكتوبر ٢٠٠٢ كتب بيير برنانسى تحت عنوان: «الرعب للدفع إلى الحرب (...) وبعد عام من الحرب الصليبية على أفغانستان تستعد أمريكا

لمرحلة جديدة في حريها الصليبية ضد العالم الإسلامي، وهذه المرة فهي تقودها ضد الشعب العراقي المسلم، لتستكمل خطتها لتفتيت الأمة وسرقة ثرواتها».

□ وفي ٩ أكتوبر ٢٠٠٢ كتبت ماري - جورج بوفيه، السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي تتهم التطلعات الحربية للولايات المتحدة «إن الصراع ضد الإرهاب قد اتخذ حجماً جديداً. إن مكافحة الإرهاب لا بد منها، لكن من العار توظيف مأساة ١١ سبتمبر التي عاشها الشعب الأمريكي ودفع العلاقات الدولية في حرب صليبية للخير ضد الشر أو لصدام حضارات الشرق والغرب. إن الإطار العام للحرب الموجهة ضد العراق تأخذ هذا الشكل. ولا يوجد أي سبب حقيقي لهذه الهجمة إلا أطماعهم في البترول ورغبتهم في السيطرة على هذه المنطقة من العالم، أو الإعداد للانتخابات القادمة».

□ وفي ٢١ سبتمبر ٢٠٠٢ كان النائب اليساري جان كلود لوفور قد كتب تحت عنوان «لنتعلم قول كلمة لا» قائلاً: «إن الحرب ضد العراق ستكون بمثابة كارثة حقيقية على الشعب العراقي وعلى العالم أجمع (...). يجب أن يكون واضحاً أن فرنسا لن تشترك في مثل هذه الحرب الصليبية التي تريدها أمريكا هي أكثر إمبريالية ووحودية النظر أكثر من أي وقت مضى. يجب أن نتعلم أن نقول لها «لا»!

□ وفي حديث مع جان بول مونفيران في ١١ سبتمبر ٢٠٠٢، قال الفيلسوف بان موليه - بوتانج «تدعى أوروبا كما تشاء أنها تقاوم التسطيح الأمريكي فيما يتعلق باستراتيجية الجغرافيا السياسية على العراق مثلاً، أو حتى في زعمها الحرب الصليبية على الإرهاب وتلك الحملة التي تأخذ شكل مهزلة شؤم كوارثية، فذلك لا يمنع من أنها تقوم بنفس التسييط أو أسوأ مما تفعل أمريكا في الطريقة التي تعامل بها الأقليات القائمة لديها»..

وبعد عام من أحداث ١١ سبتمبر كتب بول فالزون مونفيران قائلاً في ١٥

سبتمبر ٢٠٠١: ساندت روسيا جورج بوش في حربه الصليبية الطويلة ضد الإرهاب. ويفتح أراضيها للجيش الأمريكي فإن باكستان قد وقعت على انفصالها عن كابول، وسرعان ما قلدها بعض البلدان الأخرى...

□ وفي ١٧/٨/٢٠٠٢ كتب عقبي لمراني «منذ أشهر والولايات المتحدة تعد الرأي العام لتدخل عسكري في العراق وهذه الحرب الصليبية الجديدة تقلق العالم»..

□ وفي ٢٢/٥/٢٠٠٢ كتب دانيال سيريرا عضو المجلس القومي للحزب الشيوعي والمسئول عن العلاقات الدولية تحت عنوان «بوش، وجهة نظر» قائلاً: لقد أتى الرئيس جورج بوش ليشرح مباشرة للأوروبيين لماذا يكون من الأصوب لهم أن يلتفوا حول راية حربه الصليبية للخير ضد الشر. ومن المهم أن نشرح له أننا لا نقاسمه نفس الرأي أو وجهة النظر فهذه الرؤية التسطيفية الجهنمية، الإمبريالية، تثير مخاوف شديدة العمق..

□ وفي ٢١/١/٢٠٠٢ قال بيتر كويوت تحت عنوان «أمريكا أضاعت فرصة».. إنها تدفعنا للوقوع في فخ يبدو فيه أن المسيحية والحضارة الغربية يستعدان للانطلاق في حرب صليبية ضد الإسلام.

كانت هذه بعض النماذج العشوائية التي اخترناها من بين ٢٢٥ عنوانا لمقالات تتناول فكرة الحرب الصليبية التي تشنها الإدارة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين. أما تحت كلمة تبشير فقد وجدنا في شبكة «ياهو» واحدا وثلاثين ألفا ومائة موقع للتبشير والمنظمات والهيئات والمعاهد التبشيرية، والمدارس والجامعات والمؤتمرات والخلايا المتفرعة منها، بل ومنها موافقة البابا يوحنا بولس الثاني على استخدام الإنترنت في عملية التبشير بعد أن كان رافضا لها..

وقبل أن ننهي هذه المقدمة من المقتطفات والتي لا تسمح لأي إنسان أمين أو محايد أو حتى له بقية من الضمير الحي أن ينكر حقيقة هذه الصفة

الدامغة لحرب بوش وإنها بالفعل حرب صليبية تنصيرية بشعة الأبعاد والمرمى، نلفت نظر القارئ إلى أن جريدة «النيويورك تايمز» بتاريخ ٥، ٦ أبريل ٢٠٠٣ قد كتبت في موضوعين متتاليين عن عملية التنصير الدائرة في العراق مدعمة بالصور.. وقد نقلت جريدة «الأسبوع» المصرية عنها هذا الموضوع في العدد الصادر في ١٤ أبريل ٢٠٠٣ تحت عنوان: النيويورك تايمز تكشف تفاصيل المخطط: حملات تبشيرية لتنصير الشعب العراقي تنطلق من الكويت».

فهل بعد ذلك من منكر لهذه الحرب الصليبية التي بدأت بالفعل بافتعال أحداث الحادى عشر من سبتمبر لتتلفع بالشرعية الدولية؟!



الفصل الأول

جذور هذه الحرب الصليبية

لكى ندرك حقيقة وأبعاد هذه الحرب الصليبية التى يريدونها كاسحة، لابد لنا من أن نعود إلى الجذور الحديثة الحاسمة التى أشعلتها، أى أن نعود إلى عام ١٩٦٥ تحديداً وليس إلى جذورها الممتدة فى التاريخ، منذ بداية انتشار الإسلام ومعاربته بصور متفاوتة الحدة والأحاييل - وإن كان لابد من أخذها فى الاعتبار كإطار عام لمجريات الأحداث.

ويمثل عام ١٩٦٥ نقطة فارقة فى التاريخ الكنسى برمته، إذ يشير إلى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، المعروف اختصاراً باسم «فاتيكانى اثنين»، وذلك لأنه يوجد مجمع آخر فى تاريخ المجمع معروف باسم «فاتيكانى واحد» أو المجمع الفاتيكانى المسكونى الأول، عام ١٨٦٩.

والمجمع المسكونى، على خلاف أية مجامع أخرى، فهو ملزم لكافة أصحاب القرار من ملوك ورؤساء فى مختلف البلدان المسيحية والكنايس - على الرغم من اختلافاتها العقائدية الجذرية التى لا يمكن رأبها إلا بخروج صاحبها عن عقيدته..

ومجمع فاتيكانى اثنين هذا يعتبره كل من تناوله بالتقديم أو التحليل

والدراسة أو حتى بالهجوم - لخروج الكنيسة الفاتيكانية والبابا الذي يرأسها عن مواقف عقائدية كانت تبدو راسخة لا يمكن الإطاحة بها - أول مجمع هجومي في التاريخ بصورة لا سابقة لها في الحياة المجمعية أو الكنسية، وأنه أهم حدث في تاريخ الكنيسة في القرن العشرين. وقد امتد انعقاد هذا المجمع من ١١ أكتوبر عام ١٩٦٢ إلى ٨ ديسمبر عام ١٩٦٥. وحضره ٢٦٥٠ من الأساقفة والكرادلة من كافة الأقطار والأجناس.

ويوضح جوزيف توما في كتابه المعنون «فاتيكان اثين» والصادر عام ١٩٨٩ قائلاً: «إن الفرق الكبير بين المجمع السابقة وهذا المجمع هو أن كافة المجمع السابقة كانت تُدعى للانعقاد بسبب الأخطار التي كانت تتعرض لها الكنيسة والمتعلقة بعقيدة الإيمان والانشقاقات التي كان يتعين التصدي لها أو إيجاد حلول تتمشى مع الخط الأساسى الذى رسمته الكنيسة الأم للعقيدة ولنفسها. أى أن تلك المجمع كانت بمثابة ملجأ للكنيسة فى مواجهة أخطار تواجهها من الخارج ومن الداخل (...). أما هذا المجمع، فأهم ما ركز عليه هو كيفية توصيل الإنجيل وغرسه فى عالم اليوم».

أما كلود بريسوليت، الذى كتب عن هذا المجمع فى «معجم اللاهوت» الصادر عام ١٩٩٨، إنه «قد تناول كافة مشاكل العالم على ضوء العقيدة الكاثوليكية الفاتيكانية والتبشير».

ومن أهم الموضوعات التى لم يسبق للكنيسة تناولها فى المجمع السابقة، سواء أكانت مسكونية (أى عالمية خاصة بكل الأرض المسكونة) أو عادية، حياة القساوسة الخاصة وتكوينهم؛ قرارات بشأن المدنيين أو العلمانيين - أى الذين لا يندرجون رسمياً فى الهيكل الخاص برجال الدين المسيحى؛ السيدة مريم العذراء وإضفاء مهمة الخلاص البشرى على عاتقها مثلها مثل السيد المسيح الذى «هو الله» فى العقيدة الثلاثية - وإن كان كونه «الله» فذلك لا ينفى عنه أنه «ابن الله» أيضاً فى هذه المسيحية الحديثة؛

والنشاط التبشيري للكنيسة تجاه غير المسيحيين. وأجدد ما تمخض عنه هذا المؤتمر - على حد وصف جوزيف توما، فهو «ذلك النشاط الرعوى لفرس الإنجيل فى زماننا وتوحيد الكنائس، وعلاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية وحرية العقيدة».

ولقد تمخض المجمع عن ثلاثة أنواع من الوثائق: أربعة منها تمثل «قوانين أساسية»؛ وتسعة منها تمثل «قرارات تطبيقية»؛ وثلاثة منها عبارة عن «بيانات». وهذه الأنواع الثلاثة من الوثائق قد تم نشرها فى اثنى عشر مجلدا متفاوتة الأحجام، فى دار نشر «دو سير» تحت عنوان عام هو: «مجموعات قدسية»، وإن كان لكل مجلد منها عنوانه الخاص المتعلق بمحتواه.

فالمجموعة الأولى تحتوى على عناوين: الكنيسة؛ الكلمة الموحاة؛ الطقوس الدينية؛ والكنيسة فى العالم. والمجموعة الثانية تحتوى على عناوين المجلدات أو الأجزاء التالية: المهمة الرعوية للأساقفة؛ تكوين وحيوة القساوسة؛ الإعداد اللاهوتى؛ تأقلم الحياة الدينية؛ الرسالة التبشيرية للمدنيين أو العلمانيين؛ النشاط التبشيري للكنيسة؛ الكنائس الشرقية الكاثوليكية؛ توحيد الكنائس؛ وسائل الاتصال الاجتماعى. أما المجموعة الثالثة فتحوى على عناوين المجلدات التالية: التربية المسيحية؛ الديانات غير المسيحية؛ حرية العقيدة.

وبذلك يمثل مجمع الفاتيكان الثانى خطوة حاسمة لا رجعة فيها بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية فى روما أو الفاتيكان، فى خطة توحيد الكنائس وتنصير العالم من خلال الحوار ومشاريع أخرى.. فلم تعد الكنائس المنشقة تسمى «بالهرطقة» كما اعتادت روما أن تطلق عليها، وإنما أصبح اسمهم «الإخوة المتفرقين»، ولم يعد اسم أتباع الديانات الأخرى غير المسيحية، ومنهم المسلمون بالطبع، «الكفرة»، وما تلاها من شتائم وأوصاف، وإنما «الذين لم يدخلوا بعد فى عقيدة الإيمان المسيحى» أى أن مسألة تنصير العالم برمته،

وبلا مناقشة، قد تم اتخاذه بالإجماع الكنسى الفاتيكانى فى عام ١٩٦٥
 إذ تبدأ الوثيقة الأولى المعنونة «الكنيسة»، بعبارة تقول فى فقرتها الأولى: «تنوى الكنيسة إظهار طبيعتها ورسالتها التبشيرية العالمية بصورة أكثر دقة لاتباعها وللعالم بأسره».. أما الفصل الثانى من نفس هذه الوثيقة أو هذا المجلد الأول لقراراتها فىوضح أنه «لا انفصال بين طبيعة الكنيسة ورسالتها التبشيرية. فالكنيسة تبشيرية بطبيعتها ونشاطها التبشيرى ليس نتيجة لشيء ما وإنما يسوع المسيح هو الذى ألقى عليها بهذه المهمة». ومن هنا راح البابا يؤكد فى كل خطبه أنه «لاخلاص إلا بالمسيح»..

وقبل أن ننتقل إلى عرض موجز لأهم القرارات التى اتخذها المجمع الفاتيكانى الثانى لابد لنا من وقفة قصيرة نوضح خلالها تلك المغالطة التى يستند إليها البابا لإعلان قراره بأن السيد المسيح هو الذى ألقى عليهم بمهمة تبشير وتصير العالم. إذ يستند البابا إلى أن إنجيل متى ينتهى فى الإصحاح ٢٨ : ١٩ بآية تقول: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»..

ومن المعروف تاريخيا - وكافة الوثائق موجودة فى متناول يد الجميع، أن بدعة الثالث قد بدأت فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ الذى تم فيه تأليه السيد المسيح. الأمر الذى أدى إلى انقسامات عقائدية جذرية استمرت حتى يومنا هذا، فمنهم من جعل السيد المسيح إلهاً، ومنهم من يعتبره نبياً من الأنبياء، ومنهم من يعتبره بين هذا وذاك أى أن له طبيعتين وأن له إرادتين.. ولا افتراء فى هذا القول إذ أن نص عقيدة الإيمان الذى فرضه مجمع نيقية الأول يقول تحديداً:

«إننا نؤمن بإله واحد، الأب القوى، خالق كل الكائنات المرئية وغير المرئية، وىرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله، المولود الأوحد من الآب، أى أنه من نفس جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حقيقى من إله حقيقى،

مولود وليس مخلوقاً، من نفس جوهر الآب الذي عُمِلَ منه كل شيء، ما هو فى السماء وما هو على الأرض، والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل وتجسد، وجعل نفسه إنساناً، وتألّم وبُعث فى اليوم الثالث، ثم صعد إلى السماوات، وسيعود ليحاكم الأحياء والأموات، وبالروح القدس». وينتهى قرار المجمع بأن الكنيسة الكاثوليكية الرسولية تلعن كل من لا يؤمن بذلك! (تاريخ المجامع المسكونية ج ٢ ص ٢٥)

ومن المعروف تاريخياً أيضاً أن مجمع القسطنطينية المنعقد سنة ٣٨١ قد قام بتعديل نص عقيدة الإيمان السابق وفرض تأليه الروح القدس - بعد أن كانوا فرضوا الإيمان به فقط، وبذلك أصبح نص عقيدة الإيمان الجديد هو:

«إننا نؤمن بإله واحد أب قوى، خالق السماء والأرض، وكل الأشياء المرئية وغير المرئية، ويرب واحد يسوع - المسيح، ابن الله المولود الأوحد، الذى ولده الآب قبل كل القرون، نور من نور، إله حقيقى من إله حقيقى، مولود وليس مخلوقاً، من نفس جوهر الآب، الذى عُمِلَ منه كل شيء، والذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا قد نزل من السماوات وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وجعل نفسه إنساناً، وقد تم صلبه من أجلنا فى عهد بونس بيلاطوس، وتألّم وتم تكفينه، وبُعث فى اليوم الثالث وفقاً للنصوص، وصعد إلى السماوات، ويجلس عن يمين الآب وسيعود مجدداً ليحاكم الأحياء والأموات؛ وأن حكمه لا نهاية له؛ وبالروح القدس، الذى هو رب ويمنح الحياة، ومنبثق من الآب، ويُعبد ويُمجّد بمشاركة مع الآب والابن، وقد تحدث عن طريق الأنبياء؛ وبكنيسة واحدة فقط، كاثوليكية ورسولية، ونقر بتعميد واحد لمغفرة الخطايا، وانتظار بعث الأموات والحياة فى العالم القادم أمين» (تاريخ المجامع المسكونية ج ٢ ص ٧٢).

وقد أثار هذا النص الذى فرض تأليه الله ويسوع والروح القدس العديد من الخلافات التى لا شأن لنا بالخوض فيها، لكن الجدير بالذكر أن هذا النص الذى يحدد أن السيد المسيح قد ولد من الروح القدس والسيدة

- ٦ - فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والعلمانيين
- ٧ - استخدام الكنائس المحلية فى عدليات التبشير.
- ٨ - فرض بدعة «الحوار» كأسلوب للتصير.
- ٩ - إنشاء لجنة خاصة لحوار.
- ١٠ - إنشاء لجنة خاصة لمهام تنصير الشعوب
- ١١ - تغيير اسم لجنة محاكم التفتيش

١ تبرأة اليهود من دم المسيح:

بعد أذى عام من الإدانة واتهام اليهود فى كل قداس أحد، فى كافة كنائس العالم، على أنهم «قتلة الرب»، اكتشف المسئولون فى الفاتيكان فجأة براءة اليهود من دم السيد المسيح! وتضمن قرار تبرئتهم تحميل عبء أو وزر مقتله على كافة البشر. فاحتجت بعض الدول الإسلامية على مغزى هذه التبرئة، فعادت الكنيسة وغيرت قرارها لتحمل هذا الوزر على كافة المسيحيين. بعد أن جاهدت لإقناع المسلمين بأن هذه التبرئة دينية بحتة - على حد قول الأب روبيير كاسبار، الذى تناول صياغة الجزء الخاص بالمسلمين فى المجلد المعنون «علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية».

وفىما يتعلق بقرار التبرئة، فقد بنى المجمع قراره بناء على ثلاث نقاط هى: أن عددا قليلا من الأشخاص هم المسئولون عن موت المسيح؛ وإدانته لمعاداة السامية، وأن السيد المسيح قد اختار الموت بنفسه بناء على رحمته الواسعة من أجل خلاص «كافة البشر»! ثم يقول الأب كوتيه، الذى تناول صياغة الجزء الخاص باليهود، «حقا، هناك العديد من كتابات الآباء، والنصوص الدينية وفى التعليم المسيحى التى تؤكد صراحة على «خطيئة مقتل الرب» وأنها تقع على عاتق الشعب اليهودى بأسره. وبذلك تعد

النصوص التي تتناول آلام المسيح (من تعذيب و صلب) المستودع الأول الذي أدى الى معاداة السامية أو لعلاها المنبع الوحيد لها» (صفحة ٢٥٦..)

وبرغم هذا، ورغم «قدسية» هذه النصوص بالنسبة للكنيسة والتي ظلت ومازالت تفرضها على أنها منزلة من عند الله، إلا أنها راحت تحدد: «كون الكنيسة تمثل حالياً شعب الله المختار، فإن اليهود لا يجب أن يتم تعريفهم على أنهم متبذون من الله أو ملعونون وكأن ذلك ينجم عن النصوص المقدسة!» (البند رقم ٤ من بيان التبرئة).

ويضيف الأب كوتيه عن موقف الكنيسة، السابق وكيف أنه «كان يُفرض عليهم التنصير أو الطرد من البلدان الأوروبية المسيحية، بل بعد الحروب الصليبية، اعتبرت الكنيسة اليهود أنهم عبيد، وذلك من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر، وظل وضعهم يزداد سوءاً» (صفحة ٢٧٠) وبقية تاريخهم من جهة الكنيسة معروف..

وكل ما يعيننا توضيحه هنا تلك الازدواجية فى المواقف والتلاعب حتى بالنصوص وفقاً للأهواء السياسية.. ذلك أن تبرئة اليهود التي تمت فى مجمع الفاتيكان الثانى سنة ١٩٦٥، تخالف نص عقيدة الإيمان المسيحى نفسها والتي تمت صياغتها، كما رأينا منذ صفحات قليلة، فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ثم أعيدت صياغتها بنفس الاتهام فى مجمع ترانت سنة ١٥٦٣.. فما زالت الأناجيل تؤكد أن من أدانه هو الوالى بونس بيلاطوس ونطق بحكم الموت على يسوع بناء على رأى المجلس الأعلى اليهودى. بل هذا التأكيد نراه أيضاً فى التعريف باسم بيلاطوس فى القواميس المدرسية ولا نقول فى الموسوعات كما أن إنجيل يوحنا وحده به ٣٥ مرة إشارة إلى اليهود بمعنى الجماعة الذين يكرهون يسوع ومسئولون عن المعارضة التي تم تنظيمها ضده. وهذه التسمية تشتمل على الفارسيين والصادوقيين والكهنة الكبار الذين رفضوا جميعهم الإيمان بيسوع أى أنها تعم الشعب اليهودى بأنواعه..

والأدهى من هذا وذاك، أن يقوم الفاتيكان في ٣٠/٦/١٩٩٣ بالاعتراف رسمياً «بالوضع الراهن» للكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين، أى الاعتراف بما يُطلق عليه زورا «دولة إسرائيل»، رغم معارضة ذلك للعقيدة الأساسية للكنيسة. وبذلك أقر البابا يوحنا بولس الثانى إقامة دولة دينية عنصرية هى الأولى من نوعها فى التاريخ.

وهنا لايسعنا إلا أن نسأل ذلك البابا الذى أقر وبارك هذا التحايل وعمل على تدعيمه رغم مخالفته للعقيدة التى يحمل «أمانتها»، والذى لم يكف عن قيادة العالم فى هذه الحرب الصليبية الجديدة والتى تمثل جزءاً لا يتجزأ مما يطلقون عليه «الموجة الثانية لتصوير العالم» وأنه «لاخلاص لأحد إلا بالمسيح»: ترى ماهو مصير هؤلاء اليهود وما موقفهم من ذلك الخلاص! هل ينوى نيافته تصيرهم أم أن لهم «خلاصاً» آخر خاصا بهم غير ذلك الذى يفرضه على العالم! أم أن اليهودية ستُفرض عليه!؟

٢ اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات:

بدأ الإعداد لاقتلاع اليسار، بعامة، منذ تكوين الاتحاد السوفيتى فى مطلع العشرينيات، وبصفة خاصة، منذ مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ وتقسيم العالم إلى معسكرين وإنشاء الغرب لما أطلق عليه تشرشل آنذاك «الستار الحديدي»، ذلك الستار الذى أقاموه حول البلدان الاشتراكية حتى قضوا عليها.. وقد وصلت ذروة التحالف فى الغرب الرأسمالى ضد اليسار بذلك «الرباط المقدس» الذى تم توقيعه فى يونيو ١٩٨٢ بين رونالد ريجان ودويلة الفاتيكان. ففى حديث مع مجلة «بانوراما» الكاثوليكية الإيطالية فى مارس ١٩٩٢، أى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، قال الرئيس ريجان: «إن البابا كان بمثابة معونة ضخمة وحاسمة فى مساندة حركة «تضامن».. ذلك أننا وجدنا - هو وأنا - أن القاسم المشترك الأعظم بين الولايات المتحدة والفاتيكان يكمن فى وحدة

أهدافنا»، وإن كان التحالف قد تم قبل ذلك بكثير..

وجدير بالذكر هنا، أن الرئيس ريجان حينما بدأ حملته ضد اليسار آنذاك، بدأها بتلك الصيحة التي أعلن فيها على الملأ «أنها حرب صليبية».. وهى نفس العبارة التي أطلقها جورج دابليو بوش عند بداية حربه على الإسلام قبل حرب أفغانستان.

ولا يرجع العداء بين الكنيسة واليسار إلى أنه يقوم بإلغاء سلطة الدين فى المجتمع فحسب، ولكن لمساسه باقتصاديات رجال الكنيسة وثروتهم الطائلة. ذلك لأن أغليبتهم ينتمون ويتمسكون بالرأسمالية ونظامها.. وما أكثر ما كتب عن فضائح رجال الفاتيكان المصرفية وتواطؤهم مع بعض رجال المافيا الإيطالية وغيرها من الجرائم المالية والمصرفية كفسيل الأموال.. ويكفى أن نطالع كتاب «تعرية الفاتيكان» الصادر عام ١٩٩٩ عن جماعة الألفيين، لنذكر بعضا مما أصاب هذه المؤسسة الرأسمالية العتيقة، أو كتاب أنطوان كازانوفيا عن «فاتيكان ٢ وتطور الكنسية» الذى يشرح فيه ذلك التاريخ الممتد من العداء والكراهية لنظام كان من المنطقى أن تقوم الكنيسة بتبنيه بدلا من العمل على اقتلعه! إلا أن الجذور الممتدة لهذا العداء تكمن فى النصوص الكنسية ذاتها التى تحافظ على الفوارق الطبقيه والعبودية، بدءاً من بولس الذى يطلب من العبيد طاعة أسيادهم بنفس الرهبة التى يخشون بها يسوع (خطاب إلى أهل أفسوس)، وأن يبجلوا أسيادهم بكل احترام (خطاب إلى تيموثى)، ويحافظ بطرس على نفس هذه الوصايا. كما يقوم الآباء الكنسيون باتباع نفس المثال. فالقديس سيبريان والبابا جريجوار المبجل يستندا إلى النصوص الإنجيلية لتثبيت العبودية.

ويأخذ توما الأكويني جانب الذين يقولون بأن الطبيعة الإلهية قد خصت بعض الناس بالعبودية، بينما يبرر القس بايى شرعية العبودية اعتمادا على الاصحاح ٢١ من سفر الخروج والاصحاح ٢٥ من اللاويين.

وتستمر هذه الأسانيد حتى القرن التاسع عشر حينما كتب بيير لاروس فى الموسوعة العالمية الكبرى عام ١٨٧٠ قائلا: «بما أن كل الممثلين الشرعيين للكنيسة يقرون شرعية العبودية فلا يجب أن ندهش إذا ما استمرت حتى يومنا هذا فى المجتمعات المسيحية (...). بل إن المسيحية قد تواءمت منذ البداية مع نظام العبودية ولم تسع أبدا إلى إلغائه. وقد كان لأبد من أفكار ومبادئ أخرى أن تنمو فى المجتمع لكى تقتلع نظام العبودية».

وهذه المبادئ أو الأفكار التى اندلعت من قاع مجتمعات الطبقة العاملة ومعاناتها هى الماركسية التى تصدت لها الكنيسة، لا لأنها تناقض تعاليمها فحسب وإنما لأنها تمس وجودها المادى من أساسه. لذلك اعتبرها الأسقف ستيمفل الألمانى أثناء جلسات مجمع الفاتيكان الثانى أنها «أكبر خطر معنوى يجتاح الإنسانية»، بل لقد زايد عليه الأسقف باربييرى الإيطالى قائلا: «إنها أسوأ فى حد ذاتها وفى توابعها من القنبلة الذرية»! الأمر الذى أدى بالأسقف بولاتى من الأرجنتين أن «يطالب باقتلاعها بحسم وبكل صخب»! (فاتيكان ٢ وتطور الكنيسة)..

وينتهى التقرير الذى تمت صياغته بعد المداورات الممتدة فى ذلك المؤتمر بعبارة تقول: «إن الكنيسة الكاثوليكية لم تكف أبدا عن طريق التحذيرات والعقوبات المتكررة، لإبعاد أتباعها المسيحيين عن المذهب الشيعى أو ممارسته. واليوم، وبموجب واجبها الرعوى فإنه يتعين عليها أن تنطق بنفس الحكم عن طريق هذا المجمع المسكونى!»

لذلك تم الاتفاق على اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات حتى لاتكون هناك أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية واقتصادياتها، لكى تترك الساحة فارغة لتتزعّمها الولايات الأمريكية المتحدة. ولذلك أيضا تم اتخاذ قرار تثبيت دعائم المسيحية الكاثوليكية بفرضها على العالم!!

ولقد سقط حائط برلين عام ١٩٨٩، وانهار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ بتواطؤ كل من الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف. وما أكثر ما كتب في الغرب وفي فرنسا عن مليارات الدولارات التي تم إنفاقها لإتمام هذا المخطط. وقد بادر الفاتيكان بإرسال مبشره إلى روسيا والبلدان الشرقية السابقة لفرض كاثوليكيته على شعوب ذلك الاتحاد الذي هدموه..وقد بدأت الكنيسة الأورثوذكسية في روسيا تعاني وتعرض على محاولات الكاثوليك لاجتذابهم إلى عقيدتهم، وأصبحت معارك الكنيستين تداع على الملأ في الفضائيات وفي نشرات الأخبار..

ولا يخفى البابا يوحنا بولس الثاني ذلك الحماس القهري الذي يحاول أن يفرض به مسيحيته، إذ أن أكثر ما يخشاه - على حد قوله - هو «أن تتجه تلك البلدان إلى الإسلام بعد أن تم هدم عقيدتها السياسية».

٣ اقتلاع الإسلام في عقد التسعينيات:

من أهم المقولات التي تردت بلاهودة في هذا المؤتمر الفاتيكاني الثاني عبارة: «لا بد من تنصير العالم»! بل لعلها صارت المعيارية التي تنصدر كل توجهاته. أو على حد قول جوزيف توما في كتابه حول هذا المجمع «إن التجديد الذي تسعى إليه الكنيسة هو إدراكها بضرورة جعل كفاءاتها أكثر قدرة على تنصير العالم».

والوثيقة الخاصة بالإسلام والمسلمين، تمت صياغتها مع إدراج الإسلام ضمن الديانات الآسيوية الكبرى التي وُجدت بعيدا عن المسيحية واليهودية - لاستبعاد الإسلام عن رسالة التوحيد. وهذا التوجه غير الأمين حتى في صياغة النص الملئ بالمغالطات يكشف عن تلك النوايا التي لم تعد خفية على أحد. فالفاتيكان أو الكنيسة في مجمل تفرعاتها لا تعترف بالإسلام كديانة سماوية توحيدية منزلة. وقد لخص الأب ميشيل لولنج هذه الحقيقة قائلا:

«إن الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الرسالة، لذلك فهي لاتعترف بنبي الإسلام الذى أدانه المسيحيون بصورة سلبية تهجمية وعدوانية». وكان الأب كاسبار قد أوضح الموقف نفسه أيام انعقاد المؤتمر قائلًا: «إن هناك من بين رجال الدين الحاضرين من يعتبرون أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه لأنه يمثل خطرا بالنسبة للكنيسة ولابد من محاربتة».

وفيما يتعلق بالبيان النهائى، يقول الأب كاسبار، وكان أحد المسئولين عن تدوين محاضر جلساته: «لقد أعيدت صياغة النص حتى لا يُتخذ تمهيدا لحل المسائل الصعبة التى ظل النقاش حولها قائما، مثال: النسب التاريخى للعرب، ابتداء من إسماعيل، وخاصة صلة الإسلام بالرسالة الإنجليزية (...) وحتى لا يفهم أن الله قد تحدث أيضا إلى محمد (...) فالنص النهائى لا يكشف عن أن إبراهيم جد نَسَبِيٍّ للعرب المسلمين ولكن كنمط للإيمان الإسلامى بخضوعه لإرادة الله».

لذلك راح البابا يتخذ خطوات أكثر فعالية لاستبعاد ذلك «الخطأ المطلق» بأن يلوح للكنائس المنشقة بشبح الإسلام والأصولية، مطالبًا بوضوح قائلًا: «لابد من تحالف القوى المسيحية لتكون أقوى درع ضد الإسلام» (الجغرافيا السياسية للفاتيكان» ص ٢٦٨)

ويوضح البابا فى نفس هذا المرجع أنه «لابد من الأخذ فى الاعتبار بالتنوع الجغرافى أو الدينى للإسلام، فلا يجب طرح نفس المشكلات بنفس الطريقة مع السنيين أو الشيعة أو الدروز او الإسماعيليين. لابد من إتقان تنوع الحوار». والإتقان هنا يعنى التحايل والخدع..

من هنا ندرك أن الحوار مع المسلمين هى لعبة خداعية تستخدم إلى أن يتم الارتداد. وذلك هو ما نطالع فى خطابه الرسولى المعنون «رسالة القادى». «إن الكنيسة تستعمل الحوار لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديدا عميقا فى ضوء سر

الفداء والخلاص». وقد علق الصحفي س. ديلاكروا فى مقال بعنوان: «الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة العالم غير المسيحى» قائلاً: «إن الكنيسة باتت مصرة على تحديد رسالتها المعينة وهى: غرس الإنجيل فى كافة الثقافات!» وقد علق الأب ريمون روسينيول على ذلك الخطاب قائلاً: «إنه يمكن اعتباره بمثابة نداء من البابا لتجنيد الكنيسة بأسرها لمهمة التبشير.. إننا ما زلنا نفكر فى البلدان التى تمنع دخول المبشرين، إلا أن ذلك لا يقف حائلاً أمام الدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنيين المسيحيين».

أما البابا فلا يرى أية صعوبة فى ذلك بما أنه «يهتم بما يطلق عليه الأشكال الجديدة للتعاون، والتى يذكر منها أربعة بصفة خاصة هى: السياحة، ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين، والحياة الدولية بما فيها السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام» («رسالة الكنيسة» العدد ٩١، مارس ١٩٩١)

وفى شهر نوفمبر ١٩٩٤ أعلن البابا خطابه الرسولى المعنون «عشية الألفية الثالثة». وقد قالت عنه جريدة «لوفيجارو» الفرنسية «إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة» (١٥/١١/١٩٩٤). وكان البابا قد تناول فكرة أو موضوع الألفية فى أكثر من خطاب أو مناسبة، فهو موضوع «مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم» على حد قول جوزيف فاندريس، مراسل الفيجارو فى الفاتيكان. لأن «المسيح هو الله حقاً، وهو إنسان حقاً، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضاً، وهو البداية والنهاية» (بند ٥ من الخطاب).

ويوضح البابا يوحنا بولس الثانى الجهود البابوية المبذولة على التوالى للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل. فكان البابا بولس الثانى عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨) قد «أعطى توجيهات شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمى الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة» (بند ٢٢)؛ مع التأكيد على أهم حقل عمل يجب أن يحظى بعناية خاصة وهما: «المواجهة مع العلمانية والحوار مع الديانات الكبرى» (البند ٥٢) لذلك يرى البابا أنه يتعين

على المسيحيين» ان يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء رجائهم فى المجئ النهائى لمملكة الرب»!

وكان الهدف المعلن عند مناقشات استبعاد الاسلام من الوجود هو حماية أن تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تصير العالم بأسره.. ومثلما تأخر اقتلاع اليسار قرابة عامين، رغم الجهود المضنية التى بذلها ذلك التحالف بين قوى الشر الحقيقية الممثلة فى التعصب الفاتيكانى والتعصب الوجودى للسياحة الأمريكية وجهاز مخابراتها المركزية، فقد تأخر اقتلاع الإسلام والمسلمين، ومرت الألفية الثالثة، ولم يأت السيد المسيح الذى يدمرون باسمه كل شيء.. ومثلما تعاون التعصب الكنسى وتضافرت جهوده وبركاته لاقتلاع اليسار حتى لا تبقى هناك أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية كان على التعصب السياسى الأمريكى أن يرد الجميل وتتضافر جهوده للمساعدة على اقتلاع الإسلام حتى لا تبقى هناك أية ديانة بديلة يلجأ إليها من يهرب من المسيحية الحالية وتحريفها.. لذلك بادرت أمريكا بعمل تلك المسرحية المسماة « ١١ سبتمبر» لتضفى على حربها الصليبية الضارية شرعية دولية. وبدأ بوش حملته المسعورة معلنا «أنها حرب صليبية» مثلما بدأ ريجان حملته لاقتلاع اليسار...

ونقول «مسرحية» الحادى عشر من سبتمبر لأن الحقيقة التى لاحت لكافة المشاهدين أن عملية تدمير الأبراج الثلاثة، وليس البرجين فقط، والبرج الثالث كان يأوى بعض مخازن ومكاتب المخابرات المركزية الأمريكية، أن عملية التفجير أو الانهيار تمت بما يطلق عليه فى عالم الهندسة «التدمير تحت السيطرة» ذلك لأن المبانى على ارتفاعها واختلاف أماكن إصابتها قد انهارت على نفسها ولم تخرج عن الإطار المحدد لها. وما أكثر من تناولوا هذه الحقيقة التى تم التعطيم عليها لأن المطلوب فى نهاية المطاف ليس فضح السياسة الأمريكية وإنما اقتلاع الإسلام.

٤ توصيل الإنجيل إلى كافة البشر:

تلك هي الصياغة المضغمة المعلنة عند نهاية مجمع الفاتيكان الثانى، والتي ربما لم يدرك الكثير من الناس مغزاها الحقيقى. فتوصل الشئ لشخص ما لا يعنى أن يلتزم به.. إلا أن النص الخاص بالكنيسة والعالم قد بدأ كما سبق وأوضحنا بعبارة تقول: «إن الكنيسة تنوى أن تظهر بصورة أكثر دقة لأتباعها وللعالم بأسره طبيعتها ورسالتها العالمية (البند الأول) أى «أن الطبيعة والرسالة كيان واحد لا انفصال فيه. فالكنيسة تعترف بمهمتها، ومهمة الكنيسة تبشيرية. والنشاط التبشيرى ليس نتيجة ما أو مطلباً يمكن إضافته من الخارج لكنه يمثل كيانها فى حد ذاته. إنها مرسله إلى العالم أجمع من قِبَل يسوع المسيح» (البند ١٧)

وفى عام ١٩٨٢ توجه البابا يوحنا بولس الثانى إلى مدينة شانت يقب شمال غرب إسبانيا، وهى آخر مدينة استد إليها الاسلام وأول مدينة سقطت فى حرب الاسترداد، ليعلن عبارته الشهيرة: «لابد من إعادة تنصير العالم!» عبارة شديدة الوضوح فى هدفها بدلا من تلك العبارة المضغمة السابقة.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت عبارة «موجة التبشير الثانية» من العبارات المألوفة الشديدة التردد والتكرار فى المحافل والمراجع وفى مختلف وسائل الإعلام الغربى المسيحى. أما الموجة الأولى فكانت تلك التى بدأ فرضها عند إعلان المسيحية ديانة رسمية أيام قسطنطين، وبدأت روما تفرض عمليات التنصير بالسلاح على مختلف الدول المحيطة بها، ثم بحروبها الصليبية التى شنتها على المسلمين، وعلى الأورثوذكس فى بيزنطة وعلى الكاتار فى جنوب شرق فرنسا.

واتخذت موجة التبشير الثانية عدة مسارات أو مجالات مختلفة وإن كانت تصب جميعها فى وعاء واحد: المؤتمرات، الخطب الرسولية، ووسائل

الإعلام المرئية والسمعية.. ومن أهم المؤتمرات التي انعقدت لهذا الهدف مؤتمر «لوزان للتصوير» عام ١٩٧٤، ومؤتمر كولورادو، في شمال أمريكا، عام ١٩٧٨ والذي حضره مائه وخمسون عالماً متخصصاً في شؤون التصوير وتم خلاله دراسة أربعين بحثاً تمثل في الواقع أربعين مدخلاً أو منفذاً يتسللون منه لتحويل المسلمين عن إيمانهم، ثم مؤتمر «مسيحيو الشرق» المنعقد في باريس عام ١٩٨٥، وقبله بعام مؤتمر آخر في إيطاليا والذي حضره ستة آلاف قس، تجمعوا من مختلف أنحاء العالم لتدارس كيفية استخدام الوسائل السمعية والبصرية في التصوير.

وتمت هذه الموجة التبشيرية بالتعاون مع الولايات المتحدة حيث تم إنشاء جمعية «الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية» في مدينة دلاس وتم إنشاء القمر الصناعي «لومن ٢٠٠٠»، تلك الأداة الطاغية التي عليها أن «تمطر الإنجيل على العالم بأسره» إضافة إلى إنشاء العديد من الإذاعات الدينية الموجهة والمترجمة إلى كافة اللغات. وإلى جانب ذلك تم إنشاء أو تدعيم العديد من المنظمات والمؤسسات الدينية التي تتولى التخطيط والتنفيذ الفعلي، ومنها على سبيل المثال «منظمة إمانويل»، و«أسد يهوذا» و«الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية» التي تحتكر أو تسيطر على ٧٥٪ من المطبوعات، و«جماعة أمبير» التي تسيطر على ثلاثة عشر داراً للنشر متخصصة في كتب الرسوم المتحركة للأطفال و«عمل الرب».

وإلى جوار كل هذا الحشد المهول لتصوير العالم واقتلاع الإسلام بخاصة، راحت أهم الخطب الرسولية للبابا تدور حول اقتراب الألفية الثالثة وتصير العالم، ومنها ما عبر عنه أولاً في الخطاب الذي ألقاه بعد تعيينه بسويغات في منصب البابوية في شهر أكتوبر عام ١٩٧٨. ثم عاد إلى نفس الموضوع في عام ١٩٧٩ في الخطاب المعنون: «المسيح فادى البشر»، ثم في الخطاب المعنون: «رسالة الكنيسة» الذي أصدره في شهر ديسمبر ١٩٩٠، ثم في

عام ١٩٩٤ الخطاب المعروف باسم «مع اقتراب الألفية الثالثة» ذلك الخطاب الذى قالت عنه جريدة لوفيجارو إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة (١١/١١/١٩٩٤). والبيان يأخذ هنا بالطبع معنى المنشور السياسى الذى يتضمن الخطوات التنفيذية.. وقبل هذا مباشرة كان قد اجتمع آلاف الفرنسيين الكاثوليك فى مدينة «لورد» من ٤ إلى ٩/١١/١٩٩٤ فى لقاء بعنوان «كيفية تبشير الكوكب»! والمعروف أن فرنسا العلمانية، أو تلك التى تتغنى بعلمانيتها تتحمل ثلثى تكاليف عمليات التبشير من أموال ومعدات وأشخاص بسبب أو فى سبيل إعلانها فصل الدين عن الدولة!!

٥ توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما

لقد كان موضوع دور الكنيسة فى العالم من أهم الموضوعات المحركة لهذا المجمع ذلك أنه دور متعدد الجوانب وقائم على فكرة التفرد فى سيادة العالم والتحكم فيه، وهذه السيادة قائمة على استبعاد الآخر. وإن كان هذا الاستبعاد هو أيضا متعدد الجوانب يتضمن شقين أساسيين: استبعاد الديانات الأخرى وخاصة الإسلام، وامتصاص الكنائس المنشقة وتوحيدها تحت لواء كاثوليكية روما تذرعا بأن هذه الانشقاقات تشوه صورة الكنيسة بعامة، والحث على ذلك التوحيد بزعم أنه السبيل الوحيد للتخلص من الإسلام والمسلمين خاصة بعد أن تزايد عدد المسلمين وأصبح يفوق عدد الكاثوليك فى العالم.

وحيث إن الخلافات عقائدية جذرية بين مختلف الكنائس المسيحية، وفقا لما هو وارد فى نصوصها، فمنها من لا تؤمن بأن السيد المسيح هو الله، ومنها من لا تؤمن بأن القربان يتحول فعلا إلى دم المسيح ولحمه عند تناوله، ومنها من لا تؤمن بأن السيدة مريم العذراء هى «أم الله».. فما زالت كل كنيسة منها تتمسك بعقيدتها - الأمر الذى دفع البابا يوحنا بولس الثانى إلى

عرض فكرة تغيير سبعين آية من آيات الأناجيل حتى تتقارب العقائد!

وفى حقيقة الأمر أن فكرة توحيد الكنائس ليست من بنات أفكار المجمع الفاتيكاني الثاني، فقد راودت المسؤولين عن ذلك التضارب العقائدى كلما واجه هذا البنيان هجوم عنيف من العالم الخارجى. وقد بدأ ذلك فى أواخر القرن الثامن عشر مع عصر التنوير، وفى مطلع القرن التاسع عشر، حينما كشف العلم كل ما يتضمنه البنيان الكنسى من تحريف، وخاصة فى مطلع القرن العشرين مع معركة الحداثة ومطالبة العلماء للكنيسة بتتقية النصوص مما بها من تناقض وتحريف، وخاصة مطالبتهم بإظهار إنجيل يسوع الذى تم إخفاؤه منذ البداية.. إلا أن مطلب توحيد الكنائس لم يبد بمثل هذا الإلحاح كما حدث فى هذا المجمع. وهنا يقول الأب لوجييو: «لأبد من ملاحظة تلك المفارقة: فمطلب توحيد الكنائس لم يصل إلى ذروته إلا فى اللحظة التى تتعرض فيها الكنيسة لواحدة من كبرى أزمتها على مر التاريخ.. ففى مختلف الكنائس تتولد تيارات لاهوتية تدين المسيحية ذاتها بنسف مضمون الكتاب المقدس وبعلمنة الرسالة الإنجيلية كلية (عهد جديد لتجميع الكنائس) ويقول الأب لوكافيشير فى نفس المرجع: «إن الكنيسة الكاثوليكية الرومية تواجه صعوبة خاصة، فهى تصر على أنها هى وحدها فقط لاغير كنيسة يسوع المسيح. وهذا الادعاء متوغل بعمق فى الفكر الكاثوليكي الرومى بحيث إن المساس به غير وارد»!

وعندما لم تنجح كل هذه المحاولات عاد البابا يعيد الكرة بالتأكيد على ضرورة توحيد الكنائس وأنه «لأبد من توحيد الصفوف للتصدى للمد الإسلامى» (الجغرافيا السياسية للفاتيكان). وهى نفس العبارة التى قيلت فى اجتماع المنظمات الصهيونية والمسيحية المتطرفة فى أول أبريل ٢٠٠٣ والمعروفة باختصار «إيباك» وهى تمثل اللوى الأمريكى المؤيد لإسرائيل.

٦ فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والعلمانيين؛

وهذه هي أول مرة في التاريخ الكنسى تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات وتعليمات رسمية تتعلق بتجنيد المدنيين، أو من هم خارج نطاق الإكليروس الرسمى، وتلقى على عاتقهم بمهمة المشاركة فى عمليات التصير «بحكم حصولهم على التعميد فى الصغر»، المشاركة بأى صورة من الصور «لإدخال تقاليد وعادات وقوانين وبنيات المسيحية فى المجتمعات التى يعيشون فيها».

وكانت الكنيسة منذ نشأتها تفرق بين الهيكل الوظيفى لرجال الإكليروس والمدنيين أو العلمانيين أو من هم خارج هيكلتها، وذلك حفاظا على تمسكها بالسلطة وعلى سيطرتها المعروفة على المجتمع. وظل الوضع على ما هو عليه، بل لقد أعلن البابا بيوس العاشر هذا الفارق قائلا فى خطاب رسولى عام ١٩٠٦: «إن الكنيسة هى أساسا مجتمع غير متساو، أى أنها تتضمن فئتين من الناس، الرعاة والقطيع، من يحتلون الدرجات المختلفة للترج والسلطة الكنسية، وكمّ الأتباع. وهتان الفئتان متميزتان فيما بينهما إلى درجة أن الرعاة وحدهم يمتلكون الحق والسلطة اللازمة لتحريك وقيادة باقى أعضاء المجتمع حتى نهايته. أما عن كمّ الأتباع فلا حق لهم سوى أن يتركوا أنفسهم للقيادة وأن يتبعوا الرعاة لقطيع مطيع».

ومع تزايد ما يطلقون عليه «التزيف الصامت للكنيسة»، أى أولئك الذين يغادرونها فى صمت مبتعدين عن كل ما بها من تحايل، ومع إعلان الكنيسة وإصرارها على تصير العالم، الأمر الذى لا يمكن أن يقوم به الرعاة بمفردهم - خاصة مع تناقص أعدادهم فى صمت.. فقد قرر هذا المجمع الفاتيكانى الثانى الاستعانة «بالقطيع المطيع» بأسره فى حربه ضد الإسلام والمسلمين. ومن لا يتخيل حجم عملية التصير الحالية، والإصرار الغريب الذى تدور به،

ما عليه إلا أن يفتح برنامج «ياهو» بالإنترنت، باللغة الفرنسية، ويبحث عن كلمة «تبشير» (évangélisation) ليقرأ رقم واحد وثلاثين ألفاً ومائة اسم منظمة وهيئة وجماعة مسيحية تتولى عملية التنصير عبر العالم!

٧ استخدام الكنائس المحلية في عمليات التبشير والتنصير

لاشك في أن هذين البندين (٧ و٦) يلقيان بظلال قاتمة على موقف بعض الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية وعلى أمانة ولائهم.. فهل يدافعون عن وطنهم ووحدته أم يطعنونه بإسهامهم في مخططات جد جهنمية وأبعد ما تكون عن الأمانة!

إن التاريخ يكشف بكل أسف، أنه ما من مواجهة تمت بين الغرب المسيحي والشرق المسلم إلا وكانت هناك خيانة ما من جانب بعض الأقليات المسيحية - حتى وإن كان فرداً واحداً، لكنه يوصم من حوله.. ففى الحروب الصليبية كان دائماً هناك نفر من الأقليات المسيحية يرشد الغزاة، وفى حملة نابليون بونابرت على مصر كان هناك المعلم يعقوب الذى كوّن فريقاً من الأقباط لمحاربة المسلمين بالتواطؤ مع الغزاة. وأيام الاستعمار البريطانى شاهدنا نفس التواطؤ الذى امتد حتى إلى التعيينات فى الوظائف. وهذه الكنائس المحلية يقع عليها الآن القيام بدور فعّال فى الحوار وفى عمليات التبشير وفقاً لما يقوله البند ٧٧ من رسالة الكنيسة.. ليتهم يحسنوا الاختيار.

٨ فرض بدعة «الحوار» كأسلوب للتنصير:

وتكمن أهمية هذا الأسلوب أو عملية الحوار فى الوقت الذى يمر فى المناقشات واللجان والمؤتمرات حتى تتم عمليات التنصير بلا مقاومة تذكر. ولقد تم إنشاء لجنة للحوار بين الأديان - وخاصة الإسلام، برئاسة الكردينال فرانسيس أرينزى عام ١٩٦٤، أى قبل أن ينتهى المجمع الفاتيكانى! كما تم

إنشاء لجنة أخرى برئاسة الكردينال يوسف تومكو لتولى مهام «تنصير الشعوب»، اعتماداً على تأكيدات البابا «أن المسيح قادم العالم هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر»، وذلك لأن «المسيح هو الله حقاً، وهو إنسان حقاً، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضاً، وهو البداية وهو النهاية» لأنه لا يتحدث إلى البشر «باسم الله مثل الأنبياء، وإنما هو الله نفسه الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت، وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. أما فى المسيحية فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة، وهنا لا يذهب الإنسان بحثاً عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصياً للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالتوصل إليه.. وبهذه الصورة فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» (البند ٤ و ٥ و ٦ من «عشية الألفية الثالثة»)

وقد أوردنا هذا الاستشهاد الطويل نسبياً لتوضيح المفهوم الكنسى الذى يصرّون على فرضه على العالم أجمع وخاصة على المسلمين الذين يؤمنون بأن الله عز وجل ليس كمثل شئ، وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد..

ولقد أصدرت لجنة الحوار بين الأديان ولجنة تنصير الشعوب وثيقة بعنوان «حوار وتبشير» بتاريخ ٢٠/٦/١٩٩١، تعد بمثابة ورقة عمل للمبشرين واللجان القائمة على عمليات الحوار التى يتم من خلالها فرض تنازلات لا يعلن عنها ونطالع فى البند ٢٥ من هذه الوثيقة: «أن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول فى الكنيسة، بمعنى أنها تمثل السر الذى يوجد فيه ملكوت الله».. فالهدف من الحوار يعنى «ارتداد الجميع إلى الرب، وذلك هو ما يعطى قيمة ذاتية للحوار، وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلى عن العقيدة الدينية السابقة والدخول فى عقيدة جديدة».

وبعدم التزام بقية سكان العالم من غير المسيحيين بهذا الأمر الصادر

من القيادة العليا للتعصب الكنسى، فقد تم إعلان تلك الحرب الصليبية الجديدة التى تعد بمثابة الحرب العالمية الرابعة فى العديد من النصوص. فالحرب العالمية الأولى والثانية معروف أبعادهما، والحرب العالمية الثالثة هى «الحرب الباردة» التى شنتها قوى اليمين لاقتلاع اليسار، والحرب العالمية الرابعة هى تلك الصليبية الحالية التى ترمى إلى اقتلاع الإسلام وفرض النظام العالمى الجديد القائم على نظام سياسى واحد ونظام دينى واحد حتى «تسهل قيادة العالم» - كما يقولون...

٩ إنشاء لجنة خاصة للحوار:

فى عام ١٩٦٤ قام البابا بولس السادس بإنشاء «المجلس البابوى للحوار بين الأديان» تحت اسم «السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين». فقد كان على المجمع الفاتيكانى أن يتبنى موقفاً جديداً فيما يتعلق بالعقائد الدينية الأخرى، موقفاً قائماً على «الانفتاح والاحترام». ولا نفهم معنى «الاحترام» هنا بما أنه قائم على فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح.. وإن كانت كل عملية التصير التى تمخض عنها ذلك المجمع تناقض كل قراراته الصادرة فى إحدى وثائقه الخاصة بحرية العقيدة إنه لا «يحق لأحد أن يفرض التصير عنوة»!

وهذه السكرتارية الخاصة بالحوار تتكون من حوالى ثلاثين أسقفاً وكردينالاً تم اختيارهم من جميع أنحاء العالم، ويجتمعون فى كل سنتين أو ثلاث فى هيئة جمعية عمومية وقد انعقدت أولى هذه الجمعيات عام ١٩٧٩.

كما تم اجتماع خمسين مستشاراً من المتخصصين فى الشؤون الدينية والحوار بين الأديان، للتشاور فى خط سير عمليات التبشير. وهم مجندون بعقود مدتها خمس سنوات ويقومون بعملية الاتصال بين المجلس وبين

الكنائس المحلية، كما أنهم يمثلون المجلس في اللقاءات الدينية ويقدمون له استعلاماتهم ومقترحاتهم وثمار أبحاثهم.

١٠ إنشاء لجنة خاصة لمهام التنصير:

قام البابا يوحنا بولس الثانى بالتنويه عن هذه اللجنة فى خطابه الرسولى المعنون «رسالة الفادى»، محددًا المهام التى تقع عليها قائلًا: «إن هذه اللجنة من سلطتها تنظيم وإدارة النشاط والتعاون التبشيرى على الصعيد العالمى». لذلك طالب كافة اللجان الرسولية ومنظماتها ورؤساء الأنظمة والقطاعات والمعاهد، بل والمنظمات العلمانية المنتمية للنشاط التبشيرى أن تتعاون بصدق مع هذه اللجنة، إذ من خلالها يمكن تحديد المناطق الملحة أكثر من غيرها بالنسبة للتبشير. إذ يتعين على هذه اللجنة الخاصة القيام بوضع خطة منطقية وعقلانية لعمليات التنصير وأولوياتها وفقًا لما تراه. وهذه اللجنة الخاصة بتنصير الشعوب لها ماضٍ طويل فى هذا المجال، لذلك يقع على عاتقها تحديد البرنامج العملى الذى وفقًا له تتخذ الكنيسة خطواتها فى مختلف عمليات التبشير بأشكالها المختلفة. لذلك يجب أن تكون شديدة الصلة بكافة الإدارات الخاصة بالكرسى الرسولى وبالكنائس الخاصة المحلية وبمختلف العاملين بالتنصير.

فلقد قامت «لجنة الدعاية».. وذلك كان اسمها فيما مضى، بتنسيق عمليات التنصير، بتحديد نوع نشاط الجماعة المكلفة بذلك وفقًا لاحتياجات كل منطقة. وقد كانت تراعى بقدر الإمكان توزيع المبشرين فى مختلف أرجاء العالم. واليوم تقوم لجنة تنصير الشعوب بذلك من خلال ٩٢٣ دائرة اكليريوسية موزعة أساسًا فى أفريقيا وآسيا.

١١ تغيير اسم محاكم التفتيش

لقد تم إنشاء محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر للتصدي لما تطلق عليه الكنسية أعمال الهرطقة التي تزايدت، بالتعاون مع السلطة البوليسية المدنية. وكان ترتيب عملها يبدأ باتهام مَّا بحيث كان يتعيَّن على المحكمة القيام بالتحقيق للحصول على الأدلة التي تؤدي الى البراءة أو إلى الإدانة. وسرعان ما انتشرت وسيلة الوشاية الكيدية خاصة مع موافقة البابا آنذاك على استخدام وسائل التعذيب للحصول على الاعترافات المطلوبة!

وكانت هذه النوعية من المحاكم قد بدأت قبل ذلك بكثير للتصدي للمنشقين عنها رافضين ما تقوم به من تحريف. فبدأ الأخذ بوسيلة «الحرق حيا» منذ القرن الحادي عشر تقريبا. ومع صياغة لاهوت الحروب الصليبية كتب البابا أوربان الثاني قائلا: «لنعتبر من يقوم بالحكم بالموت على أشخاص مطرودين من الكنيسة، دفاعا عن كنيستهم الأم، أنهم يقومون بأعمال قتل آدميين»! كما أقر مجمع لاتران الرابع إمكانية اللجوء إلى أشخاص متخصصين في التعذيب وفي الصراع ضد الهرطقة دفاعا عن الدين. وفيما بين ١٢٢٠ و ١٢٣٠ أصبح الحكم بالموت حرقا يتم بالاتفاق بين السلطتين الكنسية والبوليسية بأساليب متنوعة من التعذيب قبل الحرق حياً.

وقد توافق إنشاء هذه المحاكم في القرون الوسطى وخاصة في القرن الثالث عشر مع الحرب الصليبية التي قادتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الكاتار في جنوب شرق فرنسا وإبادتهم لانتمائهم إلى الأريوسية التي لا تقر مبدأ تأليه السيد المسيح وتعتبره نبيا من الأنبياء. أي أنهم كانوا أقرب الفرق المسيحية إلى الإسلام والتوحيد بالله فتمت إبادتهم والقلة الناجية منهم هم الذين كونوا مسلمي البوسنة.

ومن أواخر من أدانتهم هذه المحاكم العلماء المطالبون بالحدثة، ولاهوت التحرر.

وفى المجمع الفاتيكاني الثاني تم تغيير اسم هذه اللجنة من محاكم التفتيش إلى «لجنة عقيدة الإيمان» لإبعادها عن ذلك الماضي المثقل بالظلم والتعنت. إلا أن تغيير هذا المسمى رسمياً لايعنى أن محاكم التفتيش قد انتهت وإنما قد ازداد ارتباطها بعملية فرض التبشير والتصير.

تلك كانت باختصار شديد أهم بعض النقاط التي تمخض عنها مجمع الفاتيكاني الثاني والتي تمثل في مجملها «برنامج العمل» الذي يسرون وفقاً له لاقتلاع الإسلام وتصير العالم.



الفصل الثانى

حرب صليبية بأقوالهم وأفعالهم

رأينا من العرض المقتضب للمجمع الفاتيكانى الثانى كيف أن عملية تنصير العالم هى مسألة لا رجعة فيها بالنسبة للتعصب الكنسى، وكيف أن هذا الموقف يتفق مع تعصب السياسة الأمريكية وإصرارها على قيادة العالم بما أطلقوا عليه «نظام العولمة». أى أن يتم إخضاع العالم إلى نظام سياسى اقتصادى واحد بزعامة أمريكا، ونظام دينى واحد بزعامة كاثوليكية الفاتيكان. وما يعيننا هنا هو توضيح خلفيات هذه الحرب الصليبية الجديدة، الدائرة تحديداً منذ عام ١٩٦٥، بالمتاح من وثائقهم..

بدأت فكرة تجميع الكنائس المختلفة فى أواخر القرن التاسع عشر مع أزمة الأصولية والحدثة وبداية تحدى التقدم العلمى للكنيسة ولمخالفاتها التحريفية. وقد تم أول لقاء بين عدد منها عام ١٩١٠ فى مدينة أديمبورج. وبعد الحرب العالمية الثانية وتقسيم العالم إلى معسكرين أساسيين، أى بعد تزايد الخطر على الكنيسة وأصبح ما يتهددها قادماً من التقدم العلمى ومن اليسار؛ تم إنشاء مجلس الكنائس العالمى عام ١٩٤٨. وفى عام ١٩٦١ انضمت

إليها الكنائس الأورثوذكسية . ولم تكن قد انضمت إليها الكنائس المعمدانية الجنوبية فى الولايات المتحدة ولا الكنيسة الكاثوليكية الرومية والكنائس الشرقية التابعة لها. وحسبت الحرب العالمية الثانية الموقف لتجميع كل هذه الانشقاقات وتكوين ما عرف باسم «المجلس العالمى للكنائس»، الذى بدأ بمائة وخمس وأربعين كنيسة، وصل عددها إلى ثلاثمائة وواحدة وعشرين عام ١٩٩٥ .

وكان الهدف من تكوين هذا الاتحاد . كما يوضحه أندريه بيرمليه فى «قاموس اللاهوت»، هو «تضافر الجهود لتسهيل مهام المبشرين وعمليات التبشير، وكسر الحواجز بين البشر للإعداد لتحويل العالم إلى عائلة واحدة تحيا فى أمن وسلام» الأمر الذى يكشف أبعاد وخلفيات الأحداث التى تدور حالياً .. وأبعاد الإعداد لنظام العولة بالعديد من المجالات..

ويضم هذا المجلس أربعة أقسام لمواجهة مختلف أعماله المتعددة الجوانب. القسم الأول خاص بالمسائل العقائدية للتوحيد بين كافة الكنائس وخلافاتها العقائدية الجذرية؛ والقسم الثانى خاص برسالة الكنيسة التبشيرية وغرس الإنجيل فى مختلف الثقافات والحوار مع الديانات الأخرى؛ والقسم الثالث خاص بالتداخل مع التيارات الاجتماعية والسياسية لاستئصال العنف، وغنى عن القول أن المقصود بالعنف هنا هو «الإرهاب الإسلامى» كما يقولون؛ والقسم الرابع لقضايا المرأة والشباب واللاجئين والمهاجرين.

ومن أهم الأحداث التى تواكبت أو تتالت بعد المجمع الفاتيكانى الثانى الذى يمثل نقطة فارقة فى تاريخ الكنيسة وتوجهها، مؤتمر لوازن للتصوير الذى انعقد عام ١٩٧٤ ومؤتمر كولورادو للتصوير الذى انعقد عام ١٩٧٨ وضم مائة وخمسين باحثاً متخصصاً فى عمليات التبشير والتصوير، وإعلان البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢. عن بدء عملية التصوير الثانية فى العالم وإنشاء حزب تضامن فى بولندا الذى يمثل معول الهدم الأساسى فى اقتلاع اليسار إلى جانب احتفالية العام المريمى التى تمت عام ١٩٨٧ وكانت بمثابة

الضريبة القاصمة للاتحاد السوفيتي. وقبل ذلك بعامين، أى فى عام ١٩٨٥ انعقد مؤتمر مسيحي الشرق فى مدينة باريس. وفى عام ١٩٩٠ تم انشاء معهد الدراسات الإعلامية الدينية للتبشير فى بروكسل، ومن أهم ما يقوم به إعداد الصحفيين الذين يمكنهم توجيه الرأى العام لصالح عمليات التبشير والتنصير. وفى ١٩٩٢ ثم إصدار كتاب التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية وقد صيغ بحيث يتم تسهيل عملية تكوين «الكنيسة العالمية الموحدة»، و ضد كتاب التفسير الدينى الذى كانت قد أصدرته هولندا وألغت منه عقيدة الثالوث والعديد من البدع التى لم تعد تتمشى مع المنطق.

وفى عام ٢٠٠٢، وفيما بين ٢٣ مايو وأول يونيو، بدأ فى فيينا المؤتمر التمهيدي للمؤتمر العالمى للتبشير الذى سينعقد سنة ٢٠٠٥. وفى ٢٧ مايو ٢٠٠٢، فى اليوم الرابع لذلك المؤتمر التمهيدي قال رئيس الوزراء النمساوى، وولفجانج شوسل، «إن أوروبا بحاجة إلى مسيحيين منتمين فى السياسة. وذلك لا يعد حقاً فحسب وإنما واجباً عليهم». وذلك أمام جمهور مكون من ٢٠٠٠ من رجال التبشير بينهم العديد من الأساقفة. كما أكد رئيس الوزراء النمساوى فى مداخلة ارتياحه لأن الاتحاد الأوروبى سوف يضم إليه قريباً بلدان أوروبا الشرقية، التى تحررت بفضل جهود البابا يوحنا بولس الثانى لإسقاط الستار الحديدي. وأنه يتعين على أوروبا الجديدة ألا تبعد عن عينها بلاد البلقان ولا بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وخاصة قارة أفريقيا التى يتناساها المجتمع الدولى. بل إنه يتعين على المسيحيين أن يتصرفوا مثملاً فعلوا فى أيام المسيحية الأولى، وأن يهتموا بنشر الدعوة عبر العالم».

وتقوم لجنة التبشير والتنصير التابعة للمجلس العالمى للكنائس بالإعداد للمؤتمر العالمى للتبشير والتنصير الذى سوف يعقد فى الربع الأول من عام ٢٠٠٥. ويقع تاريخ هذا المؤتمر، عام ٢٠٠٥، فى منتصف «العقد الخاص بالتصالح بين الكنائس من أجل تنصير العالم». ويقول القس جاك

ماتى، منظم فريق العمل بلجنة «التبشير والتصير»: «فى مثل هذا المفهوم يتعين علينا استشفاف مفهوم المصالحة حتى الثمالة لكى يمكننا تجديد ممارسة مهام التبشير والتصير». ويتأس هذه اللجنة الخاصة بالإعداد للمؤتمر العام، الراعى روث بوتوفر من اتحاد المعمدانين ببريطانيا العظمى!

يوضح هذا العرض الشديد الإيجاز أبعاد الترسانة الكنسية التى تتولى مهمة اقتلاع الإسلام وتصير العالم. أما الترسانة الدينية التى أعدتها سياسة الولايات الأمريكية لقيادة حريها الصليبية ضد الإسلام فتبدأ بذلك التصريح للرئيس جورج دبليو بوش الذى أذاعته هيئة الإذاعة البريطانية يوم ١٩ / ٣ / ٢٠٠٢ فى فترة السادسة صباحاً: «إن الرئيس جورج بوش قد أعلن: سواء تنحى الرئيس صدام حسين أو لم يتتح فهو سوف يجتاح العراق لتركبتها ولفرض العلمانية عليها لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب فى الشرق الأوسط وفى العالم بأسره»! «والتتركة» هنا تعنى فرض النظام التركى القائم على فصل الدين عن الدولة واقتلاع اللغة العربية التى هى لغة القرآن واستخدام الأبجدية اللاتينية. الأمر الذى يحاولون تعميمه حالياً إذ بدأ فرضه على بعض البلدان العربية فعلاً.

وقبل أن تنتهى تلك الحرب الفاشمة على العراق، أعلن الرئيس بوش: «إن الدراسة سوف تتوقف فى العراق حتى العام الدراسى القادم إلى أن يتم تغيير المناهج».

ومع بداية تلك الحرب بدأت التعليقات الصحفية تتحدث عن وجود المبشرين بين صفوف رجالها. وفى الرابع من شهر أبريل ٢٠٠٢، كتب هنرى تانك فى جريدة لوموند الفرنسية ذلك المقال الذى أوردنا نصه سالفاً، قائلاً تحت عنوان «المبشرون المعمديون فى شاحنات الجيش»: «إن المبشرين الأمريكين لا يضيعون الوقت. فهم يعسكرون عند أبواب العراق، مستعدون للانطلاق لنجدة الشعب «ماديا» و«روحيا» ما إن يتم تحريره من صدام

حسين. إن «جمعية المعمدانيين بالجنوب» تعد من أهم الكنائس بالولايات الأمريكية التي أيدت الحرب (وتضم ١٦ مليوناً من الأتباع) وكذلك جمعية «صندوق السامريين» التي يترأسها فرانكلين جراهام، ابن المبشر الكبير بيلى جراهام، ولديهم حالياً فرقٌ بأكملها عند الحدود الأردنية.

«ومعمدانيو الجنوب، الذين مقرهم في مدينة دلاس، قد شحنوا معدات بمبلغ مائتين وخمسين ألف دولار. وقال الأب جون (الذي لم يفصح عن اسمه الحقيقي) إن الهدف هو مساعدة معسكر اللاجئين قبل أن ندخل العراق بحثاً عن أماكن ننغرس فيها بالجنوب ونكون بها فريق عمل من المبشرين المعمدانيين. كما تستعد جمعية «صندوق السامريين» لإرسال حوالي عشرة أ. ب. وكان وكنديين متخصصين في «الإنقاذ السريع». ويصر هؤلاء المناضلون من أجل الإنجيل على دخول العراق لعرض العقيدة المسيحية متفادين أي «ضوضاء» يمكنها أن تعطل عملهم. إن هذه المحاولات تثير السخط حقاً. ويقول ابراهام هوبس، ممثلهم في العراق، إنه مذعور من هذا الإنزال للمبشرين..

«وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، تميّز أسلوب مبشرى الحركة الإنجيلية من أمثال فرانكلين جراهام بنقدهم اللاذع ضد الإسلام والمسلمين. الأمر الذى يجعل من وجودهم، على حد قول هوبس، تأكيداً للحرب الصليبية ضد الإسلام».

وفيما بين ٣٠ مارس وأول أبريل ٢٠٠٣ أقيم المؤتمر السياسى الرابع والأربعين للإيباك (لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية) بحضور ألفين وخمسمائة عضو وأكثر من ألف مدعو من نخبة القادة السياسيين اليهود والأمريكان، لمناقشة حرب العراق وإعادة تشكيل الشرق الأوسط. والإيباك تعرّف نفسها بأنها «اللوى الأمريكى المائئ لإسرائيل». وقد بدأت المناقشات بكلمة من المبشر جارى بوير، المنافس السابق للرئيس بوش فى الانتخابات الأولية للحزب الجمهورى معلناً: «لقد أعطى الله أرض إسرائيل للشعب

اليهودى» وأنه «لا يمكن لأحد، لا هيئة الأمم المتحدة، ولا الاتحاد الأوروبى، ولا روسيا، ولا أى رباعى أو ثلاثى إن كان يمكنه أن يقرر أى شىء حول هذه الأرض التى ليست ملكاً لهم!» ثم أنهى كلمته قائلاً: «إنه لأمر فاحش أن تطلب إدارة بوش من الشعب الإسرائيلى جهوداً إضافية من أجل السلام»!!

بينما علق بنى إيلون، وزير السياحة الإسرائيلى قائلاً: «إن موقف الولايات الأمريكية معروف وليس بجديد، وإن مهمتنا هى أن نتأكد من أنه لن يتم إقامة دولة فلسطينية تمثل مخاطر متعددة لإسرائيل». وقد جاهد الحاضرون بإصرار وبكل ما أوتوه من جهد حتى لا تتضمن «خارطة الطريق» أية تواريخ ملزمة لإسرائيل. ولا أية إشارة إلى القدس أو إلى عودة اللاجئين ولا إلى ذلك السور المسمى «سور العار» الذى تبنيه إسرائيل. وقد وعدتهم كوندوليسا رايس بذلك وهى تؤكد قائلة: «قد تكون سوريا وإيران الأهداف القريبة لتحالفنا. بينما علق جون بولطن وكيل الوزارة قائلاً: «أعتقد أنه لا يوجد بيننا ساذج واحد يمكنه تصور أن درس العراق وحده سيكون كافياً»!!

وبانتقال الحديث إلى الدين ومعركة هرمجدون وأنه سيتعين على اليهود عندئذ الاعتراف بيسوع على أنه المسيح الذى ينتظرونه، بينما قال البعض الآخر «إن هذا الاختلاف لن يتضح إلا فى آخر الزمان، غير أن الأهم من هذا الخلط وذاك هو تكوين تحالف قوى ضد العالم الإسلامى... ذلك هو موجز ما أورده توم سان بيير تحت عنوان «الأصوليون يؤيدون الحرب».

أما جريدة أومانيتيه الصادرة فى ٢١ / ٤ / ٢٠٠٣، فقد نشرت تحت عنوان: «حرب بوش ومشاريع التبشير للأصوليين الأمريكان»: «أن الأصوليين المسيحيين الذين يحومون حول جورج بوش يستعدون هم أيضاً لغزو السوق العراقية، وذلك لنشر الإنجيل. بينما يتم فى الغرب عملية توزيع الغنائم على هيئة عقود لإعادة البناء. فإن المسؤولين عن الجانب الدينى فى جمعية المعمدانين فى الجنوب لا يتوون الوقوف مكتوفى الأيدي. وهم يمثلون إحدى

أهم القوى الصاعدة للحزب الجمهورى بزعامة وزير العدل جون اشكروفت، ويعملون فى تضافر مع المبشرين التليفزيونيين بات روبرتسون وجيرى فانويل وشارل ستانلى، وجميعهم يغلفون مواعظهم الدينية بالعلم الأمريكى ويؤيدون الحرب ضد العراق بلا حدود.

«ومن المعروف أن أحد القادة العسكريين الأمريكان قد أعلنوا أن العراق تمثل سوقاً متفرداً استثنائياً لنشر الإنجيل، مبرراً بذلك طموحات المبشرين لليمين المسيحى الذين ينتظرون الفرصة السانحة. ومن الواضح أن عملية تبشير بلدان العالم الثالث ليست بجديدة إلا أن الطبيعة الزائدة الوطنية والعدوانية لخطب ستانلى يمكنها أن تفسد النسيج الاجتماعى العراقى، وتقلل من مصداقية الحملة الأمريكية فى نظر المسلمين. ذلك لأنه يصف المسلمين فى الشرق الأوسط «كأشخاص لم يسمعوا أبداً عن الإنجيل بلغتهم وأنهم فى أشد الحاجة الماسة إلى ذلك». الأمر الذى لا يمل عن تكراره فى محطة تليفزيون الشرق الأوسط.

«ولابد من التنويه بأن الخطب التليفزيونية فى المنطقة لا تتميز «بالنبل المسيحى» على حد قول شارل كيمبال، الذى كان يعمل مع مجلس الكنائس بالشرق الأوسط بإسرائيل وفى لبنان عندما بدأ بات روبرتسون إذاعاته الإنجيلية أيام حرب لبنان... وكان جرى فانويل قد وصف النبى محمد بأنه إرهابى. الأمر الذى أدى إلى مصادمة دموية عنيفة بين المسلمين والهندوس فى أكتوبر ٢٠٠٢. بينما أعلن جاك جراهام عقب أحداث ١١ سبتمبر، «أن الإسلام دين منحرف وعنيف». إلا أن مثل هذه التعبيرات العنيفة المضمون والشديدة التعصب لم تمنع جورج بوش من دعوة جراهام لإقامة قداس الجمعة العظيمة فى البنتاجون».

ومع بداية العدوان على العراق، أدانه الفاتيكان على أنه «جريمة ضد السلام». وقال البيان «إن من يقرر إن كل الوسائل السلمية الممكنة بفضل

القانون الدولي قد استُنفدت يقترف خطأً جسيماً أمام الله، وأمام ضميره، وأمام التاريخ» وقبل ذلك بيومين انتقد البابا يوحنا بولس الثاني هذه المبادرة العسكرية الإنجلو أمريكية قائلاً: «حينما تتهدد الحرب مصير الإنسانية كما فى مثل هذه الأيام فى العراق، فمن الأمور العاجلة أن نعلن بصوت قوى حاسم أن السلام الذى يفرضه وحده يمثل الطريق لبناء مجتمع أكثر عدلاً وتضامناً». وكان البابا يوحنا بولس الثانى قد دعى جورج بوش فى الأسبوع السابق «إلى إعادة التفكير فى واجباته». ولا يكف البابا عن إدانة هذه الحرب الوقائية التى يصفها على أنها «فعل إجرامى» وفى أحاديث أخرى بأنها «من وحى الشيطان»!

وفى ١٥ فبراير ٢٠٠٢ كان البابا قد أرسل الكاردينال إيتشيجارى إلى صدام حسين ليحثه على التعاون مع منظمة الأمم المتحدة، وبعد ذلك بأيام أرسل الكاردينال بيو لاغى فى مهمة رسمية إلى واشنطن. بل لقد قام بتحويل الفاتيكان إلى ملتقى دبلوماسى ليستقبل على التوالى كل من بوشكا فيشر وزير الخارجية الألمانى، وطارق عزيز نائب رئيس وزراء العراق، وكوفى عنان، وشقيق خاتمى الرئيس الإيرانى، وخوزيه ماريا أزنار رئيس الوزراء الإسبانى، وكذلك سيلفيو برلوسكونى، وقبلهم تونى بليز..

وفى العشرين من شهر مارس ٢٠٠٢، مع بداية العدوان، أعلن «راديو الفاتيكان» متهماً خطورة «الديمقراطية الإمبريالية» للولايات المتحدة التى «نصبت نفسها حكماً على كل شىء» متهماً جورج بوش بأنه «لا يحق له ادعاء التصرف باسم المسيحيين أو باسم القيم الغربية أو حتى باسم الله»، ثم أدانته متهماً تلك «الإدارة التى تعطى نفسها مهمة إنقاذ ذات طابع حرب صليبية». بل لقد وصل اعتراض البابا على هذه الحرب قبل اندلاعها بإعلانه يوم ٥ مارس يوم صوم عام من أجل السلام!

ويتساءل جان ميشيل ديميتز، مراسل مجلة إكسبرس العدد الصادر في (١٧ / ٥ / ٢٠٠٣) عن سر تحول البابا عن ذلك التضامن بينه وبين أمريكا والذي يرجع إلى أيام الرئيس ريجان وصراعهما المشترك ضد اليسار، وما الذي يدعو البابا إلى مثل هذا النشاط الذي لم يبذل مثله أيام حرب الخليج عام ١٩٩١ ولا أيام حرب كوسوفو عام ١٩٩٩! وأكثر ما يخشاه البابا هو أن تنفرد الولايات الأمريكية وحدها بالسلطة من خلال مفهوم النظام العالمي الجديد الذي يسمح لها باللجوء إلى القوة وحدها.

ويوضح جان ميشيل ديميتز في مقاله هذا «إن حقيقة ما يخيف البابا من هذه الحرب هو أن تؤدي إلى رد فعل لدى الأصوليين الإسلاميين، وتزايد الأخطار على الأقليات المسيحية المحاطة أو المحاصرة في الأراضي المسلمة!» أي أن نيافة البابا لا يعارض الحرب حبا في الإنسانية ولكن دفاعاً عن الأقليات التابعة له والتي يستعين بها ويعتمد عليها في عمليات التصير التي يقودها.. ومن اللافت للنظر هنا أنه ما من أحد قد تحدث عن هذه الجزئية التي تمثل «حقيقة» ما يخيف البابا من هذه الحرب الكاسحة ضد العراق، وإن كانت كافة الأقلام راحت تتغنى بمهاجمته لها!. والغريب أنها جزء لا يتجزأ من حديثه في ذلك المقال، بل ويمثل الخاتمة والخلاصة التي خرج بها كاتبه..

وفي الاجتماع السنوي للكنيسة الميثودية المتحدة، المنعقد في ٤ / ٣ / ٢٠٠٢، قال السيناتور إدوارد كيندي، الذي كان قد صوت ضد حرب العراق، بعد أن شكر الكنيسة على كل ما تقوم به من جهود لمساندة السلام: «إن حرب العراق تضعنا أمام احتمال اشتعال الشرق الأوسط وإثارة موجة جديدة من العداء ضد أمريكا في البلدان الأخرى، الأمر الذي يمكنه تدعيم مواقف الإرهابيين، خاصة إذا ما وقف العالم الإسلامي ضدنا... إن حرق العلم الأمريكي أصبح من الطقوس المعتادة في عواصم العالم العربي، ووصف أي شخص بأنه «أمريكي» أصبحت سبّة في العديد من تلك البلدان... إن

استتباب الوضع في العراق يتطلب وجود أكثر من مائتي ألف جندي، ولدينا سبع وثلاثون ألفاً في كوريا الجنوبية، وثمانية آلاف في أفغانستان، وخمسة آلاف في البلقان، وأكثر من ألف في كل من الفلبين وفي كولومبيا. أليس هذا تناثراً شديداً لقواتنا؟.. لقد استدعينا إلى الخدمة مائة وسبع وستين ألفاً من الاحتياطي ونعلم تكلفة ذلك ووقعه على العائلات وعلى القوى الإنتاجية والوظائف الشاغرة...».

وفي ١٢ / ٤ / ٢٠٠٢ طالبت سينتيا ماكينى، النائبة الديمقراطية عن الدائرة الرابعة في ولاية جورجيا، أن تقوم الحكومة بتقديم البيانات عن تلك الحرب التي تحوم حولها الشبهات «خاصة وأن هناك صراعات مصالح كبرى تورط الرئيس وقائد القوات المسلحة ونائب الرئيس والعديد غيرهم في تلك الإدارة، وقد تكشف بعضها». وذلك في تقرير بعنوان: «يتعين على الرئيس بوش أن يجيب على الأسئلة التي تثيرها أحداث ١١ سبتمبر، وهو التساؤل الذي بدأت به تقريرها الذي قالت فيه: «هناك العديد من التحقيقات الصحفية المنشورة في جريدة شبيجل، وفي الأوبزرفر في لندن، وفي لوس أنجلوس تايمز وعلى شبكة MSNBC وعلى CNN وكلها تؤكد أن الإدارة قد تلقت تحذيرات قبل وقوع الأحداث، وأنها لم تعرها اهتماماً.. ونطالب بإجراء تحقيقات عاجلة خاصة وأنه أثناء أحداث سبتمبر هذه كان والد الرئيس دابليو بوش مرتبطاً في أعمال تشييدية مع عائلة بن لادن عن طريق جماعة كارلايل والعديد غيرها»..

ولم نشر إلى هذا التقرير إلا لنوضح التعميم المفروض على الحقائق التي تشير إلى تورط أمريكا في تلك الأحداث التي تناولها عدد لا يستهان به من الباحثين ومنهم تيرى ميسان في كتابين هما «الاحتيايل الرهيب»^(١)

(١) أهم الإصدارات التي تكشف خفايا ١١ سبتمبر وقد تم نشره بالعربية باسم الخديعة الرهيبة نشر دار الوليد - دمشق ٢٠٠٢ ترجمة رندة بعث.

و«البنجاجيت»^(١)!

وفي ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٣ نشرت جريدة لوموند الفرنسية تقريراً صادراً عن البنجاجون بعنوان «العتاد الحربي لقوى التحالف كان أكبر مما تم إعلانه». وقد جاء به «بدلاً من ١٢٠٠ طائرة معلنة، استخدم التحالف في الواقع ١٨٠١ طائرة ألقت على العراق ٢٩١٩٩ قنبلة وقذيفة، منها ٩٢٥١ لم تكن موجهة بدقة. إن الوقود المستخدم يساوي ما قد تستخدمه طائرة بوينج - ٧٢٧ في طيران متواصل ليل نهار لمدة عشرين عاماً على التوالي!

«من بين هذه الطائرات الـ ١٨٠١، كانت ١١٣ بريطانية، و ٢٢ أسترالية، و ٣ كندية. إضافة إلى ٢٥٠ مزودة وقود أثناء الطيران. وقد أحصى الجنرال مايكل كوزلي عدد ٣١١٥٩٧ قذيفة سعة ٣٣ مم و ١٦٩٠١ سعة ٢٠ مم تم إطلاقها من مدافع الطائرات ونصف الـ ٤١٤٠٤ طلعات جوية كانت لمساندة الفرق الأرضية.

«إن قوى التحالف ضد صدام حسين قد ألقت ٢١,٨ مليون منشور دعائي ديني وسياسي يدعو الشعب العراقي والجنود العراقيين إلى عدم طاعة النظام القائم. وكافة الطائرات، بما في ذلك حاملات القنابل الثقيلة بـ ٥٢ - قد كُرسَتْ لهذه المهمة. كما قامت القوات الأمريكية باستخدام ١٥ طائرة تجسس يو ٢ (وليس ثلاث طائرات فقط كما قيل سابقاً) و ١٦ طائرة موجهة عن بعد بلا طيار، منها سبعة مزودة بصواريخ جو أرض خارقة تم استخدامها ضد أهداف محددة.

«كما قامت ٨٠ طائرة تجسس من الحلفاء بجمع ٤٢٠٠٠ صورة فيديو وتسجيل ٢٤٠٠ ساعة تصنت الكتلونى فوق العراق. وقد أعلن الجنرال ريتشارد مايرز قائد القوات الأمريكية، استخدام أنظمة جديدة للقيادة

(١) فضيحة البنجاجون نشر دار الوليد دمشق ٢٠٠٢ ترجمة رتدة بعث.

والاتصال. ومن المعروف أنه أثناء الحرب العالمية الثانية كان البث يتم بواقع ستين كلمة فى الدقيقة، وصلت إلى مائة فى حرب فيتنام. وفى حرب الخليج سنة ١٩٩١ وصل إيقاعها إلى ١٠٠٠٠٠ كلمة فى الدقيقة، أى ما يوازى قاموساً بأكمله كل دقيقة. وفى هذه المرة، فى عام ٢٠٠٢ فى حرب العراق، وصلت سرعة الرسائل مضروبة فى ثلاثين عما كانت عليه منذ اثنى عشر عاماً: «ومن اللافت للنظر أن كلا من ماييرز وموسلى لم يبديا أية تقديرات عن الخسائر العراقية لا فى المدنيين ولا فى العسكريين».

وفى اليوم التالى، وبعد نشر بيانات هذه الهجمة اللا إنسانية على العراق، أعلن بول وولفوينز: «إن وجود أسلحة دمار شامل بالعراق لم تكن إلا ذريعة»! وذلك ما نطالعه فى جريدة لوموند الصادرة فى ٣٠ / ٥ / ٢٠٠٢: «لقد اتفقنا على مسألة محددة، هى أسلحة الدمار الشامل، لأنها السبب الوحيد الذى لا يمكن لأحد أن يعترض عليه. كما أن هناك سببا آخر لم يلاحظه أحد تقريباً وإن كان شديد الأهمية، وهو: إن إسقاط صدام حسين سيسمح للولايات المتحدة بسحب قواتها من المنطقة العربية (...)

ومن اللافت للنظر أن فرانسس فوكويا أستاذ الاقتصاد السياسى الدولى ومؤلف «نهاية التاريخ»، كان قد كتب قبل ذلك بأسبوعين، أى فى ١٥ / ٤ / ٢٠٠٢، تحت عنوان: «إنه الوقت المناسب لكى تسحب الولايات الأمريكية من السعودية»، قائلاً: «إن الولايات المتحدة قد استعرضت قواتها فى العراق ووصلت إلى ذروة قوتها. ويتعيّن عليها أن تنتهز فرصة هذا الموقف القوى المتفرد. فلا يجب أن تبدأ بمهاجمة عدو جديد ولا يجب عليها أن توسع إمبراطوريتها كما يطالب البعض، بل على العكس، يجب أن ننسحب وننتهز فرصة النصر لسحب قواتنا العسكرية فى الخليج منذ ١٩٩١، لمراقبة منطقة الطرد الجوى لجنوب العراق. إن هذه القواعد كانت دائماً تثير غضب الشعب وتمثل عدم استقرار دائم. لذلك كانت من الأهداف الأولى للمتشددين. إنها

اليوم غير ذات فائدة وانسحاب قواتنا سيوضح للعرب أن الولايات المتحدة لم تأت إلى المنطقة لتغزوها (...). إن البعض يتهمنا بالخبث والرياء (...). بينما نزعم أننا ندافع عن الديمقراطية. إن انسحاب قواتنا بعد ١١ سبتمبر كان سيبدو كانهزام، أما اليوم سيُنظر إليه كأنه كرم وشهامة من جانبنا.

«وفى رسالتي حول «نهاية التاريخ» أوضحت أن العالم قد ارتبط بسياق العولمة التي تؤدي إلى الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق. أي أنه على المدى البعيد، فإن الإسلام لم يعد يمثل بديلاً له مصداقيته لأنه لا يخاطب غير المسلمين، كما أنه لم يعد يفى بتطلعات المسلمين التابعين له».

وتم اجتياح العراق وفقاً لما أعلنه جورج بوش قبل المدة المحددة لانسحاب صدام بيومين، وتم نهب ثرواته الحضارية.. فعلى مدى أسبوع تم نهب أكبر سبعة متاحف قومية بالعراق وحرق مكتبتها القومية.. أي تم انتزاع هوية واحدة من أقدم بلدان العالم من كنوزها الأثرية والفنية على مرأى ومسمع من قوى التحالف.. وبينما حاولت وكالات الأنباء الأمريكية تقديم عملية النهب التدميرية هذه على أنها «شئ طبيعي»، بدأ الحديث عن عمليات نهب «منظمة».. ويقول جريمى بلاك، أستاذ التاريخ القديم للعراق في جامعة أوكسفورد، «إن البنتاجون قد استقبل بعض المتخصصين الأثريين قبل بداية العدوان، وقاموا بالتنبيه على الأماكن التي يتعين حمايتها، ومن الغريب ألا تؤخذ هذه التحذيرات في الاعتبار». ويضيف دونى جورج، مدير الأبحاث والدراسات بالمتحف القومي العراقي ببغداد «إن اللصوص كانوا من المحترفين، إذ أنهم لم يمسوا القطع المقلدة. لقد كانت عملية سرقة مرتبة مسبقاً». وقد أوضحت جريدة الإندبندنت بهذا الصدد «أن أجهزة الناظم الآلي بالمتحف والتي تضم بيانات المجموعات الأثرية قد تم سرقتها وسرقة الإسطوانات التي تم تخزين المعلومات عليها، بحيث لا يمكن معرفة ما كان يتضمنه المتحف، وبذلك سيصعب تتبع أو تفقد عمليات تهريب أو بيع هذه

القطع فى الخارج».

أما جريدة الجارديان فقد أوضحت أن تسعة من رجال الآثار البارزين قد اتهموا ذلك التحالف الذى تم إنشاؤه عام ١٩٩٤ باسم «المجلس الأمريكى للسياسة الثقافية»، وأنه قد اتصل بجهاز الدولة وبجهاز الدفاع، قبل بداية العدوان، لتخفيف القوانين التى تحمى العراق وتمنع خروج تراثها الأثرى أو إتلافه، فقد كان الهدف من هذا المطلب إمكانية تسهيل عملية خروج الآثار من العراق، وهى تجارة ممنوعة منذ أيام الحماية البريطانية عام ١٩٢٤، وقد تم تشديد هذه القوانين سنة ١٩٧٥. وما يخشاه هؤلاء العلماء هو أن الولايات المتحدة تستغل حكومة الوصايا القائمة حالياً فى العراق لتسهيل عملية خروج أو تصدير هذه الآثار المنهوبة».

وكانت محطة يورو نيوز قد أذاعت فى ١٩ / ٤ / ٢٠٠٣، أى قبل ما تقدم بعشرة أيام أن بعض القطع المنهوبة من العراق بدأت تظهر فى بعض بلدان أوروبية». فقد تم نهب آلاف القطع، من بينها أندر مجموعة ألواح فى العالم مكونة من ٨٠٠٠٠ رسالة حجرية مكتوبة بالخط المسمارى، ومخطوطات قديمة جداً من القرآن».

كما تم نهب مكتبة الأوقاف، وهى المكتبة الإسلامية الرئيسية فى العراق والقريبة من المكتبة الوطنية، وقد أضرمت النار فيها. وتحتوى هذه المكتبة على نسخ من المصاحف والمخطوطات الدينية التى لا تقدر بثمن. وقد جاء تخريب المكتبات الذى وقع يوم الاثنين الموافق ١٤ / ٤ / ٢٠٠٣، بعد ثلاثة أيام من أعمال النهب التى أفرغ فيها الناهبون المتحف الوطنى العراقى من كنوزة المكونة من الآثار القديمة البابلية والسومرية والأشورية ومجموعات من المقتنيات التى تؤرخ لدور المنطقة كمهد للحضارة قبل آلاف السنين..

وكان بالمكتبة نسخ لكافة الكتب التى نشرت بالعراق، إضافة إلى كتب قديمة نادرة عن بغداد وعن المنطقة، وكتب هامة فى تاريخ اللغة العربية

ومخطوطات من الحقبة العثمانية والعباسية.

كما قامت الولايات المتحدة بالاستيلاء على منابع البترول وموارد المياه وإسناد عملياتها إلى الشركات التي كانت قد ساندت جورج دابليو بوش في حملته الانتخابية. الأمر الذي سيضع الولايات المتحدة، إضافة إلى ما تملكه من منابع في البلدان الخليجية وأفريقيا، في مكانة الصدارة، وهو ما سوف يساعد على إدارة عجلة الشركات الكبرى المنتجة للسلاح والتي سمحت بانتصار ذلك التحالف. كما سوف يتم التحكم في الموارد المائية بإسناد إدارتها . وفقاً لما أعلنه بوش . إلى نخبة مختارة من العاملين بالمخابرات المركزية الأمريكية أو بالدرجات الوظيفية الكبرى بالبنجابون.

وتم إسناد عمليات الإنشاء والبناء والإصلاح وإعادة التأهيل للعناصر الحيوية للبنية التحتية العراقية، بما في ذلك مراكز الطاقة وأنظمة الري ومواردها والمواصلات والمستشفيات والمدارس وغيرها إلى شركة بشتل الأمريكية الشديدة الصلة بإدارة بوش وعائلته..

ولم يمض شهر على وقف العدوان المسلح شكلاً أو رسمياً، حتى بدأ الحديث عن ذلك الانهيار غير المتوقع للعراق.. وبدأ الحديث عن الخيانة.. وعلى الرغم من أن هذه العبارة قد انطلقت فور ذلك السقوط المدبر، في جميع أنحاء العالم، إلا أن الأسماء التي ساهمت فيه، والمبالغ التي تم دفعها لم تكن قد لاحت بعد.. ويقول جاك إيسنار في مقال بجريدة لوموند الصادرة في ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٣ «خيانة صدام حسين بجنود رشاهم الأمريكان»

وبدأ الكاتب مقاله بأن الأجهزة السرية الأمريكية كانت قد دفعت ٩٠ مليون دولار لرؤساء القبائل في أفغانستان لشراء مساندتهم.. «وكذلك تمت رشوة قادة عسكريين عراقيين من جانب الأمريكان لكي لا تساهم قواتهم في المعارك في الأيام الأخيرة من الحرب وإن تكف عن مساندة صدام حسين». وكانت مجلة «دفنس نيوز» قد نشرت ذلك الخبر في عددها الصادر في ١٩

مايو ولم يصدر أى تعليق فى واشنطن. وقد اكتفى الجنرال تومى فرانكس، قائد العمليات فى أفغانستان وفى العراق، بأن أعلن يوم ٢٧/ ٥ بأنه فى حوزته خطابات من القادة العراقيين يؤكدون ولاههم له. وكان وزير الدفاع قد أعلن عشية الحرب «أنه يساوم» مع المسئولين فى الحرس الجمهورى. بينما علّق قائد القوات الأمريكية، ريتشارد مايرز، ضرورة «تحييد أعمدة الحكم مباشرة»..

وتحدثت الجرائد عن الأسماء، وكلها تدور حول بعض كبار القادة المقريين لصدام ومن أفراد عائلته.. والغريب أن أحداً لم يتحدث عن الدور الذى لعبه طارق عزيز.. ولعل ذلك يرجع إلى تلك الحجة المائعة التى طال أو (باخ) تكرارها، وهى: لعدم إيقاظ الفتنة الطائفية!! إلا أن ما نطالعه فى كتاب كونستانس تيشيزارى المعنون «البايا، وكم من فريق؟» يوضح حقائق أخرى.

والمقصود بالفرق فى ذلك الكتاب هم أولئك القادة الذين يستعين بهم البابا يوحنا بولس الثانى فى تنفيذ مخططاته الجغرافية السياسية، وعددهم ١٧ أسقفاً، «يقود بهم البابا حرباً الباردة الجديدة».. والمعروف أن مصطلح «الحرب الباردة» كان يشير فيما مضى إلى الحرب التى شنتها الولايات الأمريكية لاقتلاع اليسار مع تضافر جهودها مع جهود الفاتيكان.

وفى الفصل السادس الذى يتناول مجازفات أو رهانات الشرق الأوسط، يعرض الكتاب لثلاثة أساقفة: جان لوى توران، الذى تم تعيينه فى لبنان، والأسقف ماريان أولس فى العراق، والأسقف جون جوزيف أوكنور فى القدس. وتبدأ الكاتبة بتحديد «أن الخطوط العريضة لسياسة الفاتيكان فى الشرق الأوسط تدور وفقاً للنموذج اللبنانى من خلال الحوار بين الأديان».. أى أن تقوم الأقلية المسيحية بتولى الرئاسة فى الدولة!

وترجع أهمية الأسقف أولس إلى أنه بولندى الأصل، ومن الذين عاونوا البابا فى جهوده المستميتة لاقتلاع اليسار. وتوضح الكاتبة أهمية اختيار العراق قائلة: «إن العراق يمثل برج مراقبة شديد الأهمية بالنسبة للأقليات

المسيحية المقيمة في المنطقة. وبما أن المقر في بغداد، فيمكن للكنيسة أن تنعم بأن تتخاطب مع وزير مسيحي هو طارق عزيز. وهذه الميزة لن يتأخر الدبلوماسي البولندي في استغلالها لصالحه» (صفحة ١٦٢)!

ونطالع في الصفحة التالية: «بعد الأسقف أولس هو أول من بدأ الصلة الحقيقية من العراق مع نظيره السوفييتي. وقد اعتمد الفاتيكان على ذلك الثنائي ليدير مناوراته أيام أواخر الحرب الباردة. وتحول مسكن الأسقف أولس في شارع سعدون ببغداد إلى ما يشبه صندوق الخطابات، وتحول هو إلى مرسل لتوصيل الوثائق والخطابات بين البابا وميخائيل جورباتشوف».

وتوضح الكاتبة أن من المهام الملقاة على الأسقف ماريان أولس «تولي مهام الحوار الشديد الحيوية مع مسؤولي الكنائس المسيحية الأخرى، لا في العراق وحدها، وإنما مع الأردن ولبنان وسوريا والقدس. وامتد نطاق عمله إلى قبرص حينما أوفده البابا ليمثل مجمع كنائس الخليج في مجلس الكنائس العالمي المنعقد سنة ١٩٩٢. لأنه في نظر البابا يتعين الاهتمام بمختلف هذه الجماعات، سواء أكانت خلقيدونية أو مارونية أو ملكية أو قبطية أو سريانية أو أرثوذكسية، فكلها في نهاية المطاف تخدم نفس الهدف» - والهدف المعلن بكل وضوح هو اقتلاع الإسلام وتنصير العالم.

أما جون جوزيف أوكورنر فتقول عنه الكاتبة «أنه يمثل ذلك الجيل الذي يعتمد عليه البابا منذ الثمانينيات لدفع موجة التبشير الثانية التي يقودها... وأيا كان الأمر فهو كأمرى يقوم بعملية التبشير محلياً ويساهم في نفس الوقت في تحقيق أهداف الغاية العليا للحرب الصليبية للبابا التي بدأها في مدينة سانت يقب (١٩٨٢) والتي عليها أن تتم في الشرق الأوسط».

وتنتهي الكاتبة بحثها قائلة: «إن الشرق الأوسط قد احتل مكان الجبهة الروسية كأولوية في الجغرافية السياسية للفاتيكان، التي تعتمد على أسقف بولندي في بغداد وآخر أمريكي في القدس.. إن البابا وكل رجاله يتفنون في

كيفية تجديد الأسس مع تلك العلاقة الواهنة مع الإسلام . الذى تعدى تعداد أتباعه حالياً عدد الكاثوليك، والصراع فى نفس الوقت ضد انبثاق الأصوليين الذين يوجدون بداخله .. لذلك يعتمد البابا على الحوار المسيحى الإسلامى الذى لا يهدف إلا إلى حماية الأقليات المسيحية التى تعيش وسط أغلبية مسلمة» (صفحة ١٧٧).

وإذا ما كان طارق عزيز قد تعاون، لكى لا نقول قد تواطأ إلى ذلك الحد فى تسهيل مهمة الأسقف ماريان أولس فى الدور الذى قام به لاقتلاع اليسار، فمن المؤكد أنه قد قام بنفس ذلك الدور لهدم صدام حسين والمساعدة على إدخال فرق التحالف وفرق المبشرين الذين كان نصف ما يحملونه من معدات عبارة عن أناجيل، كما أوضحت ذلك جريدة النيويورك تايمز فى العديدين الصادرين فى ٥ و ٦ أبريل!

وفى ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٣ أعلنت شبكة ال بي بي سى: «تقول مصادر الجيش الأمريكى: أن طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء فى حكومة صدام حسين يخضع لاستجواب يجريه معه مسؤولون أمريكيون بعد يوم من اعتقاله .. وقالت القيادة المركزية للقوات الأمريكية فى قاعدة السيلية فى قطر أن نائب رئيس الوزراء العراقى السابق محتجز لدى القوات الأمريكية. أما مراسل ال بي بي سى فى وزارة الدفاع الأمريكية فيقول ربما يكون طارق عزيز أهم المسئولين العراقيين الذين لقي القبض عليهم حتى الآن ..

وقد قامت مجموعة من الصحفيين بسؤال جورج بوش عن نبأ اعتقال طارق عزيز، لكنه لم يرد واكتفى برفع إبهامه تعبيراً عن الاستحسان! وهذا الاستحسان من قبل بوش يعنى أن طارق عزيز من خيرة المتعاونين ..

ومما يذكر أن طارق عزيز كان كثير السفر فى مهام رسمية لمحاولة حشد التأييد الدولى لبلاده، وقد التقى بالبابا يوحنا بولس الثانى بالفاتيكان قبيل بدء الحرب ..

الأمر الذى يلقى بكثير من الظلال القاتمة حول ما قام به فى هذا اللقاء.. واللافت للنظر أن اسم طارق عزيز قد اختفى من الساحة مثله مثل أسماء العديد من الذين يبيعون دولتهم ويقبضون ثم ينزؤون بعيداً ولا يذكرهم التاريخ إلا بخيانتهم..

وبدأت الحقائق تتكشف.. ففى العدد الصادر فى ٧ / ٦ / ٢٠٠٢ لجريدة ليبراسيون، كتب كريستوف بولتانسكى تحت عنوان «بوش وبليير متهمان بالتلاعب»، أن الصراع فى لندن بدأ يحتد لیتهم بليير صراحة بالكذب وأنه قد قام بتفريق كافة المعطيات للحصول على موافقة الحكومة على العدوان على العراق. بينما الأمر فى الولايات المتحدة لم يتحول بعد إلى فضيحة رسمية لكن الاتهامات ضد إدارة بوش وتلاعبها بالحقائق بدأت تتزايد خاصة وإن هانز بليكس، رئيس خبراء الأمم المتحدة، مازال يؤكد عدم وجود أسلحة دمار شامل فى العراق. وإن كان كل من بوش وبليير مازالا يؤكدان أن تلك الأسلحة سوف تظهر إن عاجلاً أو آجلاً.. ورغمهما يقول دونالد رامسفيلد إن صدام حسين ربما قد أباد ترسانته من الأسلحة قبل بدء العدوان..

وفى مقال تحت عنوان «الأسلحة والمبالغات الجماعية» كتب بسكال ريش فى نفس العدد من الصحيفة: «على الرغم من مرور عدة أسابيع من البحث الدؤوب فى أكثر من ٢٣٠ موقعا مشکوكا فيها، فلم يتم العثور على أية أسلحة دمار... وكلمات من قبيل «مؤامرة» أو «أكاذيب تمت حياكتها بلباقة» لم تعد مستبعدة، ومن الواضح أن الحكومة الأمريكية والبريطانية لم تتحرجا فى «إعداد» الملف الخاص بتلك الحرب، فقد قام البنتاجون بالدور الرئيسى فى تكوين ذلك الملف الهزيل فى مصداقيته - إذ تم إنشاء إدارة جديدة للمعلومات بعد الحادى عشر من سبتمبر.. باسم «مكتب الخطط الخاصة» وكان عليه تقديم الأدلة على وجود علاقة ما بين العراق وأحداث سبتمبر وقد تمت صياغة الخطبة التى كان على كولن باول أن يلقياها أمام الأمم المتحدة لتقديم

«البراهين» على تورط العراق. إلا أن جريدة اليوناييتد ستيت نيوز أوردت أن كولن باول قد ألقى بالتقرير في الهواء قائلًا: «لن أقرأ هذه الحماقات!» ومع ذلك فقد قرأها بينما وقف خلفه جورج تينت، رئيس المخابرات المركزية الأمريكية، بناء على أوامر من البيت الأبيض، ليضفي مزيداً من المصداقية على البيان!!

ويضيف كاتب المقال أن تونى بليير قد تلاعب هو أيضاً بالبيانات لإقناع الرأي العام ففى بيان أذاعه فى ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢ أفزع النواب بأن أكد لهم بناء على تقارير موثوق بها أن صدام حسين يمكنه استخدام الأسلحة البيولوجية والكيمائية فى غضون ٤٥ دقيقة.

أما فيما يتعلق بالأدلة، فيقول بوكتانسكى فى نفس العدد إن تبرير حرب العراق لم يعتمد على المبالغة فى تقرير البيانات الواردة من الوكالات المتخصصة فحسب، لكن فى كثير من الأحيان قد تم تحريف هذه البيانات وتزييفها. ويدخل فى هذه البيانات والمعلومات المزيفة حول لقاء محمد عطا مع أحمد خليل الأنى السكرتير الثانى بسفارة العراق، ذلك اللقاء الذى أيدته وزير الداخلية التشيكى ثم عاد وأنكره؛ وكذلك أنابيب الألومنيوم التى زعم جورج بوش فى خطابه المذاع على الهواء يوم ٧ أكتوبر ٢٠٠٢ أن العراق قد اشتراها «لاستخدامها فى تغذية اليورانيوم للأسلحة النووية» إلا أن خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية وكذلك خبراء إدارة الطاقة الأمريكية قد شككوا فى ذلك الأمر؛ ومن هذه الأدلة المزيفة أيضاً إعلان تونى بليير يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢ أن صدام حسين قد اشترى كميات هائلة من اليورانيوم من النيجر. ثم عاد واستخدم نفس الزعم فى شهر يناير ٢٠٠٣. وقد أكد خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن هذه المعلومة تستند على وثائق كاذبة خاصة وإن إحدى الوثائق المقدمة عليها توقيع أحد الوزراء فى النيجر، والذى لم يكن يتولى ذلك المنصب فى نفس هذا التاريخ!!

حتى الصور والمشاهد التي تم تصويرها أو إذاعتها على التليفزيونات كانت مزورة! فمن المعروف أن قوى التحالف قد حاولت كسب المعركة بالتلاعب في الصور والمواقف. فأغلبية الصور المذاعة على الشاشات كانت مفيكرة وملقوطة لصالح الغزاة. ويؤكد فابريس روسلو في نفس الصحيفة الصادرة في ٧ / ٦ / ٢٠٠٣، أن عملية إسقاط تمثال صدام حسين يوم ١٩ أبريل في ميدان الفردوس كانت عبارة عن عملية إخراج تليفزيوني من القوات الأمريكية التي أسقطت التمثال تماماً وإن بعض العراقيين المتواجدين في الساحة أحضرتهم القوات الأمريكية معها.

ويؤكد كاتب المقال أنه حتى عملية إنقاذ المجندة جسيكا لينش في أول أبريل كانت مدبرة، وقد أورد كافة التفاصيل لمسرحية «إنقاذها» من مستشفى صدام بالناصرية. وذلك ما راحت تؤكد أيضاً محطة البي بي سي التي قامت باستجواب الشهود الذين أكدوا أنه لم يكن هناك أي عسكري عراقي في هذه الأثناء. بل لقد عرض الأطباء بالمستشفى على الجنود الأمريكيين أن يعطوهم مفاتيح المستشفى إلا أنهم أصروا على فتح الأبواب ركلا من باب «البطولة».. وإن كل ما زعموه من رصاصات أو جروح نتيجة لضربها بالسكاكين كانت عبارة عن أكاذيب من الأول إلى الآخر.

ويقول باتريك سباتيه في افتتاحية ذلك العدد من جريدة ليبراسيون: «في زمن الحرب، عادة ما تكون الحقيقة هي أول ضحية. وكل القادة في كل زمان ومكان قد لجأوا للكذب لرفع الروح المعنوية لجنودهم ولخداع الخصم أو لاستبعاد مسائل محرجة. والسذج وحدهم هم الذين يندهشون من أن الحقائق بدأت تلوح بعد شهرين من سقوط بغداد لتؤكد أن بوش وبليز قد لجأ إلى الأكاذيب والخداع لغزو العراق..»

«إن كل ما قدمه من معلومات لم يكن يستند إلى الصحة، فالتهديد من جانب العراق لم يكن وشيكاً ولا ملحاً، وإنما كلها أهـ سانيذ مختلقة بعد ١١

سبتمبر ٢٠٠١ فلقد تم اختيار الجانى ولم يكن باقيا إلا اختلاق إصااق التهمة به.. إن الأكاذيب والأخطاء بل والمبالغات التى لجأ إليها كل من بوش وبلير، حتى وإن كانت ناجمة عن أحداث ١١ سبتمبر، إلا أنها لا تبرر شرعية ما أقدمنا عليه للهجوم على العراق. إلا أننا أصبحنا نتساءل حول شرعية هذه «الحروب الوقائية» وحول حق واشنطن ولندن فى التلاعب بالرأى العام لتبرير اختياراتهم الاستراتيجية. إن النتيجة الحتمية لما حدث هو تاكل رصيد الولايات المتحدة من المصدقية ويدين حريها ضد الإرهاب وصراعها ضد حياة أسلحة دمار شامل».

وحول أساطير الغرف المحصنة تحت الأرض كتب ديديه فرانسوا فى نفس عدد ٦ / ٧ إن طلعة القذائف التى ألقيت فى ليل ٢٠ مارس الساعة ٢،٢٥ بتوقيت جرنيتش قد انطلقت قبل نهاية المهلة المعطاة لصدام حسين ليتنازل بثلاث دقائق. وكان المقصود من هذه الضربة الفجائية الأولى «قطع رأس» الإدارة العراقية المختفية فى غرف محصنة إلا أن المخابرات المركزية الأمريكية قد تعرفت عليها!! ويا لها من رواية منسوجة رددتها العديد من وكالات الأنباء مع إضافة أن أحد أقارب صدام حسين قد وشى به. وفى الأيام التالية كان كبار الضباط الأمريكان أو البريطانيين يؤكدون فى الموقع أن صدام حسين قد قتل أو جرح جروحا بالغة أثناء هذا القصف المكثف.

وتم إنكار ظهور صدام حسين على شاشات التلفزيون العراقى والعالمى بينما كان يحث جنوده على الصمود أمام الغزاة.. وفى ٢٩ مايو كشفت محطة سى بى إس أن تلك الغرف المزعمومة فى قرية دورا والتي تم قصفها بكثافة يوم ٧ أبريل غير موجودة فى الواقع، بل ولا أثر لها ولا أية جثث. فقد قال الكولونيل تيم مادير «منذ وصولنا بحثنا عن أية غرف محصنة تحت الأرض ولم نجد شيئاً.. لقد عثرنا على فجوات ضخمة بسبب القذائف لكننا لم نعثر على أية منشآت تحت الأرض ولا على أية جثة» ويظل صدام حسين لغزاً كبيراً لحرب بدأت بأكاذيب وانتهت بلغز واضح!

أما جان مرشيه فقد تناول «غضب الجواسيس» فى مقال أوضح فيه أن رجال المخابرات الأمريكية المركزية غاضبون مما حدث من تحريف بالمعطيات لتبرير الحرب على العراق الذى أدى إلى أزمة ثقة فيما يقدمونه من أعمال استخبارية.. وقد ذكرت واشنطن بوست أن بعضهم قد اتهم نائب الرئيس، شينى، بمضاعفة زيارته لمقر المخابرات الأمريكية المركزية ليمارس ضعفه حتى تأتى التقارير مؤيدة للحرب..

أما فى لندن، فقد أصر البرلمان على أن يتعهد تونى بليير بعدم ممارسة التلاعب بالتقارير مرة أخرى! ويا لصغر الموقف، لكن ذلك لا يهم أحداً منهم طالما كل الطرق تؤدى إلى المساس بالإسلام والمسلمين..

وكلها أكاذيب دولة.. أكاذيب ملفقة أشبه ما تكون بذلك اللص الذى يهرب صارخاً: «حرامى! حرامى!» فكل ما يتعلق بتبرير الحرب على العراق ثبت أنه مجرد أكاذيب.. بدءاً من التقرير الذى قدمه جورج دابليو بوش فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ أمام مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة: «عقد من الأكاذيب والتحديات».. وقد كان هذا التقرير مليئاً بسلسلة من الأكاذيب ومنها أن العراق على صلة وطيدة بالإرهابيين فى القاعدة ويهدد الولايات المتحدة لأنه يمثل «أسلحة دمار شامل».. وكلها عبارات صاغها مستشارو بوش بكل جبروت..

فبعد انتصار القوات الأمريكية وأتباعها بثلاثة أشهر تأكدت حقيقة أن كل هذه «الأسانيد» كانت مجرد أكاذيب.. وكل يوم بعد يوم يزداد الأمر وضوحاً من أن الإدارة الأمريكية هى التى تلاعبت وزيفت واختلقت المعلومات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل. والفريق المكون من ألف وأربعمائة مفتش، تحت إدارة الجنرال دايتون، لم يعثر حتى اليوم على أية بادرة دليل.. بل لقد بدأ الأمر يتكشف أنه فى اللحظة التى كان جورج بوش يعدد تلك الاتهامات

ويعلنها كان قد تسلم تقارير من مخابراته تؤكد له أن كل ذلك مجرد أكاذيب مختلفة، وذلك هو ما نطالعه في الانترنت شيونال هيرالد تريبيون الصادرة في ١٤ / ٦ / ٢٠٠٣. ووفقاً للتعليق الذي قالته السيدة جين هارمان، الممثلة الديمقراطية لمقاطعة كاليفورنيا: «إننا أمام أكبر عملية تسميم وإفساد للنفوس في التاريخ» (راجع جريدة ليبراسيون الصادرة في ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٢). ولأول مرة في التاريخ يتساءل الأمريكيان حول الأسباب الحقيقية للحرب بعد انتهائها.

وفي وسط هذه العملية الضخمة من التلاعب والتحريف، يلوح اسم مكتب سرّي في قلب البنتاجون، هو: «مكتب الخطط الخاصة»، الذي لعب دوراً خبيثاً في هذا الموضوع. ففي ٦ / ٥ / ٢٠٠٣ كشف سيمور هرش في مقال بجريدة النيويورك، أن ذلك المكتب قد تم إنشاؤه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بزيادة بول وولفويتز، الرجل الثاني في وزارة الدفاع. وهذا المكتب، بقيادة ابرام شولسكي كل مهمته هي فرز البيانات التي قامت بجمعها مختلف إدارات الاستخبارات الأمريكية ويقوم بعمل تجميع شامل بينها ثم يرفعها للحكومة.. وقد اعتمد هذا المكتب على منفيين عراقيين على صلة بالمجلس القومي العراقي (وهي منظمة يمولها البنتاجون) ورئيسه، المشكوك في ولاءه، السيد أحمد شلبي، لتضخيم المعلومات الخاصة بأسلحة الدمار الشامل وصلة صدام حسين بتنظيم القاعدة.

وتعبيراً عن الغضب الناجم عن كل هذا التلاعب، قامت جماعة من الخبراء القدامى للمخابرات المركزية الأمريكية ومن إدارة الدولة بكتابة مذكرة في التاسع والعشرين من مايو، تم رفعها للرئيس جورج بوش، ومما ورد بها: «لقد سبق وتم تزيف بعض المعلومات لأسباب سياسية، لكنه لم يحدث أبداً في التاريخ ولا يمثل هذه الصورة الدؤوب بغية خداع المسئولين ليسمحوا بإعلان الحرب»، وقد أطلقوا على أنفسهم «جماعة المخابرات المحترفين القدامى لصحة العقل». أي إنه فريق عمل محنك، من داخل السى آى إيه..

وتدل الأخبار على أن كولن باول نفسه قد تم التلاعب به، وأنه يواجه حالياً مصيره السياسى الذى أصبح فى الميزان. ومن المعروف أنه قد حاول مقاومة ضغوط البيت الأبيض والبتاجون لإذاعة أكثر البيانات تحريفاً. فقبل خطابه الشهير الذى أذاعه فى الخامس من شهر فبراير ٢٠٠٣ أمام مجلس الأمن، أصر كولن باول على قراءة مسودة البيان الذى أعده مدير مكتب ريتشارد تشينى، نائب الرئيس، وكان ذلك البيان يتضمن من المعلومات الخاطئة بحيث غضب كولن باول صائحاً وهو يقذف بالأوراق فى الهواء: «لن أقرأ هذه الحماقات»، إلا أنه اضطر إلى قراءة البيان ووقف خلفه جورج تينيت رئيس المخابرات المركزية الأمريكية لإضفاء مزيد من المصداقية وليتقاسم مسئولية ما يذاع رسمياً من فريات.. ولقد اعترف السيد وولفويتز بأكاذيب الدولة تلك فى حوار أجرته معه مجلة فانيتى فير الصادرة فى ٣٠/٥ /٢٠٠٣، إذ أعلن أن السبب الذى من أجله تم وضع تهديد امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل لتبرير تلك الحرب «الوقائية» قد تم «لأسباب بيروقراطية». ثم أضاف قائلاً: «لقد اتفقنا على نقطة أسلحة الدمار الشامل لأنها السبب الوحيد الذى كان يمكن للجميع قبله دون اعتراض».

وذلك يعنى بكل وضوح أن السيد رئيس الولايات المتحدة قد كذب، وأنه قد بحث عن سبب للحرب يمكنه اجتياز أو تخطى هيئة الأمم واستقطاب بعض الممالئين له أو المتواطئين فى خطته، فإن الرئيس الأمريكى بوش «لم يتردد فى فبركة واحدة من أكبر أكاذيب الدولة» على حد وصف اجناسيو رامونيه فى جريدة الموند دبلوماسيك عدد يوليو ٢٠٠٣.

ولم يكن جورج بوش هو الوحيد الذى تم اتهامه بالكذب، ففى مجلس العموم البريطانى، كان تونى بليز قد وقف فى الرابع والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٢ ليؤكد «أن العراق يمتلك أسلحة كيميائية وبيولوجية... وأنه يمكنه شن هجومه خلال خمس وأربعين دقيقة». بينما كان كولن باول يعلن أمام مجلس

الأمن» أن صدام حسين قد شرع في أبحاث حول عشرات العناصر البيولوجية المؤدية إلى أمراض من قبيل الغرغرينا الغازية، والطاعون، والتيفوس، والكوليرا، والجدرى والحمى النازفة» بينما أضاف تشينى، نائب الرئيس، فى مارس ٢٠٠٢ عشية الحرب قائلاً: «نعتقد أن صدام حسين يمتلك بالفعل أسلحة نووية»، وهو وارد فى مجلة التايمز الصادرة فى ٩ / ٦ / ٢٠٠٢.

ولم يتورع الرئيس جورج بوش من ترديد نفس البيانات والمعلومات، بل لقد وصلت به الاستهانة بالعقول وبالرأى العام إلى درجة الإعلان فى خطابه المذاع على الأمة وعلى العالم، فى ٨ فبراير ٢٠٠٢ إلى الإفصاح عن تفاصيل من قبيل: «أن العراق قد أرسل خبراء فى المتفجرات وفى تزيف الأوراق للعمل مع القاعدة، كما أتاح لأعضاء القاعدة أن يتدربوا على الأسلحة البيولوجية والكيمائية. وأن هناك عميلاً للقاعدة قد أرسل إلى العراق عدة مرات فى أواخر ١٩٩٠ لمساعدة بغداد فى الحصول على سموم وغازات».

ولقد تولت أجهزة الإعلام المعاونة التى تحولت إلى أجهزة دعاية حربية فجة، إلى تكرار وزيادة وتضخيم تلك البيانات إلى حد الإعياء فى شبكات الفوكس نيوز والسى إن إن، وغيرها إضافة إلى بثها فى المحطات الإذاعية، والمعروف أن الولايات المتحدة تمتلك ألفاً ومائتين وخمسا وعشرين محطة. الأمر الذى يوضح إلى أى مدى يمكن السيطرة على المستمعين بل لقد امتلأت بعض الجرائد التى لها ثقلها واتزانها بنفس هذه الأكاذيب التى مثلت الركيزة الأساسية فى تلك الحرب، وقد تم ترديدها فى كافة البلدان الغربية وغيرها.

وقام كل الموالين للسياسة الأمريكية بترديد نفس الأكاذيب الملفقة، خاصة رئيس الحكومة الإسبانية خوزيه ماريَا أرنار الذى راح يؤكد فى الخامس من فبراير ٢٠٠٢ قائلاً: «نحن نعلم جميعاً أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل (...) ونعلم أيضاً أنه يمتلك أسلحة كيمائية» وقبلها بعدة أيام، فى الثلاثين من شهر يناير وبناء على طلب من جورج بوش كتب إرنار

لمساندة الولايات المتحدة ما عرف باسم «خطاب الثمانية» الذى يؤكدون فيه «أن النظام العراقى وأسلحة الدمار الشامل التى يمتلكها تمثل تهديداً للأمن العالمى»!! ويالها من أكاذيب، أكاذيب ظلت تتردد لمدة ستة أشهر لتبرير حرب لا الشعوب الأمريكية ولا شعوب العالم كانت تقرها.. ورغم ذلك ظلت آلة الحرب أو ذلك الجهاز المغرض المؤيد للحرب يقرع طبوله بتلك الأكاذيب بقحة وجبروت لم يعرفها أى نظام.

ولا غرابة فى ذلك فالولايات المتحدة لها سوابق عدة فى اختلاق الأكاذيب التى أصبحت تمثل سلسلة متواصلة لتاريخها السياسى. ولا نذكر على سبيل المثال سوى واقعة تدمير البارجة «مين» فى خليج هفانا عام ١٨٩٨ والتى تم اتخاذها ذريعة فى الولايات المتحدة للدخول فى حرب ضد إسبانيا وضم كوبا وبورتوريكو والفيليبين وجزر جرام إلى ممتلكاتها.. وأيام الحرب الباردة أطلق رجال المخابرات المركزية الأمريكية بعض «الوثائق السرية» تؤكد تفوق السوفييت فى سباق التسلح، وتناولت أجهزة الإعلام الخبر وبدأ الضغط لزيادة الميزانية الحربية، وأقر جون كيندى بليارات الدولارات واعداد بذلك فى حملة انتخاباته، وما إن تم انتخابه وتخصيص الميزانية حتى اكتشف كيندى أن التفوق الحربى الأمريكى يزيد بصورة ساحقة عما وصل إليه الاتحاد السوفيتى..

وقد رأينا كيف تضافرت الجهود السياسية والكنيسة فى تلك الحرب الباردة حتى أطاحوا بالكتلة الشرقية مستعينين بشتى الوسائل من أكاذيب ورشاو وإعلام عميل، حتى خلت الساحة الدولية من أى توازن يمكنه أن يحد من الشطحات الاستبدادية التى نراها..

وفى عام ١٩٦٤ ثم افتعال ضرب بارجتين أمريكيتين فى خليج تونكين لافتعال حرب فيتنام. وتذرع جونسون بهذه «الحادثة» ليبدأ هجومه على فيتنام الشمالية. وتورط الجيش الأمريكى وخرج منها بهزيمة عام ١٩٧٥ ومازال التعتيم يحيط بكثير من جوانبها. ونفس السيناريو تقرر مع رونالد

ريجان حينما أعلن التهديد القادم عليه من نيكاراجوا قائلاً: «أن نيكاراجوا على بعد يومين بالسيارة من هارنجنسن في تكساس. ونحن في خطر!» بينما أعلن جورج شولتس وزير الدولة «أن نيكاراجوا عبارة عن سرطان ينهش في أراضينا، وتقوم بتطبيق النظام الفاشي وتهدد بالسيطرة على نصف الكرة الأرضية».. وأدت هذه الأكاذيب إلى مساعدة المرتزقة المعروفة باسم الكونترا والتي أدت بدورها إلى فضيحة «إيران جيت»!

أما الأكاذيب التي أدت إلى حرب الخليج عام ١٩٩١ فلا زالت تمثل نموذجاً معيارياً في كيفية حشو العقول بالأكاذيب والمعلومات المضللة.. وقد ازداد التلاعب بالعقول منذ انتخاب جورج بوش في تلك الانتخابات المزورة عام ٢٠٠٠ بل لقد أصبح كيفية التلاعب بالرأى العام من النقاط الرئيسية في حكومة جورج بوش إلى جانب ما يطلقون عليه «الحرب النفسية». وقد عاصرنا ما واكب الحرب ضد أفغانستان من فريات مفتعلة.

ففي ٢٠ فبراير ٢٠٠٢ كشفت النيويورك تايمز عن أكبر عملية تلاعب بالعقول فحشا. إذ كان البنتاجون قد أنشأ سرياً ذلك المكتب الغامض المعروف باسم «مكتب التأثير الاستراتيجي» كل مهمته نشر معلومات كاذبة تخدم أهداف الولايات المتحدة، وذلك بناء على أوامر من رامسفيلد ودوجلاس فيث، ووضع المكتب تحت رئاسة الجنرال سيمون ووردن من السلاح الجوي. وكان من مهام هذا المكتب بث بيانات خاطئة خاصة لوسائل الإعلام الأجنبية. وكشفت الصحيفة أن ذلك المكتب كان قد وقع عقداً بمائة ألف دولار عام ١٩٩٠ مع أحد مكاتب راندن جروب الذي كان قد اختلق واقعة تلك «التومرجية» الكويتية التي أكدت أنها رأت الجنود العراقيين وهم ينهبون قسم الأطفال من مستشفى الكويت «وينزعون الأطفال من الحضانات ويلقونهم بعنف على الأرض بلا رحمة لقتلهم».. وكانت هذه الشهادة بالتحديد من الشهادات الحاسمة التي أدت بأعضاء الكونجرس بالتصويت لصالح الحرب..

وقد قام نفس ذلك المكتب بالعديد من العمليات في الحرب الجديدة على العراق ومنها أكذوبة المجندة الأمريكية جسيكالينش في مطلع أبريل ٢٠٠٢. وقد أعلن بوش نبأ تحريرها بنفسه عن البيت الأبيض، وبعد ثمانية أيام كان البنتاجون يضع بين أيدي وسائل الإعلام شريط فيديو لهذه العملية مليئاً بمناظر جديرة بأحسن الأفلام الحربية! وكان هذا الشريط قد التقطه أحد مساعدي ريديلى سكوت أيام إخراج فيلم «سقوط النسر الأسود» عام ٢٠٠١. وقد تم إرسال هذا الشريط لعمل المونتاج اللازم في الإدارة المركزية للجيش الأمريكي في قطر، وبعد أن تم عرضه على البنتاجون تم توزيعه على العالم. وهو ما أكده روبرت شير في لوس أنجلوس تايمز ٢٠ / ٥ / ٢٠٠٢.

لقد قام بوش ورفاقه بخداع المواطنين الأمريكيين وبخداع الرأى العام العالمى بأكاذيب فجّة فاحشة.. فهى على حد قول الأستاذ بول كروجمان، «إنها تمثل أسوأ فضيحة فى التاريخ السياسى للولايات المتحدة.. إنها أسوأ من فضيحة ووتر جيت، وأسوأ من فضيحة إيران جيت!» لكن، هل من محاسب؟! فالأسوأ من كل هذه الفضائح بلا شك هو فضيحة التعقيم الإعلامى عليها، وخاصة فى بلدان العالم الإسلامى والعربى، ومهانة قبولها أو «ابتلاعها» وعدم المحاسبة عليها.



الفصل الثالث

مجامع، تواريخ، أحداث ومتناقضات

إن شكل انعقاد المجمع ونوعيته أو بنيته قد تغيرت على مر التاريخ الكنسى. إلا أن سبب انعقاد تلك المجامع كان يتم دائماً لمواجهة الهجوم على تكوين وتغيير العقيدة وصياغتها أو ما تسببه من تناقضات، وفقاً لأغراض سياسية أو اجتماعية أو شخصية عقائدية أو تأديبية. وقد أدت المجامع، وخاصة الأربعة الأولى، إلى اضطهادات عنيفة وإلى إلقاء اللعنة والحرمان على بعض رجال الدين أو الدولة.. بل لقد وصل العنف إلى حرق الخارجين أو المنشقين أحياناً. واستمر نفس النسق طوال العصور الوسطى وحتى يومنا هذا بأشكال متفاوتة الحدة، حيث إن الممارسة المجمعية قد أثبتت أنها قادرة على حسم الصراعات وفقاً لأهوائها.. ولا غرابة فى ذلك بما أن الكنيسة، وفقاً لما هو وارد بالأناجيل، لم تتلق من يسوع أى توجيه بذلك. وكل العقائد التى تكوّن المسيحية الحالية غير واردة بالعهد الجديد، وإنما قد تمت صياغتها عبر المجامع على مر السنين..

لذلك يحق القول بأن هذه النصوص المتداولة حائياً ليست إلهية ولا

منزلة كما تدعى الأيادي العابثة، وإنما هي من نسج الكيان الكنسى كمؤسسة لاهوتية بابوية. الأمر الذى دفع موريس بوكاي إلى كتابة عبارته الشهيرة قائلاً: «قليل من المسيحيين هم الذين يعرفون أن ديانتهم قد نسجت عبر المجامع، وقليل منهم لا يعرفون أن الأناجيل الحالية لم يكتبها الأشخاص التى هى معروفة بأسمائهم» («التوراة، والإنجيل، والقرآن والعلم»).

وتنقسم المجامع إجمالاً إلى مجامع محلية، خاصة بكل منطقة، أو مجامع عامة، ومجامع مسكونية، أى دولية، جامعة وملزمة لكافة الكنائس بانقساماتها.

ويتكون هذا الجزء من البحث إلى ثلاثة أقسام، الأول بعنوان «أهم المجامع وبعض القرارات الناجمة عنها»، والثانى بعنوان: «تواريخ وأحداث مسيحية» والثالث بعنوان: بعض المتناقضات. وقد تم جمع المادة أساساً من كتاب: «التواريخ الكبرى للمسيحية» الصادر عن دار نشر لاروس فى مجموعة إصدارات أساسية»، وموسوعة أونيفر سائيس الفرنسية طبعة ١٩٩٦، وكتاب «أسطورة يسوع» للإيطالى لويجى كاتشيولى، «وقاموس اللاهوت» و «القاموس التاريخى العام للبابوية» والإنجيل بعهديه.

ولم نتناول هذه الجزئيات التاريخية من المجامع والتواريخ المكونة للمسيحية الحالية، إلا لنوضح للقارئ حقيقة ما يقال من أن المسيحية الحالية قد تم نسجها عبر المجامع على مر التاريخ، وليست المسيحية التى أتى بها عيسى ﷺ؛ وإن الإنجيل الذى كان يبشر به وينص القرآن الكريم على أنه منزل من عند الله قد تم إخفاؤه لفرض كل ما نطالعه من تحريف وتضارب، ولتكشف أن التعصب الكنسى الذى يقود الحرب الصليبية الحالية لا حق ولا دافع له سوى الأطماع الأنانية والرغبة المستميتة فى السيطرة على الثروات وعلى عقول البشر لكى لا يفضح أمره.. ولا يسعنا إلا أن نسألهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٠، ٧١ آل عمران)

١ أهم المجامع وبعض القرارات الناجمة عنها:

٤٨: يمثل المجمع المنعقد عام ٤٨م أول مجمع فى التاريخ الكنسي، وقد انعقد فى مدينة أورشليم، وكان يعقوب شقيق السيد المسيح هو رئيس الكهنة آنذاك. وتم الاتفاق على إسقاط فريضة الختان التى أرادها الرب أزلية، وإحلال بدعة التعميد لتسهيل اعتناق الوثنيين المسيحية. وهو أول انحراف تم فى تعاليم الرسالة.

٧٠-٨٠: نشر الأناجيل المتواترة وأعمال الرسل، كما يقولون، إذ أن تاريخ صياغتها يخالف ذلك.

٩٥: نشر إنجيل يوحنا، وفقاً لما يقال.

٩٦: صياغة عقيدة «الحواريين الاثنى عشر»، والمعروف أن العدد والأسماء تختلف فى الأناجيل.

١٤٤: إدانة مرسيون وإدانة كتاباته المعادية لما تقوله الكنيسة.

١٥٤: خلاف فى روما حول تحديد عيد الفصح. واستمر الخلاف حتى ١٩٠ حينما طالب إيرينى، أسقف الكنيسة اليونانية من البابا فيكتور الأول أن يحسم هذه القضية المختلف فيها بين المسئولين.

٢٥٦: مجمع كارتاجنة حول تعميد «الهرطقة». أى المنشقين على ما تقوم به الكنيسة.

٢٦٨: مجمع أنطاكيا وإدانة بولس الساموزاتى.

٢٧٠: الإمبراطور أورليوس يحاول إعادة عبادة الشمس. وتاريخ دخولها فى المدار الشئوى فى ٢٥ ديسمبر هو الذى سيتحول إلى عيد ميلاد السيد المسيح فيما بعد. وقد اعترف البابا يوحنا بولس الثانى بذلك التبديل!

- ٣١٣: مرسوم ميلانو أو السماح للمسيحيين بممارسة عقيدتهم.
- ٣١٤: مجمع آرل لإدانة الأسقف دونا وتحريم الدوناتية التي تدين المسيحيين الذين أنكروا عقيدتهم أيام ديوقليتس.
- ٣٢٣: مجمع الإسكندرية لإدانة أريوس الذى كان ينكر محاولات تأليه السيد المسيح ويرفضها.
- ٣٢٥: مجمع نيقية الأول لإدانة وحرمان الأسقف أريوس، وتثبيت «عقيدة الإيمان» التي تنص على أن السيد المسيح من نفس طبيعة الله، وتحديد عيد الفصح بيوم الأحد لتميزه عن الاحتفال اليهودى به يوم السبت.
- ٣٨١: مجمع القسطنطينية الذى فرض تأليه الروح القدس وفرض بدعة الثالوث.
- ٤٠١: مجمع أفسوس وقيام أسقف القسطنطينية بحرمان ستة أساقفة سيمونيين لمتاجرتهم بالأشياء الروحية.
- ٤٣١: مجمع أفسوس أدان نستوريوس لرفضه عبارة «أم الله» أو إطلاقها على السيدة مريم. وفرض الإيمان بعذرية السيدة مريم.
- ٤٥١: مجمع خلقدونيا يدين أسقف الإسكندرية والمنادين بطبيعة واحدة للسيد المسيح. وقيام البابا القديس ليون بفرض أن للسيد المسيح طبيعتين: واحدة إلهية والأخرى بشرية. وقد رفضت كنائس الشرق هذه الازدواجية.
- ٥٢٠: أسقف هاليكرناس يفرض عقيدة عدم فساد جثمان السيد المسيح بما أنه إله!
- ٥٢٨: مرسوم بالزام الوثنيين باعتراف المسيحية.
- ٥٥٣: مجمع القسطنطينية الثانى: انعقد لشطب اسم البابا فيجيل وإدانة كتابات الأسقف نستوريوس.
- ٦٨٠: مجمع القسطنطينية الثالث لإدانة عقيدة الإرادة الواحدة للسيد المسيح. أى أن له إرادتين بما أنه له طبيعتان!

٦٩٢: تحديد التنظيم اللاهوتى للكنيسة البيزنطية، وترسيم الرجال المتزوجين رغم اعتراض روما، ومساواة مكانة القسطنطينية بامتيازات روما الدينية.

٧٧٩: الكنيسة تفرض الضريبة العشرية على ملكية الأراضى.

٧٨٧: مجمع نيقية الثانى، قام بتحريم الصور مع التفرقة بين العبادة والتجليل.

٧٩٤: مجمع فرانكفورت انتقد الدور الذى أضفاه مجمع نيقية على الصور واعترض على ادعاء الكنيسة الشرقية فى رغبتها بالتوحد مع الكنيسة العالمية، وجعل يوم الراحة الأحد وفرض الالتزام به.

٧٩٦: مجمع فريول يدين اليونان لعدم اعترافهم بأن الروح القدس ينجم عن الأب وعن الابن ومساو لهما.

٨٠٧: فرض عقيدة أن الروح القدس ينجم عن الأب وعن الابن على الكنائس الشرقية.

٨٣١: فرض عقيدة أن السيد المسيح يوجد فعلاً ومادياً فى المناولة أى أنه قد حوّل الأتباع إلى أكلة لحوم بشر!!

٨٦٩: مجمع القسطنطينية الرابع إدانة فوسسيوس الذى حاول جعل كنيسة القسطنطينية أعلى من روما وتبرأته فى العام التالى. والمعروف أن الأورثوذكس يرفضون هذين المجمعين. أتباع فوسسيوس يقبلون عقيدة الإيمان إلا انبثاق الروح القدس عن السيد المسيح.

٩١٢: بطريارك القسطنطينية يقطع صلته بروما لأن الكنيسة هناك لم تقم بإدانة الزواج الرابع للإمبراطور واعتبرته بذلك شرعياً.

١٠٢٢: مجمع بافيا يفرض العزوبية على رجال الكنيسة.

١٠٩٥: البابا أوربان الثانى يعلن الحروب الصليبية باسم الرب يسوع المسيح ويطالب الجنود بأن يحيكوا علامة صليب بالنسيج على ثيابهم.

- ١٠٩٩: مجمع بارى: الأساقفة اليونانيون بجنوب إيطاليا يقبلون عقيدة أن الروح القدس ينبثق أيضاً من السيد المسيح مثلما ينبثق من الله.
- ١١٢٣: مجمع لتران الأول وبداية معارك فصل الدين عن الدولة، ويحرم تجارة الأشياء المقدسة، ويمنح الجنود المساهمين في الحروب الصليبية العديد من الامتيازات ويعفيهم في الخطايا.
- ١١٣٩: مجمع لتران الثانى: يفرض معصومية البابا، ويمنع زواج رجال الكنيسة، ويمنع رجال الكنيسة من دراسة العلوم الدنيوية كالطب والقانون، ويحرم الذين يرفضون فكرة المناولة وإحلال المسيح فيها فعلاً ومن يرفضون تعميد الأطفال.
- ١١٦٣: مجمع مدينة تور يدين الربا الذى كان يمارسه بعض الرهبان.
- ١١٧٩: مجمع لتران الثالث: حارب بعض الانشقاقات، ويحرم ويلعن الذين يبيعون الأسلحة للمسلمين، ويحرم ويلعن الكاتار (سكان جنوب شرق فرنسا) الذين كانوا يتعاملون مع المسلمين أو يبيعون لهم الأسلحة أو يأوونهم. ويفرض ثلثي الأصوات لانتخاب البابا.
- ١٢٠٩: البابا اينوسنت الثالث يعلن الحرب الصليبية على الكاتار جنوب شرق فرنسا لاعتناقهم الأريوسية وهى العقيدة التى ترفض تأليه السيد المسيح.
- ١٢١٣: البابا اينوسنت الثالث يعلن الحرب الصليبية على المسلمين فى إسبانيا وقد انتصر التحالف المكون من ملوك فرنسا وإسبانيا على المسلمين فى موقعة نقاس دى تولوزا التى مهدت لحرب الاسترداد.
- ١٢١٥: مجمع لتران الرابع أرسل حملة صليبية جديدة ضد الكاتار فى جنوب شرق فرنسا، وأرسى إقامة محاكم التفتيش، وفرض الوجود الفعلى للسيد المسيح فى المناولة بصورة نهائية، وفرض الاعتراف والمناولة على الكاثوليك

كل سنة. وأكد عقيدة أن السيد المسيح شخص واحد بطبيعتين، أى أنه رجل حقيقى مكون من روح إلهى وجسد بشرى. وفرض عقيدة تجسد الله فى المسيح، وفرض ضرورة التعليم اللاهوتى ومجانيتها، وفرض عقيدة عيد الفصح.

١٢٢٤: البابا جريجوار التاسع يقر ويفرض عذاب القتل حرقاً للمنشقين.

١٢٢٦: لويس الثامن يرسل حملة صليبية ضد الألبيجوا.

١٢٤٤: البابا انيوسنت الرابع يقر استخدام التعذيب فى محاكم التفتيش للحصول على الاعترافات.

١٢٤٥: المجمع المسكونى لمدينة ليون يدين الإمبراطور الألمانى فريدريك الثانى ويحرمه.

١٢٧٤: مجمع ليون الثانى: يعيد الوحدة بين الكنائس الشرقية والغربية، ويفرض عقيدة المطهر، ويرسل حملة صليبية إلى الشرق.

١٢٨٠: مجمع كولونيا يفرض عمل سر الميرون، لتأكيد التعميد، فى سن السابعة.

١٢٨١: انفصال كنائس روما والقسطنطينية.

١٣٠٢: قرار بابوى يفرض سيادة السلطة الكنسية على السلطة المدنية.

١٣١١: مجمع فيينا يفرض حملة صليبية جديدة ضد المسلمين، ويلغى جمعية المعبد ويعدم أتباعه حرقاً، ويتدخل فى النزاع القائم مع الفرنسييسكان الذين ينتقدون البذخ الكنسى.

١٣٨٥: البابا أوربان السادس يعدم خمسة كرادلة بزعم تأمرهم ضده.

١٣٩٦: مجمع سالسبورج يقر بناء «بيت الجسد» أو «بيت القربان» فى كل كنيسة.

أواخر القرن الرابع عشر: فرض تعميم صلاة التبشير ودق جرس التبشير.

١٤١٤-١٤١٨: مجمع كونستانس: حاول وضع نهاية للانقسام الكبير بين الكنائس إلا أن قراراته لم يوافق عليها الباباوات ولا الكنيسة الأم. قرار حرق جون هاس حيا لمعارضته تعسف الكنيسة وبذخها ولانضمامه إلى جان فيكيليف المعارض لتحول المناولة إلى دم ولحم المسيح حقيقة! كما رفض التراث الكنسي وحارب صكوك الغفران.

١٤٣٩: مجمع مدينة بال يقرر الاحتفال بعيد الحَمَل بلا دنس للسيدة مريم.

١٤٤٥-١٤٣٩: مجمع فلورنسا يقر مصالحة جديدة مع الكنيسة اليونانية وعودة الأرض إلى رحاب الكاثوليك هم واليعاقبة.

١٥١٢-١٥١٧: مجمع لاتران الخامس: أدان المجمع المنعقد في مدينة بيزا (١٥١١ - ١٥١٢) وانقساماته وطالب بحملة إصلاح لرجال الكنيسة وتصدى للإفراط في الإعفاءات الاستثنائية والضرائب، وفرض الرقابة على الكتب وعلى كافة المطبوعات، وفرض على الكرادلة الالتزام بنمط حياة مستقيمة وحذرهم من محاباة الأقارب.

١٥٤٢: إنشاء «لجنة عقيدة الإيمان» في روما بدلاً من الاسم السابق وهو محاكم التفتيش!

١٥٤٥-١٥٦٣: مجمع مدينة ترانت: أعلن أن نص الأناجيل التي تم اختيارها والمسماة «فولجات» هي نص منزل من عند الله بلغتها اللاتينية! علما بأن المسيح كان لا يجيد سوى الأرمية! وصاغ عقيدة الخطيئة الأولى وأن كل إنسان يولد من الخطيئة. كما أدان المجمع كل من إراسم وبلاج ولوثر، وفرض قائمة الأسرار السبعة رغم إدانة لوثر لها، وفرض عقيدة المطهر وعبادة القديسين والسيدة مريم العذراء، وأدان الزواج السرى.

١٥٦٢: بداية الحروب الدينية في أوروبا التي كان من نتيجتها إبادة آلاف

البروتستانت في فرنسا .

١٥٦٦ : إصدار الكتاب الخاص بالتعليم الدينى لمجمع ترانت .

١٥٧٢ : مذبحة سانت برتلمى بفرنسا التى أبيد فيها آلاف البروتستانت فى ليلة واحدة .

١٦٣٣ : محاكم التفتيش تدين جاليليو .

١٧٩٥ : الثورة الفرنسية تعلن فصل الدين عن الدولة .

١٨٦٩ : مجمع الفاتيكان المسكونى الأول: إدانة الهجوم الذى قام به العلماء وانتقادهم لعقيدة الإيمان والنصوص الإنجيلية، وفرض معصومية البابا من الخطأ وسيادته المطلقة .

١٩٤٩ : لجنة عقيدة الايمان (محاكم التفتيش سابقاً) تحرم الكاثوليك الذين يؤيدون الشيوعية .

١٩٥٠ : فرض عقيدة صعود السيدة مريم العذراء ورفعها إلى السماء ..

١٩٦٢ - ١٩٦٥ : مجمع الفاتيكان الثانى الذى صاغ ست عشرة وثيقة مجمعية وألغى الإدانات المتبادلة بين الكنائس المنشقة المختلفة تمهيداً لتوحيدها بزعامة كاثوليكية روما . وقد تناولناها على حدة .

٢ تواريخ وأحداث مسيحية:

العام الأول: إنه التاريخ الرسمى الذى تم اختياره فى القرن السادس للتقويم المسيحى! وهو نفس التاريخ الذى قام القس دنيس لوبتى باختياره لمولد يسوع، وفقاً للوقا الذى يؤكد أن يسوع بلغ الثلاثين من عمره «فى العام الخامس عشر من إمارة تيبيريوس». وإن كان ذلك يناقض متى الذى حدده بحكم

هيرودس (-٤) ولوقا الذى حدده بحكم كويرينوس (+٦).

٦ بعد الميلاد: كويرينوس يتولى الحكم فى سوريا والمفترض أنه كان يحكم عند مولد يسوع وفقاً للوقا (٢: ٢). ومازال هذا التضارب الواضح فى الأناجيل بلا حل..

٣٣. التاريخ الرسمى لوفاة يسوع وفقاً لما يقولونه. وإن كان دانييل روبس، من الأكاديمية الفرنسية يؤكد فى كتابه المعنون: «يسوع فى زمانه» أنه لا توجد أية وثيقة رسمية تدل على ذلك.

٥٥. بدأ بولس كتابة مراسلاته، والمؤكد أنه لم يكتب كل الرسائل المعروفة باسمه. كما أنه لم يذهب أبداً إلى بيت لحم، ولا إلى الناصرة. ولم يذهب إلى القدس إلا فى أواخر عهده. وقد كان يقول إنه سوف يكون ولا يزال على قيد الحياة عند عودة يسوع من السماء (١ تيسالونيكي ٤: ١٥ - ١٧): «فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب الأسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة ويوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء!»

٦٤. الوفاة الرسمية للقديس بطرس/ سمعان. والمعروف أن له جمجمة مدفونة بكنيسة القديس بطرس بالفاتيكان، وجمجمة أخرى بكنيسة يوحنا فى بلدة لاتران!

٦٦ - ٧٠. جنود الرومان يسحقون ثورة يهوذا ويهدمون المعبد. ويقول المسيحيون إن هذه الفترة تمثل بداية كتابة الأناجيل وإن كانت قد صيغت بعد ذلك بقرن تقريباً.

٩٠. نهاية العالم وفقاً للقديس كليمان. وبداية سلسلة طويلة من التنبؤات: يواكيم دى فلور حددها بعام ١٢٠٥، وشهود يهوه بسنوات ١٨٧٤ و ١٩١٤

و١٩٢٥ و ١٩٤١ و ١٩٦٩ و ١٩٧٥، ثم كفوا عن التنبؤ.. بينما حددها
نوستراداموس بعام ٢٠٠٠، ويقول القرآن الكريم إن علمها عند الله.

٩٥. صياغة سفر نهاية العالم والذي يمثل نصّه تناقضاً واضحاً مع بقية
الأنجيل.

١٦٥. صياغة إنجيل متى، الذي صدر في طبعته الأولى باسم ليفى، ثم في
القرن الثالث صدر باسم متى، وشجرة نسب يسوع التي يتضمنها تناقض
تماماً الكشف الوارد في لوقا.

ومن الأخطاء الواضحة في صياغة هذا الإنجيل من الناحية التاريخية،
أن المحكمة الرومانية لم يكن من سلطتها الحكم بالموت وأن المجلس الأعلى
لليهود لم يكن بوسعه الانعقاد مساءً عشية عيد الفصح!

١٧٠. صياغة إنجيل مرقس الذي يشير إلى موقعة باركوشيبا التي وقعت عام
١٣٥، الأمر الذي يؤكد أنه كتب بعد ذلك التاريخ.

١٧٠. دنيس الكورنتى وايرنى الليونى يدينان «تجارة نصوص» العهد الجديد.

١٨٠. صياغة إنجيل لوقا الذى يقال إنه كان تلميذاً لكل من بطرس وبولس.
ونسب يسوع الوارد به يناقض ما ورد بإنجيل متى. لوقا لا يعرف مدينة
الناصره التى لم تكن موجودة آنذاك، لكنه يقول إنها مبنية فوق جبل.
والمعروف تاريخياً أن الصليبيين هم الذين شيدها فى القرن الثالث
عشر فى نهاية أحد الأودية.

١٨٠. صياغة إنجيل يوحنا الذى ستم صياغته فى القرن الرابع. كما أن
أسماء وعدد الحواريين الواردة به تخالف الأنجيل الأخرى.

● اسم السيدة مريم العذراء لم يظهر سوى مرة واحدة فى إنجيل لوقا،
أما متى ومرقس وبولس فلم يسمعوها عنها! ومن الطريف أن قصتها ستم
صياغتها عام ٤٢١ (القديس سلسطان الأول) وعقيدة «الحمل العذرى»

ستفرض سنة ١١٨٥٤

القرن الثالث: صياغة بردية شستر بيتى التى تتضمن الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل. لم يعد بوسع أى رجل لاهوت خبير فى العهد الجديد أن يدافع عن فكرة أن الذين كتبوا هذه الأناجيل هم الأشخاص التى هى معروفة بأسمائهم، أى أنهم ليسوا حوارى يسوع، الذين كانوا قد توفوا من زمن بعيد..

٣١٢: قامت الكنيسة بإلغاء الاحتفال بتعميد المسيح فى ٦ يناير، كما تم تحديد عيد الفصح بيوم أحد. وتم إقرار استخدام رمز الصليب المأخوذ عن علامة «عخ» الفرعونية.

٣٢٠: قامت كنيسة روما بتحديد مولد يسوع فى ٢٥ ديسمبر فى نفس ميلاد الإله ميترا.

٣٢٥: تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية الأول.

٣٦٧: قيام الأسقف اتاناسيوس بعمل قائمة الأناجيل التى ستكون العهد الجديد واستبعاد قرابة سبعين إنجيلا. وقد صدق مجمع هيبرونا على هذه القائمة عام ٣٩٢، ثم مجمع كارتاجنه عام ٣٩٧. وبذلك وُلد الكتاب المعروف باسم العهد الجديد بعد اختيارات آدمية لها مغزاها..

٣٨١: تأليه الروح القدس فى مجمع القسطنطينية وتكوين بدعة الثالث.

٣٨٥: تعيين تيوفيلوس أسقفا للإسكندرية الذى قام بالاتفاق مع الإمبراطور تيودوزس بهدم المعابد المصرية القديمة. وفى عام ٣٩١ قام بهدم معبد سيرابيس وحرق مكتبة الاسكندرية.

٤٠١: القديس أغسطين أدخل فكرة «الخطية الأولى».

٤١٥: قيام جماعة من الرهبان بأمر من سيريل بطريارك الإسكندرية بقتل هيباثيا عالمة الرياضيات بمدرسة الاسكندرية وتقطيع جسدها. ويمثل مقتلها نقطة تحول هامة إذ غادر العديد من العلماء الإسكندرية بعد حرق مكتبتها والتدبير بهم.

٤٣١: مجمع أفسوس الذى أقر عقيدة التجسد: الله جعل نفسه إنساناً وتجدد فى مريم «أم الله».

٤٥١: مجمع خلقدونيا الذى أقر أن المسيح إله حقيقى وإنسان حقيقى وابن مريم وأن ذلك هو «سر الثالوث المقدس» الذى لا نقاش فيه!!

٥٢٩: إغلاق أكاديمية أفلاطون التى كان آباء الكنيسة ينتقدونها.

٥٢٢: الإمبراطور جوستينيان يأمر بإغلاق مدرسة الفلسفة بأثينا على أنها معقل الوثنية.

٥٩٠: ما إن تم تعيين جريجوار الأول فى منصب البابوية حتى ابتدع أولى الحروب الصليبية ومنع تدريس الثقافة اليونانية الرومانية واللغات والعلوم والفلسفة وعلم الأساطير. وبذلك فرض الجهل على أتباع الكنيسة حماية لأكاذيبها.

٦٩٢: مجمع إن ترولو الذى طالب بتمجيد الصليب وبأن يمثل المسيح عليه بشكله الآدمى ولو تأملنا التاريخ لأدركنا أن هذا الإصرار على تثبيت شكل الصليب وصلب السيد المسيح قد تم بعد بداية انتشار الاسلام.

• من القرن السابع حتى الخامس عشر: الكنيسة تحتكر

الكتابة والإعلام إجمالاً. وترك الشعب عمداً فى حالة جهل، كما تم منعه من قراءة الإنجيل إلا للمتخصصين. كما ستقوم محاكم التفتيش منذ القرن الثالث عشر بمنع امتلاك أى نص من العهد القديم. وسوف تقوم الكنيسة بفرض وتعميم محاكم التفتيش وعزوبية الرهبان. وفى نفس هذه الفترة سيتم

ابتداع ما عرف بأنه «عادة مسيحية»، ألا وهى: حرق الناس أحياءً.
وقد تم إحراق حوالى ألف «ساحرة» فى القرون الوسطى.

٨٠٤: الإمبراطور المسيحي شارلمان قام بتصوير العديد من السكسون بتخييرهم: اعتناق الكاثوليكية أو قطع الرقبة! وسقطت عشرات الآلاف من الرؤوس بمباركة الكنيسة.

١٠٠٠: اعتراف الكنيسة بأن المرأة لها روح! فقبل ذلك كانت تعتبر المرأة كنفاية من النفائات ويمكن ضربها وتعذيبها أو اغتصابها أو استعبادها لأن المرأة فى عرفها «لا روح لها»!

١٠٥٠: انقسام كنيسة الشرق بسبب صنع الخبز للمناولة بالخميرة أو بدون خميرة! بطريارك القسطنطينية يرى ضرورة الخميرة، وبتريارك روما يراه بدون خميرة. وتبادل البطريركان اللعنة والحرمان!!

١٠٧٣: البابا جريجوار السابع يعيد فرض العزوبة على رجال الكنيسة.

١٠٩٠: قيام الصليبيين بالبحث عن مدينة الناصرة ولم يعثروا عليها. وقد قاموا بتشييدها فى القرن الثالث عشر.

١٠٩٥: البابا أوربان الثانى يعلن قيام الحرب الصليبية باسم الرب يسوع المسيح. وقد تم ذبح أكثر من سبعين ألفا من المدنيين سكان القدس، إذ يقول أحد قادة هذه الحملة: «لقد أتينا على كل ما يمكنه التنفس»!

١١٠٠: أثناء الاحتفال بتصويب البابا اكتشفوا أنه امرأة حامل! فقادوا السيدة جان خارج روما ورجموها. وقد اعترف مجمع لتران بهذه الواقعة.

١١٨٢: معركة اللاتين بالقسطنطينية ضد الأورثوذكس وقتل فيها عدة آلاف من الأتباع.

١٢٠٨ - ١٢٤٤: الحرب الصليبية ضد الكاتار «الهرطقة» بأمر من البابا

انيوسنت الثالث، لاعتناقهم الأريوسية وهو المبدأ الراض لتأليه السيد المسيح وكان فريق هذا الجيش مكون من ٢٠ أسقفا و ٦٠٠ فارس و ١٠٠٠ من رماة الأسهم. وكان تعداد مدينة مارماند خمسة آلاف نسمة تمت إبادتهم بالكامل. كما تم اجتياح منطقة تولوز بوحشية لا سابقة لها فى أوروبا آنذاك منذ غزوات البرابرة.

١٢٢٤: مجمع آرل يفرض على اليهود وضع علامة مميزة للتعرف على هويتهم، وذلك قبل خمسمائة عام تقريبا على إدارة الجمارك السويدية والسويسرية التى كانت تضع حرف J على جوازات سفرهم بمعنى «جويش» أى يهودا.

١٢٢١: إنشاء محاكم التفتيش رسمياً. فحتى ذلك التاريخ كانت مهمة كشف المنشقين تقع على الأساقفة. إلا أن البابا قد رأى إنشاء إدارة مستقلة لتتبع الخارجين عليها. وقد قامت هذه المحاكم بحرق أكثر من ألف شخص كان آخرهم عام ١٨٢٦.

ولم تترك الكنيسة محاكم التفتيش أبداً، بل ستضمن حسن سيرها حتى يومنا هذا مع تعديل اسمها. ففي عام ١٩٠٦ قام البابا بيوس العاشر بتحويل اسمها إلى «المكتب المقدس»، وفى عام ١٩٦٥، فى مجمع الفاتيكان الثانى أصبح اسمها: «لجنة عقيدة الإيمان»! وكان الفرانسسكان والدومنيكان أهم رجالها.

القرن الثالث عشر: قام القديس فرانسوا الأسيزى بتعميم فكرة «الحظيرة» التى وُلد فيها يسوع فرضا.

١٢٥١: البابا اينوسنت الرابع يسمح رسميا لمحاكم التفتيش باستخدام التعذيب للحصول على الاعترافات. الأمر الذى يسهّل الحصول على الإدانة المطلوبة، والتى بموجبها كان يحق لهذه المحكمة بالحكم

بالسجن حتى مدى الحياة وبمصادرة كافة الممتلكات إلا أنه لم يكن من حقها الحكم بالموت إلا إذا ما أقرت ذلك السلطة القضائية بالبلد. الأمر الذى سمح للكنيسة بأن تقول إنها لم «تقتل» أحداً.

١٣٠٠: البابا بونيفاس الثالث أصدر صكوك الغفران، الأمر الذى أدى إلى زيادة دخل الكنيسة.

١٣٤٧-١٣٥٤: انتشار الطاعون فى أوروبا. وقد أرجعه الكاثوليك إلى أن اليهود هم الذين قاموا بتلويث آبار المياه. وتمت إبادة ٣٥٠ جماعة يهودية عبر أوروبا.

١٣٥٧: ظهور الكفن المقدس الذى كان يغلف جثمان يسوع وعليه طبعة من شكله! وقد أثار العديد من الخلافات إلى أن تم تحليله فى القرن العشرين بمعامل «النازا» وثبت تزويره!

١٣٧٨: انقسام العالم الكاثوليكي وأصبح لكل من إيطاليا وفرنسا بابا خاص بها. وقد تم خلع الاثني عشر فى مجمع بيزا الذى قام بتعيين إسكندر الخامس. وبذلك ظل العالم الكاثوليكي فى الغرب بثلاثة باباوات حتى عام ١٤١٧.

١٤٣١: حرق جان دارك التى أدى موتها إلى خلق طفرة وطنية وإلى مزيد من الكاثوليك المتطرفين.

١٤٥٢: جوتنبرج يقوم بطباعة الإنجيل باللاتينية.

١٤٨٣: توما دى توركميدا، كبير مفتشى محاكم التفتيش ضرب الرقم القياسى فى التعذيب والاستيلاء على الممتلكات فى إسبانيا. فأثناء رئاسته قام بحرق ٨٨٠٠ شخص حتى وعذب وسجن ٩٦٥٤.

١٤٩٢: الملك والملكة «الشديدا الكاثوليكية» وهو لقب أضافاه عليهما بابا روما شخصياً، قاما بطرد أكثر من مائة وستين ألفاً من اليهود من إسبانيا.

وقد حث البابا ملوك البلدان الأخرى على عمل نفس الشيء.

١٥١٢: مجمع لاتران الخامس الذي أقر سلطة المال في الكنيسة.

١٥٢٠: خطاب البابا ليون العاشر الذي قال فيه: «إننا نعلم منذ زمن سحيق كم أفادتنا أسطورة يسوع المسيح، نحن وذوينا». الأمر الذي يكشف أن القيادة العليا للكنيسة لم تكن تؤمن بالأسطورة التي اختلقها من أجل تصوير الشعوب والسيطرة عليها. ونص عبارته كما هو وارد في «موسوعة الأساطير والأسرار» بقلم بريارة ووكر، صفحة ٤٧١، هو:

«Quantum nobis nostrisque que ea de christo fabula profuerit, satis est omnibus seculis notum.»

١٥٢١: قيام مارتن لوثر الراهب الألماني بترجمة العهد الجديد وبداية الانقسام والمجازر بين المسيحيين لمدة قرون ممتدة.

١٥٢٧: مجزرة روما: قيام فريق من الجنود البروتستانت بقتل حوالي أربعين ألف مواطن ونهب المدينة بينما احتفى البابا وحرسه السويسري في قلعة سانتانجلو.

١٥٥٩: مع بداية انتشار الكتب وزيادة الاطلاع قامت الكنيسة بعمل «الإنديكس» أى كشف الكتب التي تحرم قراءتها. وبذلك تمت السيطرة على انتشار العلوم والمعرفة بين الناس. وآخر كشف بالكتب الممنوعة صادر عام ١٩٦١.

١٥٤٧-١٥٩٣: الحروب الدينية فى فرنسا والتي تخللتها عدة اتفاقيات سلام وقتية. وفى أثناء هذه المجازر تأتى الليلة المعروفة باسم «سانت بارتليمي» التي ذبح خلالها عشرون ألف بروتستانتى من الرجال والنساء والأطفال فى ليلة واحدة عام ١٥٧٢.

١٦٠٠: حرق جيوردانو برونو حياً فى روما بعد محاكمة ثمانية أعوام تغلظها التعذيب لاقتلاع الاعترافات ومات بتهمة «الهرطقة المتعنتة الوقحة» لأنه تجرأ على القول بأن «الشمس نجم من النجوم وإن الكون متسع لا نهاية له واحتمال وجود أشكال من حياة خارج كوكب الأرض» الأمر الذى يناقض معلومات الأناجيل القائلة بأن الإنسان والأرض مركز الكون. وأن الأرض مسطحة.

١٦٠٠: الإسبان يغزون أمريكا الجنوبية وقد أدت أعمالهم الوحشية والعبودية التى فرضوها والأعمال القهرية إلى قتل ملايين الأشخاص. فمن خمس وعشرين مليوناً عام ١٥٢٠ وصل تعداد هنود أمريكا إلى مليون ونصف حوالى عام ١٦٠٠.

١٦١٠: قام جاليليو بنشر كتابه «الرسول السماوى» الذى يصف فيه استكشافاته بفضل التليسكوب وقام بمراقبة ورسم مراحل ظهور القمر ودون فيه ملاحظاته حول الكواكب والنجوم، وذاع صيته فى أوروبا.

١٦١٩: قامت محكمة التفتيش بحرق الفيلسوف الإيطالى لوتشيليو فانينى حياً لأنه قام بتقديم تفسير علمى طبيعى لبعض المعجزات!

١٦٢٣: الكنيسة الكاثوليكية تدين جاليليو لأنه قال إن الأرض تدور حول الشمس. فحتى عام ١٧٥٧ كانت الكنيسة تمنع صدور أى عمل يتناول دوران الأرض. وظلت كتب جاليليو فى كشف المراجع الممنوعة (الإنديكس) حتى عام ١٨٢٥.

١٦١٨ - ١٦٤٨: حرب (الثلاثون عاماً) آل هابسبورج الكاثوليك فى ألمانيا فرضوا على أتباعهم البروتستانت بمقاطعة بوهيميا أن يتحولوا إلى الكاثوليكية واندلعت أعنف وأكبر حرب دينية عرفتها أوروبا حتى ذلك الوقت. وانخفض تعداد سكان ألمانيا إلى النصف، وتمت هجرة العديد من المدن واندلعت الأوبئة فى كل أوروبا الوسطى من لمبارديا إلى

بروسيا .

١٧٢٥: القس ميليه يكتب «وصيته» الشهيرة التي كشف فيها كيف أن الدين في يد رجال الكنيسة ليس إلا وسيلة للسيطرة على الشعوب.

١٧٧٤: هرمان صمويل ريماروس ينشر كتابه الذي يميّز فيه بين يسوع التاريخي ويسوع وفقاً للأنجيل والذي يؤكد فيه أن يسوع لم يقم بأى معجزة وأنه لم يصحّ من الموت. وهى أول مرة يتم فيها اتهام العقيدة المسيحية بهذا الشكل. وقد تبعته سلسلة من الباحثين بعد ذلك منهم باردت، وشتراوس، ورينان، وشفيتسر، إلخ... ومعظمهم رجال كنييون!

١٧٨٩: الثورة الفرنسية التي ستؤدى إلى إعلان الجمهورية وبداية تقلص الكاثوليكية وانطلاقة العلوم وتحسن ظروف المعيشة.

١٧٩٠: تم سجن الناشر الإنجليزي توماس بين الذي شكك فى صحة الأنجيل التاريخية.

١٨٢٦: حرق آخر متهم بالهرطقة حياً بقرار محكمة تفتيش إسبانية.

١٨٢٩: إعلان البيان الصادر عن البابا ليون الثالث عشر والذي ينص فيه على «أن أى شخص يلجأ للتطعيم يعتبر مرتدا وليس ابن الله: لأن مرض الجدري عقاب من الله والتطعيم ضده يعتبر ضد الإرادة الالهية»!

١٨٣٢: الخطاب الرسولى للبابا جويجوار السادس عشر الذى يدين بدعة «حرية العقيدة».

١٨٣٥: دافيد فريديخ شتراوس ينشر كتابه عن «حياة يسوع» الذى يؤكد فيه أن معجزات يسوع قد تم تأليفها وإضافتها. فتم رفته وحرمانه من ممارسة مهنة التعليم فى أى مكان، «وكن أن دراسة حياة يسوع وانتقاد أصول المسيحية يأتي على كيان الثقافة الأوربية برمتها»!

١٨٤٠: يرونو بوير ينشر انتقاداته للكنيسة والأناجيل ويكشف تحريف شخصية يسوع بها، وقد فصل ومنع من التدريس.

١٨٤٨: شعب روما يثور ضد الدكتاتورية البابوية وتم طرد بيوس التاسع وإعلان الجمهورية وهدم أسوار روما المحيطة بها. إلا أن الجيش الفرنسى قد أعاد البابا إلى الحكم عام ١٨٤٩ وقام بإعدام المعترضين رمياً بالرصاص. وعادت سلطة الحكم السلطوى مرة أخرى للبابا.

١٨٥٤: البابا بيوس التاسع يفرض عقيدة «الحمل العذرى» للسيدة مريم وقد سبق فرض مجرد الاحتفال به سنة ١٤٢٩.

١٨٦٤: البابا بيوس التاسع ينشر «السيلابوس» وهى الوثيقة التى تتضمن «أخطاء» الفكر الحديث. وفى عام ١٨٧٠ سيجعل مجمع الفاتيكان الأول يقر معصومية البابا من الخطأ بأثر رجعى للتأكيد من أن أحداً لن يعترض على قراراته.

١٨٧٢: جورج سميث يكتشف الرسائل الحجرية فى نينيف وبها «ملحمة جلجاميش» التى ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد. وبذلك أثبت أن الإنجيل ليس أقدم كتاب فى التاريخ كما يقولون وأوضح أن أهم قصص العهد القديم كالتوفان وسفر التكوين مأخوذة عن هذه الملحمة!

١٨٧٤: إنشاء جماعة «شهود يهوه» أولاد عمومة الأدفنتيست والذين أعلنوا عن نهاية العالم فى سنة ١٩١٤ ثم ١٩٥٢ ثم ١٩٤١ ثم ١٩٦٩ ثم ١٩٧٥.. ثم كفوا عن التنبؤ!

١٩٠٤: الأب لاجرانج يكتب «مقدمة لدراسة العهد الجديد» والتى يقول فيها إن الأناجيل غير كافيه كوثائق تاريخية لكتابة تاريخ حياة يسوع المسيح.

١٩٠٥: قانون كومب فى فرنسا وإعلان فصل الكنيسة عن الدولة.

١٩١٨: بداية الحرب الأهلية فى أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت ولا تزال مستمرة..

١٩٣٠: القس تورمل تم حرمانه عندما أثبت إحدى عمليات التحريف بالإنجيل طبعة القدس، وذلك بتبديل عبارة «سيدة شابة» فى أشعيا ٧: ١٤ وكتابة «العذراء» بدلاً منها. الأمر الذى يكشف أن إنجيل متى قد تمت صياغته فى وقت متأخر عما هو مفترض وشخص لم يكن فى متناول يده النصوص العبرية. واستبدال هذه العبارة تم لإضفاء مصداقية على ما تم من تحريف.

١٩٣٣: كفن منطقة كادوان، الذى جلبه أحد الصليبيين معه من انطاquia عام ١١١٥ كان قد وُضع فى كنيسة صغيرة فى كادوان. وفى القرن الخامس عشر بدأت السلطات الدينية تحج إلى تلك الكنيسة وتبجل ذلك الكفن الذى أحاط برأس يسوع. وانساق الحجاج وتحديث القديس برنارد والقديس لويس و ١٤ بابا عن آلاف المعجزات التى عملها ذلك الكفن. وذات يوم فى عام ١٩٣٣ قام أحد الخبراء بفحص الزخارف التى على طرف الكفن واتضح أنها كتابة بالخط الكوفى عليها عبارة «لا إله إلا الله» مما يؤكد أنه من مطلع القرن الحادى عشر وليس من أيام يسوع!

١٩٤١: القس الكاثوليكي دراجانوفتش فى كرواتيا ساهم فى إبادة العديد من الأرثوذكس المنشقين، ثم قام بتنظيم مخرج لمجرمى الحرب إلى أمريكا الجنوبية عن طريق الفاتيكان.. ثم قام الأمريكان بتعيينه تحت اسم «دينامو» لبراعته فى محاربة الشيوعية (نوفيل أوبسرفاتور عدد ١١ يوليو ٢٠٠٢).

١٩٤٦: اكتشاف ثلاث عشرة بردية من القرن الرابع فى منطقة نجع حمادى

بمصر ولا يوجد بها أى أثر لحياة ووفاة أو بعث يسوع الناصرى.

١٩٤٧: اكتشاف مخطوطات البحر الميت فى قمران بداخل إحدى ع نرة مفارة. وهذه المخطوطات معاصرة لفترة يسوع الناصرى وفقاً للإنجيل (من ٢٥٠ قبل الميلاد إلى ٦٨ بعد الميلاد). وتتناول هذه البرديات الدين والعدالة والمزامير وبعض القصص الحربية. وبها بعض فقرات من العهد القديم ولا يوجد بها أى أثر للأناجيل الخاصة بالعهد الجديد، ولا بالحواريين أو يسوع أو بعثه! وقد تأخرت الكنيسة فى الكشف عن هذه المخطوطات، التى نشرت فى ٢٩ مجلداً بعد ٥٤ سنة من العثور عليها. وبعض هذه المخطوطات يثير القلق وعلامات الاستفهام إذ أنها تكشف أن تاريخ حياة يسوع قد استوحوها من مسيح سابق له اسمه مناحم كان الفارسيون قد تنكروا له وأعدمه الرومان فى العام الرابع قبل الميلاد ثم اعتبره تلاميذه أنه قد بُعث بعد ذلك. وهو ما نطالعه فى كتاب «يسوع الآخر» لإسرائيل كتول..

ويقول إميل بويخ، مدير الأبحاث بالمركز القومى للأبحاث فى فرنسا: «علينا الاعتراف بأمانة أننا لا نمتلك بعد أى جزء كان من شاهد عيان لیسوع». والمعروف أنه فى عام ٥٨٦ ق. م. أن هدم مدينة القدس وحرق معبد سليمان قد أنهى عهد ملوك داوود. وابتداء من ذلك التاريخ فإن «ماشيا» تعنى عودة السلطة إلى سلالة داوود. لذلك قام كل من لوقا ومتى بجعل يسوع من سلالة داوود عبر يوسف. علماً بأن يسوع من الجليل فقد جعلوه من مواليد القدس. إذ أن لوقا ومتى قد أرادا أن يعطيا مزيداً من المصادقية لسلالة يسوع من داوود..

وعلى المدى البعيد، فإن مخطوطات قمران توضح أن قصة يسوع كما ترد بالأناجيل هى نتيجة تطور مدراشى طبيعى ويمكنها أن تصيب المسيحية فى مقتل. (عالم الإنجيل العدد رقم ١٠٧ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٧).

١٩٤٨: أعلن البابا أن أى شخص سينتخب الحزب الشيوعى أو سيسهم فيه بأى صورة من الصور سوف يتم حرمانه أوتوماتيكيا.

١٩٥٥: أعلن البابا بيوس الثانى عشر فى مؤتمر دولى للمؤرخين انعقد فى روما قائلاً: «إن مسألة وجود يسوع ترجع إلى الإيمان وليس إلى العلم!»

١٩٦١: آخر طبعة لقائمة الكتب الممنوعة (الإنديكس) وقد ظهر بها تحريم قراءة أعمال كل من سارتر والبرتو مورافيا، وأندريه جيد. وقد أُلغى رسمياً بعد مجمع الفاتيكان الثانى.

١٩٦٨: البابا بولس السادس يستقبل فى لقاء خاص أحد زعماء المافيا من شيكاغو: سام جانكانا (المحرض المحتمل لمقتل آل كيندى)، والذى كان يستعين برهبان كاثوليك لتحويل أموال دولية لغسلها عن طريق بنك «كونتيننتال إيلينوى» و «فينى بانك»، لتزويد الفاتيكان بالسيولة النقدية! («رَجَلنا فى البيت الأبيض» بقلم صامويل وتشوك جانكانا).

١٩٧٤: وفاة الكاردينال دانيولو فى بيت عاهرة زنجية.

١٩٧٦: نشر قائمة بأسماء أعضاء المحفل الماسونى ب ٢ (شديد الصلة بالفاتيكان، والمخابرات المركزية الأمريكية، واليمين المتطرف، والمافيا، عن طريق بنك امبروزيانو). وقد أدى مقتل القاضى الإيطالى فيتوريو أوكورسو إلى إيقاف التحقيق حول العلاقات بين حركة سياسية فاشية جديدة والمحفل الماسونى ب ٢. ومقتل أمير مقاطعة برولى المتورط فى جماعة أوبوس داي للتبشير والمافيا وبعض رجال السياسة الفرنسيين والإسبان. وفى عام ١٩٨١، مقتل القاضى ميشيل الذى كان يحقق فى هذا الموضوع.

١٩٧٨: اغتيال البابا يوحنا بولس الأول مسموماً ودفنه بدون تشريح

جسمانه. وقد قال الصحفي دافيد ياللوب إن المحفل الماسونى ب ٢ قد اغتال البابا لأنه كان قد طالب بالتحقيق فى موضوع البنك وطلب من الكاردينال فييو استبعاد كل الذين ينتمون لذلك المحفل من الفاتيكان. ودارت الشبهات حول الأسقف مارسينكوس رئيس الأمن الأسبق والسكرتير العام للبنك والمتخصص فى تهريب الأموال وغسلها. وقد خلفه البابا يوحنا بولس الثانى الذى كان يعمل فى شبابه بمصنع كيماويات «صولفى» فى منطقة بوريك فالتسكى، وهو مصنع كان يقوم بتصنيع مادة الزيكلون ب التى كان يستخدمها النازى لإبادة اليهود. (كتاب «باسم الرب» بقلم دافيد ياللوب. و «حياة يوحنا بولس الثانى» بقلم برنشتاين).

١٩٧٩: مقتل القاضى إميليو السندرينى بعد أن بدأ تحقيقاً عن بنك أمبروزيانو. ومقتل كارمين بكوريللى الصحفي وعضو المحفل الماسونى ب ٢ لثرثته! الحكم على جوليو اندريوتى رئيس مافيا روما ورئيس الحكومة بالحزب الديمقراطى المسيحى، بالسجن أربع وعشرين عاماً فى سنة ٢٠٠٢ لأنه أعطى الأوامر بتنفيذ هذا القتل. ومقتل جورجيو امبروزولى بسبب شهادته ضد سيندونا الذى كان يقوم بغسل أموال المافيا عبر بنك الفاتيكان بسويسرا. ثم مقتل الكولونيل أنطونيو فارسكو الذى كان يحقق فى المحفل الماسونى ب ٢ (الموسوعة البريطانية، وجريدة الموند ١٨ / ١١ / ٢٠٠٢)

١٩٨٠: أدان البابا يوحنا بولس الثانى استخدام العازل الطبى كوسيلة ضد مرض الإيدز فى أفريقيا عائداً بذلك إلى التراث الكنسى أيام القرون الوسطى.. الأمر الذى أدى إلى عدد من الوفيات يصعب حصره. كما أنه يمارس سياسة تخريبية فيما يتعلق بوسائل منع الحمل فى العالم الثالث إذ أن هذه الوسائل تؤدي إلى نتائج سرطانية كاسحة..

١٩٨٢: انتحار روبرتو كالفى من بنك امبروزيانو، بنك الفاتيكان، شنقاً تحت كويرى بلاكفيارفى لندن. وقبل ذلك بعدة ساعات كانت سكرتيرته جرازيبلا كوروشيه قد انتحرت بقذفها من الدور الرابع من بنك امبروزيانو. ثم اغتيال روبرتو روسونى مدير ذلك البنك. ثم تبعه جوزيبى ديللاكا، المدير التنفيذى، بإلقاء نفسه من نافذة البنك فى فرع ميلانو. ثم تم تسميم ميشيل سيدونا، الممول المالى للمافيا الأمريكية والصلفيّة منذ ١٩٥٧، بسم الستريكنين فى السجن قبل أن يمثل أمام القضاء بأيام. وتم تعيين الأسقف مارسينكوس، المدير المصرفى للفاتيكان، فى الولايات المتحدة الأمريكية لكى يفلت من العدالة رغم صدور أمر دولى بالقبض عليه. (كتاب «الفاتيكان، المال والسلطة» بقلم ف. هاكور).

١٩٨٩: المبشر التليفزيونى الأمريكى جيم بيكر والمتهم باختلاسات مالية والتورط فى قضايا أخلاقية تم الحكم عليه بالسجن خمسة وأربعين عاماً.

١٩٩٠: العقيدة المسيحية تقسم الصرب والكروات. فالصّرب نصرّتهم الكنيسة البيزنطية وهم أورثوذكس والكروات نصرّتهم روما وهم كاثوليك. وحينما لوح ميلو سفيتش الدكتاتور الصربى بفكرة صربيا الكبرى، أعلنت كرواتيا استقلالها، فسارع الفاتيكان بالاعتراف بكرواتيا الكاثوليكية كدولة مستقلة وتوالت صيحات البابا وصلواته لمساندة استقلال كرواتيا. إلا أن ذلك لم يمنع الصرب من القيام بأكبر مجزرة عرفتها أوروبا فى العصر الحديث، وذلك بالاتفاق مع الحكومة الهولندية التى أعطت التعليمات لفرقتها التابعة للأمم المتحدة بالقضاء على المسلمين فى بلدة سربيرينيتسا التى راح ضحيتها حوالى ثمانية آلاف مسلم فى مجزرة واحدة تحت أعين الخوذات الزرقاء أو بمعاونتها).

١٩٩١: القس الكاثوليكي أوجين درويرمان تم إيقافه عن العمل وتدريس اللاهوت لأنه كتب في أحد أبحاثه «أن مولد يسوع بالوضع الحالى المفروض من الكنيسة لا أساس له من الصحة التاريخية وأنه هو وعذرية مريم مجرد أساطير رمزية. وإذا ما أخذ سفر التكوين حرفيا فهناك العديد من التناقضات التى لا يمكن تخطيها».

١٩٩٢: الكاردينال موريس اتونجا أسقف نابروبي يقوم بحرق العوازل الطبية فى الميدان العام، مساهما بذلك فى موقف الكنيسة الرامى إلى زيادة عدد المصابين بالإيدز فى أفريقيا..

مايو ١٩٩٢: إضفاء صفة القداسة على الأسقف اسكريفردى بلاجير، مؤسس منظمة أوبوس داى التبشيرية والمتورطة فى العديد من القضايا المالية والسياسية والمافيا.

١٩٩٣: صدور الخطاب الرسولى المعنون «روعة الحقيقة» الذى ينص فيه البابا يوحنا بولس الثانى على ضرورة تنصير العالم، وعلى أن الحوار يتم لكسب الوقت إلى أن يتم التنصير، وأن كلمة الحوار عنده تعنى «فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح، والحوار يرمى أساساً إلى حماية الأقليات المسيحية فى البلدان المسلمة».

١٩٩٣/١٢/٢٢: البابا يوحنا بولس الثانى يعترف بأن يوم ٢٥ ديسمبر أصله عيد وثنى قائلًا: «أيام الوثنية كان القدماء يحتفلون بعيد ميلاد الشمس التى لا تقهر فى ذلك اليوم حتى تتوافق مع مدار الشمس الحقيقية ألا وهى: يسوع المسيح»!

١٩٩٤: الكنيسة الكاثوليكية تفرض على رهبانها التبتل عند ترسيمهم. كما أنها تقيم أديرة للمراهبات اللائى وهبن أنفسهن زوجات ليسوع.. وفى عام ١٩٩٤ قامت إحدى الراهبات وهى طييبة، تدعى الأخت مورا اودونوهو

المسئولة عن تنسيق حملة ضد الإيدز، بكتابة تقرير رصدت فيه العديد من حالات الاعتداءات الجنسية والاعتصابات على الراهبات في أكثر من ثلاثة وعشرين بلداً. وظل التقرير في سرية تامة حتى مارس ٢٠٠١ عندما فضحته إحدى الجرائد الكاثوليكية الأمريكية.

١٩٩٤: ثبوت اشتراك القسس في المجازر التي وقعت في رواندا وراح ضحيتها حوالي ثمانمائة ألف قتيل. ولم تعرف هذه الحقيقة إلا عام ٢٠٠١ وإن الأخت جرتروود والأخت كيزيتو قد قامتا بتسليم اللاجئين لديهم في الدير، وقامتا بإحضار الوقود وأشعلا الهنجر الملئ باللاجئين. وتكررت نفس الحالة في بلدان أخرى في أوروبا بمعاونة الكنيسة الكاثوليكية.

١٩٩٥: تورط الكاردينال ريكاردو ماريا جورودو، أسقف برشلونة في عملية تهريب سلاح وأحجار كريمة وكوكايين عن طريق المافيا الإيطالية.

١٩٩٨: اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بأنها كانت دوماً تساند الديكتاتور بينوشيه.

٢٠٠١: الحكم على الراهبتين جرتروود وكيزيتو الأولى بخمسة عشر عاماً والأخرى باثني عشر عاماً لاشتراكهما في قتل ألف وستمائة روانديا وحرقتهم أحياء في الهنجر.

٢٠٠٢ / ١ / ٣١: في خطاب عنيف اللهجة راح البابا يوحنا بولس الثاني يحث القضاة والمحامين على رفض تطبيق القانون فيما يتعلق بالطلاق. وهي من المرات النادرة التي يحصد فيها البابا اعتراضات جماعية حتى من داخل الكنيسة. ولعل ذلك يرجع إلى أن السيد المسيح، وفقاً للعقيدة المسيحية، متزوج من الكنيسة، وأنه لا انفصال ولا طلاق في هذا الارتباط، وإقرار مبدأ الطلاق قد يرمز إلى إمكانية طلاق

السيد المسيح من الكنيسة!! (جريدة لوموند ٣١ / ١ / ٢٠٠٢).

مارس ٢٠٠٢: اهتزت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية بالعديد من قضايا الاعتداءات الجنسية على الأطفال، وقد حاولت كتم هذه الفضائح عن طريق دفع مئات الملايين من الدولارات. ذلك لأن ١٠٪ من الخمسة وعشرين ألف قس متورطون في هذه الفضائح. والمعروف أن هذه النسبة أكثر ارتفاعاً بين قساوسة أيرلندا. وقد تأسف البابا لصورة الكنيسة وللقساوسة المتورطين، لكنه لم يقل شيئاً عن الضحايا.. (جريدة لوموند ١٤ / ٣ / ٢٠٠٢).

أكتوبر ٢٠٠٢: الفاتيكان يقر كتاباً عن الأكاذيب الواردة بالكتاب المقدس ومنها: «يسوع لم يولد في ٢٥ ديسمبر، وأنه كان قصير القامة، وحواء لم تأكل التفاحة، والوصايا العشر لم يعيها الله على موسى». ذلك ما يؤكد صحفيان كاثوليكيان في كتاب طبع في إيطاليا وقدم له الأسقف جيانفرانكو رافازي، عضو اللجنة البابوية للممتلكات الثقافية للكنيسة ووزير ثقافة الفاتيكان!!

وبعد هذا السرد التاريخي المرير لبعض أهم تواريخ وأحداث المسيحية الحالية ولصراعات الكنيسة بعامة، وخاصة مع بنى جلدتها، لا نجد ما نطلق به على هذا الجزء المؤسف سوى عبارة المؤرخ اللاتيني مرسلين أميان (حوالي ٣٢٠ - ٤٠٠) الذي رافق الإمبراطور جوليان في حروبه المسيحية، حين قال: «لا يوجد حيوان وحشى أكثر شراسة وعداوة للإنسانية من المسيحيين في كراهيتهم المميته التي يواجهون بها أبناء دينهم». (وارد في كتاب رتشارد روبنشتاين: «اليوم الذي أصبح فيه يسوع الله» ص ٢٢٦، نقلًا عن فريند:

«بزوغ المسيحية» ص ٦٠١).. ولو أن المؤرخ أميان قد عاش في زمننا هذا لأضاف الكثير إلى وصفه، خاصة فيما يتعلق بموقف ذلك التعصب ضد الإسلام والمسلمين..

٣) بعض المتناقضات في الإنجيل بعهديه

التكوين ١: ٣ - ٥ في اليوم الأول الله خلق النور ثم فصل النور عن الظلمة.

التكوين ١: ١٤ - ١٩ تم ذلك في اليوم الرابع.

التكوين ١: ٢٤ - ٢٧ تم خلق الحيوانات قبل الإنسان.

التكوين ٢: ٧ و ١٩ تم خلق الإنسان قبل الحيوانات.

التكوين ١: ١١ - ١٢ و ٢٦ - ٢٧ تم خلق الأشجار قبل الإنسان.

التكوين ٢: ٤ - ٩ تم خلق الإنسان قبل الأشجار.

التكوين ١: ٢٠ - ٢١ و ٢٦ - ٢٧ تم خلق الطيور قبل الإنسان.

التكوين ٢: ٧، ١٩ تم خلق الإنسان قبل الطيور.

التكوين ١: ٣١ أعجب الله بما خلق.

التكوين ٦: ٥ - ٦ لم يعجب الله بما خلق وحزن وتأسف..

التكوين ٢: ١٧ كتب على آدم أن يموت يوم يأكل من شجرة المعرفة، وقد أكل..

التكوين ٥:٥ آدم عاش ٩٣٠ سنة!

التكوين ٥:١٠، ٢٠، ٣١ كل قبيلة لها لغتها ولسانها .

التكوين ١:١١ كانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة.

التكوين ١٥:١٦، ٢١:١ - ٣ إبراهيم له ولدان إسماعيل وإسحاق .

العبرانيين ١١:١٧ إبراهيم له ولد واحد وحيد إسحاق (وتم استبعاد إسماعيل)!

التكوين ١٧:٧، ١٠ - ١١ الرب يقول عهد الختان عهداً أبدياً .

غلاطية ٦:١٥ بولس يقول ليس الختان ينفع شيئاً وبذلك تلعو كلمة بولس على كلمة الرب!..

التكوين ٢٠:١١ - ١٢ إبراهيم تزوج من سارة أخته ابنة أبيه .

اللاويين ٢٠:١٧ «إذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورته ورأت عورته فذلك عار يقطعان أمام أعين بنى شعبهما . قد كشف عورة أخته . يحمل ذنبه!» (وفى طبعة ١٨٢١ نقرأ كلمة «إذا تزوج» بدلاً من «إذا أخذ» ونقرأ «يقتلان» بدلاً من «يقطعان»)..

خروج ١٢: ١٣ كان على اليهود أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى يتعرف عليها الرب ولا يهلكهم..

أمثال ٣: ١٥ عينا الرب في كل مكان ولا يخفى عليه شيء!

خروج ٢٠: ١ - ١٧ الرب أعطى الوصايا العشر لموسى مباشرة بلا وسيط.

غلاطية ٣: ١٩ أعطاه الرب مرتبة بملائكة في يد وسيط.

خروج ٢٠: ٤ الرب يمنع صنع التماثيل والمنحوتات.

خروج ٢٥: ١٨ الرب يأمر بصنع كرويين من الذهب لوضعهما على طرفي غطاء التابوت.

خروج ٢٤: ٧ الأبناء يدفعون ثمن إثم الآباء حتى الجيل الثالث والرابع.

تشية: ٢٤: ١٦ لا يقتل الأبناء لإثم الآباء.

لاويين ٢٤: ٢٠ العين بالعين والسن بالسن.

متى ٥: ٣٨ - ٤٤ من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً... أحبوا أعداءكم!

لاويين ٢٥: ٣٧ تحريم الربا.

متى ٢٥: ٢٧ إباحة الربا.

العدد ٢:٣٠ الالتزام بالنذر والقسم.

متى ٥:٢٣ - ٢٧ عدم القسم.

التثنية ١:٢٤ - ٥ الرب قال يمكن للرجل أن يطلق زوجته ويمكن لكل منهما أن يتزوج ثانية.

مرقس: ١٠:٢ - ١٢ وقال يسوع من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها والزوجة كذلك! فهل يسوع يناقض الرب أم يناقض نفسه؟

صموئيل الأول ٤:٣١ - ٦ شاول يقتل نفسه بالسيف.

صموئيل الثاني ٢١:١٢ الفلسطينيين هم الذين قتلوه في حلبوع.

أخبار الأيام الأول ١٠:١٣ - ١٤ الرب هو الذى أماته.

صموئيل الثاني ٢٤:٢٤ اشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا.

٢٥:٢١ ودفع داود ذهبا وزنه ستمائة شاقل.

الملوك الأول ٤:٢٦ كان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل.

أخبار الأيام الثاني ٩:٢٥ كان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل.

الملوك الثاني ٢:١١ فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء.

يوحنا ٣:١٣ لم يصعد أحد إلى السماء إلا ابن الانسان (يسوع).

العبرانيين ١١: ٥ الله نقل أخنوخ إلى السماء.

مزامير ١٠: ١ الرب لا يوجد عند الحاجة، ولا يستجيب.

مزامير ١٤٥: ١٨ الرب قريب لكل الذين يدعونه.

مزامير ٧٨: ٧٩ الرب قد أسس الأرض إلى الأبد.

مزامير ١٠٢: ٢٥ - ٢٦ الأرض تباد وتبلى كالثياب.

متى ٢٤: ٢٥ السماء والأرض تزولان لكن كلامي (يسوع) لا يزول.

إشعياء ٤٤: ٢٤ أنا الرب صانع كل شيء ناشئ السموات وحدي.

يوحنا ١: ٣ يسوع (الكلمة) ساهم مع الرب في كل شيء فهو الله.

متى ٦: ٧ نسب يسوع عن طريق سليمان بن داود.

لوقا ٣: ٢٣ - ٣١ نسب يسوع عن طريق ناثان بن داود.

متى ١: ١٦ يعقوب والد يوسف.

لوقا ٣: ٢٣ هالي والد يوسف.

متى ١: ١٧ جميع الأجيال من داود إلى المسيح ثمانية وعشرون (٢٨).

لوقا ٣: ٢٣ - ٢٨ عدد الأجيال أربع وثلاثون (٣٤).

متى ١: ١٨ - ٢١ ملاك الرب ظهر ليوسف بعد أن حملت مريم.

لوقا ١: ٢٦ - ٢١ ملاك الرب ظهر قبل الحمل.

متى ١: ٢٠ الملاك تحدث إلى يوسف.

لوقا ١: ٢٨ الملاك تحدث إلى مريم.

متى ٢: ١٣ - ١٦ يوسف أخذ الصبي (يسوع) وأمه وهربوا إلى مصر.

لوقا ٢: ٢٢ - ٤٠ عقب ميلاد يسوع، يوسف ومريم ظلّا في أورشليم ثم عادوا

إلى الناصرة ولم يذهبوا إلى مصر بالمرّة، ولا يرد ذكر ذبح

الأطفال!

متى ٥: ١، ٧: ٢٩ يسوع يقول موعظته على الجبل.

لوقا ٦: ١٧ - ٤٩ يسوع يقول موعظته في موضع سهل أي على الأرض وليس

على جبل.

متى ٥: ١٧ - ١٩ لم يأت لينقض الناموس.

أفسوس ٢: ١٣ - ١٥ يسوع قد أبطّل الناموس بجسده.

متى ٩: ١٨ ابنة الرئيس كانت قد ماتت قبل أن يذهب إليها يسوع

لوقا: كانت تحتضر عندما ذهب إليها.

متى ١٠: ٢ ومرقس ٣: ١٦ - ١٩ ولوقا ٦: ١٣ - ١٦ وأعمال الرسل ١: ١٣
تختلف بينها أسماء وأعداد الحواريين.

متى ١٠: ٣٤ جاء يسوع ليلقى سيفاً وليس سلاماً.

لوقا ١٢: ٤٩ - ٥٣ جاء يسوع ليلقى ناراً وانقساماً.

يوحنا ١٦: ٢٣ جاء يسوع ليلقى سلاماً.

متى ١٦: ١٨ يسوع يقول: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنِ كنيسة...
وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات.

متى ١٦: ٢٣ قالت يسوع وقال لبطرس اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة
لى...

متى ٢١: ١٢ - ١٣ أطيح يسوع بالباعة من المعبد فى أواخر أيامه متهمهم
بأنهم جعلوه بيت لصوص.

يوحنا ٢: ١٣ - ١٦ أطيح يسوع بالباعة من المعبد فى بداية حياته متهمهم
بأنهم جعلوه بيت تجارة.

متى ٢٣: ٢٥ يسوع يقول إن زكريا بن براخيا.

أخبار الأيام الثانى ٢٤: ٢٠ تقول إن زكريا كان ابن يهويا (مع ملاحظة أن اسم
براخيا غير وارد فى العهد القديم).

مرقس ١٤: ٣ المرأة تسكب الطيب على رأس يسوع.

لوقا ٧: ٣٨ المرأة تسكب الطيب على قدميه.

مرقس ١٤: ١٠ - ١١ يهوذا يساوم على تسليم يسوع قبل الأكل.

يوحنا ١٣: ٢١ - ٣٠ المساومة تتم بعد الأكل.

مرقس ١٤: ٤٤ - ٤٦ علامة خيانة يهوذا ليسوع أن يقبله.

لوقا ٢٢: ٤٧ - ٤٨ يهوذا دنا من يسوع ليقبله.

يوحنا ١٨: ٢ - ٩ يسوع خرج وسلم نفسه ولا ذكر لقبلة يهوذا الشهيرة.

مرقس ١٤: ٥٢ بعد القبض على يسوع ذهبوا به إلى قيافا.

يوحنا ١٨: ١٣ - ٢٤ بعد القبض على يسوع ذهبوا به إلى حنّان أولاً.

متى ٢٦: ٥٩ - ٦٦ تمت محاكمة يسوع أمام رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله.

لوقا ٢٢: ٦٦ - ٧١ تمت المحاكمة أمام رؤساء الكهنة والكتبة.

يوحنا ١٨: ١٣ - ٢٤ تمت المحاكمة أمام قيافا وحنّان الذي كان قد أرسل له يسوع موثقاً.

لوقا ٢٢: ٧٠ عندما سألوا يسوع إن كان ابن الله قال لهم أنتم تقولون.

مرقس: ١٤: ٦٢ عندما سألوا يسوع قال لهم أنا هو!

متى ٥: ٢٧ يهوذا طرح النقود أرضاً وانصرف.

أعمال الرسل ١: ١٨ يهوذا يقتنى حقلاً بأجرة خيانتة.

متى ٥: ٢٧ يهوذا خنق نفسه.

أعمال الرسل ١: ١٨ يهوذا يسقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت
أحشاؤه كلها!

متى ٢٧: ٢٨ البسوا يسوع رداءً قرمزيًا (علامة على الإهانة).

مرقس ١٥: ١٧ البسوه رداءً أرجوانيا (علامة على الملكيّة).

متى ٢٧: ٣٢ سمعان القيرواني سخر لحمل صليب يسوع.

يوحنا ١٩: ١٧ خرج يسوع حاملاً صليبه.

متى ٢٧: ٤٦ - ٥٠ كانت آخر كلمات يسوع «إيلي إيلي لما شبقتنى أى إلهى إلهى
لماذا تركتني».

لوقا ٢٣: ٤٦ كانت آخر كلمات يسوع «يا أبتاه فى يدك أستودع روحى».

يوحنا ١٩: ٣٠ كانت آخر كلماته بعد أن أخذ الخل: «قد أكمل» ونكس رأسه
وأسلم الروح!

متى ٢٨: ١ وبعد السبت عند الفجر جاءت مريم المجدلية ومعها مريم أخرى (أى اثنتين).

مرقس ١٦: ١ وبعد ما مضى السبت جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة (أى ثلاث).

لوقا ٢٣: ٥٥ جاءت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات (أى على الأقل خمس).

يوحنا ٢٠: ١ وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً. (أى واحدة فقط).

متى ٢٨: ٢ وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه ..

لوقا ٢٤: ٢ (عندما حضرت النسوة) وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر.

مرقس ١٥: ٢٥ كانت الساعة الثالثة فضليوه.

يوحنا ١٩: ١٤-١٥ وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة فقال لليهود هوذا ملككم.

يوحنا ١: ١ الكلمة (يسوع) هى الله.

يوحنا ١٠: ٣٠ يسوع والأب واحد.

يوحنا ١٤: ٢٨ يسوع يقول: أبى أعظم منى.

أعمال الرسل ٢: ٢٢ يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلِ اللَّهِ.

لوقا ٢٣: ٤٣ فقال يسوع للصل المصلوب بجواره: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس.

أعمال الرسل ٢: ٣١ تقول الآية إنه ظل في الجحيم حتى بعث (في طبعة ١٨٣١) وفي طبعة ١٩٦٦ تم تغيير عبارة «الجحيم» وكتب «الهاوية»!

ولا يسع المجال هنا لحصر المائة والخمسين ألف تناقض التي تتحدث عنها الموسوعة البريطانية لكننا أوردنا بعض النماذج العشوائية لنوضح أن هذه الأناجيل ليست منزلة من عند الله كما يجادلون في ذلك، وإنما قد صيغت وفقا للمناسبات والأغراض، وأنه لا يحق لأى «إنسان» أن يحاول فرضها على المسلمين فلا يوجد مسلم يمكنه التخلي عن إيمانه ليقبل مثل هذه الصياغات التي لا تستقيم مع أى منطق أو عقل. ليؤمن بها من شاء. وليكثر بها من شاء، لكن فرضها على العالم، وخاصة على العالم الإسلامى أمر مرفوض بكل المقاييس.



الفصل الرابع

أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها..

من أهم أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها ذلك المؤتمر الذى انعقد فى الأيام الأولى الثلاثة من شهر يوليو ٢٠٠٢، تحت عنوان: «نحو خطاب ثقافى جديد: من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل». والمؤتمر لم يخطط له مسبقا ولم يكن مدرجا ضمن أنشطة المجلس الأعلى للثقافة. ولعل الذين علقوا على هذه العجالة، التى تم جمع المثقفين من مختلف الأقطار الإسلامية والعربية، قد فاتهم الربط بين هذا المؤتمر وذلك الذى أقيم قبله بشهر، بمقر السفارة الأمريكية بالقاهرة تحت رعاية السفير الأمريكى، وكان موضوعه عن التعليم فى مصر وكيفية تطويره..

أما ذلك المؤتمر الذى انعقد فى أوائل شهر يوليو، فقد انعقدت خلاله ١٢ جلسة و٦ موائد نقاشية وتم مناقشة ١٤٦ بحثاً وورقة عمل ومداخلة.. ولا ندري بأى منهج علمى أو ثقافى تم الاستماع إلى هذا الكم من الأبحاث، فى مثل هذا الوقت الضيق، ومتابعتها ومناقشتها للبت فيها وإصدار القرارات المبنية عليها. إلا إن كان المقصود من هذا المحفل الثقافى العربى مجرد

إضفاء الشرعية، بنفس العجالة التي انعقد بها، لا لتمرير القرارات التسعة التي تمخض عنها المؤتمر فحسب، وإنما لإحاطتنا علما بما تم الاتفاق عليه فعلا لتنفيذه..

فعلى الرغم من أن العنوان المعلن للمؤتمر هو: «نحو خطاب ثقافى جديد»، إلا أنه قد ناقش محورين أساسيين هما: نقد الخطاب الثقافى السائد، وتجديد الفكر الدينى. وإذا ما أخذنا فى الاعتبار أهم وأغرب ما تم طرحه من مقترحات، لأدركنا أن المغزى الحقيقى لهذا الحشد الثقافى هو طرح كيفية اقتلاع الإسلام. تمشياً مع مآرب هذه الحرب الصليبية ولمواكبة الحضارة الأمريكية والغربية فى انفلاتها الجامح.. ولا أدل على ذلك من أن تتولى جماعة من العلمانيين الموالين للغرب مناقشة الخطاب الدينى وتحديد آفاق مستقبله!

فلقد تراوت جلسات الجلسات، منذ الجلسة الافتتاحية حتى الجلسة الختامية، بين منطلق التكفير وآفاق التفكير ومحاولات التفكيك التى طالت كل الثوابت الإسلامية والتاريخية المراد مراجعتها بدءاً من الدين نفسه، ومختلف أنساق القيم الاجتماعية، انتهاءً بالخطاب الثقافى والإعلامى والدينى.. الأمر الذى يضع عدة علامات استفهام حول المخططات الأمريكية التى لاحت فى المؤتمر وحول أولئك المسلمين الذين تباروا فى مطالب جد غريبة فمنهم من طالب بحدف آيات وكلمات من القرآن الكريم، وعدم الاعتراف بالسلف الصالح، ونبد التراث والمساس بالفقهاء القدامى، ومنهم من طالب بعمل لاهوت إسلامى جديد، وانتقاد ثبات النص القرآنى، والمطالبة بالانطلاق نحو الحياة والمتعة بدلا من القيم والأخلاق البالية، وبتطبيق قيم فلسفة عصر التنوير، والاستفادة من مدرسة الحداثة، ومنهم من طالب الغرب المسيحى رسمياً بالتدخل لإصلاح الشأن الدينى فى البلدان الإسلامية، بما أنه صاحب المصلحة الأولى فى هذا التخريب.. ومنهم من طالب بتغيير المناهج الدراسية

العربية وفقاً لوقاحة السياسة الأمريكية ومطالبها، ومنع تدريس القرآن الكريم في المدارس، وإنتاج خطاب ديني متطور يواكب العصر في انفلاته الأخلاقي، ومنهم من طالب بحقوق المرأة في كل شيء. الأمر الذي يستوجب عدة علامات استفهام وتعجب.. وتحرير الوعي الإسلامي من قاعدة الحلال والحرام، ومنهم من طالب بتفكيك المؤسسات الدينية، ومنهم من طالب باعتبار القرآن الكريم غير صالح لكل زمان ومكان، وحصره في النطاق التاريخي والمكاني فحسب، ومنهم من اعتبر الفتح الإسلامي غزواً نهب مقدرات مصر، بل هناك من طالب بإعادة النظر في الدين برمته، وبفصل الدين عن الدولة، وتحويل العالم الإسلامي إلى العلمانية، ومنهم من طالب باستبعاد عبارة «الشريعة الإسلامية» كمصدر لتشريع قوانين الدولة. وبالتالي استبعاد أن الإسلام دين الدولة من الدستور المصري، إلخ..

وكان من الممكن اختصار هذا العرض المقتضب لمطالب المؤتمر وقول إنها لم تخرج عن مطالب المستشرقين المتعصبين الذين لم يكفوا عن تكرار هذه المطالب بصورة أو بأخرى، وأنها أمثال واضح لمقولة المستشرق زويمر، الذي قال في مطلع القرن الماضي إنه «لن يقتلع الإسلام إلا أيد مسلمة، من داخل أمة الإسلام»..

وبالته من عار..

وقبل أن نتناول ذلك البيان الختامي وبنوده التسعة، لا بد من توضيح معاني بعض العبارات التي تم استخدامها في هذه المطالب، حتى تكون الصورة واضحة أمام القارئ. ولن نقول هنا شيئاً عن المساس بالقرآن الكريم أو عن التلاعب به وبتعاليمه.. ومن هذه العبارات أو المصطلحات:

● **التنوير**: لقد قام عصر التنوير في أوروبا وخاصة في فرنسا، في القرن الثامن عشر، ضد عصور الظلمات والقهر التي فرضتها الكنيسة الرومية كمؤسسة تسلطية تمنع الحريات وتحارب العلماء والتقدم وتقيم المحارق

للكتب والأفراد، وخاصة للمعترضين أو المنشقين على ما تقوم به من تلاعب بالنصوص، والتصدي لكل من يخالف هذا التعظيم.. وهى قرون ممتدة فرضت فيها صكوك الغفران، ومحاكم التفتيش، والحروب الصليبية التى أعلنتها الباباوات باسم الرب يسوع المسيح، لا ضد المسلمين وحدهم، ولكن ضد كل المنشقين عليها، وقتل الأبرياء، ومنهم البروتستانت والأورثوذكس، والكاتار. فى جنوب شرق فرنسا، الذين أبيدو كلية لاعتناقهم الأريوسية، نسبة إلى الأسقف السكندرى أريوس الذى كان يعارض تأليه السيد المسيح فى مطلع القرن الرابع. وهى أقرب المذاهب إلى الإسلام فى توحيدها بالله عز وجل. فهل عرف الإسلام والمسلمون مثل هذه العصور المخزية لكى يطالب البعض بالاسترشاد بعصر التنوير؟

● **الحدائة والأصولية:** هى ثانى أكبر أزمة فكرية تتعرض لها المؤسسة الكنسية الرومية بعد أزمة التنوير، وقد طالب علماء الحدائة، وكثيرون منهم كانوا من رجال الكنيسة، بتقية النصوص الإنجيلية والكنسية مما بها من تناقض وتحريف ولا معقول لم يعد يتمشى مع الواقع، لكى يتوقف ما أطلقوا عليه «النزيف الصامت للكنيسة»، ويقصد به أولئك الذين يتسللون بعيدا عن ذلك الدين الذى يتم فرضه قهرا وبلا مناقشة.. وهاج أصحاب النفوذ والتعصب الكنسى قائلين بإصرار أصم إن النصوص (الثابت تحريفها) أصلية مقدسة منزلة! وبالتالي أصبحت كلمة «الحدائة» فى الخطاب الغربى: تعنى: تقية النصوص الدينية المسيحية مما بها من تحريف، وكلمة «الأصولية» تعنى فى الخطاب الغربى التمسك بكل ما تم فى العقيدة من تحريف عبر المجامع على مر العصور..

ومن هنا، فإن استخدام هذين اللفظين للخطاب الإسلامى يكشف عن جهل مروع وعن محاكاة ممجوجة للغرب، بلا فهم. فالأصول الإسلامية منزلة لم ينلها أى تحريف، والمطالبة بتحديثها يعنى تخريبها والتلاعب بها. وهو أمر

مرفوض بكل المقاييس.

● **لاهوت تحرير إسلامي:** أولاً، إن علم اللاهوت علم يبحث في وجود الله وذاته وصفاته، ويقوم عند المسيحيين مقام علم الكلام عند المسلمين. وقد جرى العرف على استخدامه كمصطلح كنسى مرتبط بالسيد المسيح وكل المشكلات التي ترتبت على تأليهه. ومنها كلمات الناسوت والكهنوت وما إلى ذلك.. والمطالبة بلاهوت تحرير إسلامي محاكاةً لمجوعة أخرى، فلاهوت التحرير نشأ في شعوب أمريكا اللاتينية في الستينيات من القرن العشرين، بعد أن انتابها اليأس من التنمية والتقدم المزعوم وفقاً للنظام الأمريكي واقتصاديات السوق التي فرضت عليها. مثلما فرضت علينا.. الأمر الذي نجم عنه هناك تدهور الاقتصاد بصورة غير مسبوقة. والمقصود بالتحرر في هذا السياق الذي نشأ فيه «لاهوت التحرر» هو: التحرر من العبودية التي يفرضها النفوذ الكنسى والأمريكى ومحاربة الظلم الاجتماعى الناجم عن ممارساتها واللجوء إلى نوع من العلمانية هرباً من القمع الذى يمارس عليهم، ومحاربة الرأسمالية التى تساندها الكنيسة الرومية بضراوة. وقد قام البعض بربط الحركة التحررية بالشيعوية وبالصراع الطبقي، لذلك تمت محاصرتها، وفشلت تجربة نيكارجوا عام ١٩٨٤.. فقد قام البابا يوحنا بولس الثانى بمحاربة لاهوت التحرر وخاصة كتاب الأسقف ليوناردو بوف (١٩٨٢) الذى كان يطالب بإصلاح كنسى وبعادة النظر فى السيادة المطلقة للبابا، متهماً كيان المؤسسة الكنسية بأنه قد أصبح كياناً شيطانياً!

فهل مارس الإسلام على شعوبه مثل هذا التسلط والقهر الاجتماعى والاقتصادى؟! من المسلم به أنه لو تم تطبيق نظام الزكاة بأمانة لما كان هناك فقر فى أمة الإسلام.. وعدالة التشريع الاقتصادى فى الإسلام لا تزال تبهر العاملين على اقتلعه، فبأى ضمير نجارى الغرب فى مطالبه؟!

● **حقوق المرأة:** طالب نفر من المشاركين في هذا المحفل بحقوق المرأة «في كل شيء»، وهذه العبارة في مثل هذا المؤتمر الهادم لجذورنا وأساسنا يعود بنا إلى مؤتمرات المرأة، ومؤتمر السكان، وبدعة الجندر التي اختلقوها للمساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء: في الجنس والانقلات، وإلى ما حاولوا فرضه من إباحيات وعلاقات جنسية خارج نطاق الزواج الشرعي الكامل الأركان، وإباحة العلاقات المثلية بين النساء، ومحاولة إدراجها ضمن حقوق الإنسان، باعتبارها من الحريات الشخصية.. وهنا لا بد من طرح سؤال على ذلك النفر المطالب بهذا الانقلات الهمجي: ترى هل يقبل على نفسه أن تتجرف والدته أو زوجته أو شقيقته أو ابنته في أحد هذه التيارات المنحطة التي تعنيها عبارة «كل شيء»؟!

لقد نالت المرأة المسلمة من الحقوق ما لم تنله المرأة الغربية حتى عصر قريب، ويكفيها فخراً حق أخذ رأيها في شريك حياتها، وتكريمها في الميراث، وحريتها في إدارة أموالها وممتلكاتها، وحققها في الاستقلالية التامة حتى في الاحتفاظ باسمها، ومشاركتها في المجتمع، وحققها في التعليم، بل وحققها في الحياة.. والقرآن الكريم يخاطب المؤمنين والمؤمنات بعامه، ولم يستثن المرأة إلا في نقطتين: بعض حالات الميراث، والشهادة، وكلاهما له مبرراته الشرعية الواضحة. وقد دأب المستشرقون على بتر الحقائق وتقديم جزئيات مغلوطة الشكل للهجوم على الإسلام والمسلمين، فما من مستشرق أوضاع مثلاً أن المرأة ترث مثل الرجل وأحياناً أكثر منه في أكثر من ثلاثين حالة! لكن الذي يرددونه فحسب هو أنها ترث نصف الرجل.. وعندما يقوم نفر من المسلمين بترديد مثل هذه الفريات فذلك لا ينال إلا من كرامته وكبريائه.

● **الحلال والحرام:** إن المطالبة بتحرير الوعي الإسلامي من قاعدة الحلال والحرام بمثابة معول هدم جارف لكل المقاييس المعيارية ودعوة صريحة للانحلال، ترمى إلى اقتلاع الضمير الحي للإنسان، واجتثاث القيم

الأخلاقية والمعنوية من حياته. وبذلك يفقد القدرة على التمييز ويتساوى عنده كل شيء..

والمطلب في حد ذاته صيغة ملتوية أخرى لاقتلاع الإسلام من ممارساته في الحياة اليومية. وهو الهدف الواضح من كل هذه المطالب التي لا تشين إلا المطالبين بها، وإن كان الفريق الأكثر استفادة من هذا المطلب هم قوم لوط ومثيلااتهم.. فإنا لنت المتقدمين بمثل هذه المقترحات أن يتشعروا بشيء من الحياء ويدرأوا مثل هذه الفواحش بدلا من إشاعتها..

● **الفتح الإسلامي:** أما عن سيادة نعمة وصف الفتح الإسلامي لمصر بالغزو البدوي الذي نهب مقدرات مصر، فهي بكل أسف نعمة تردت عدة مرات في كتاب الأنبا يوحنا قولتنا المعنون: «المسيحية والألف الثالثة»، ولا يسع المجال هنا للرد على كل ما بذلك الكتاب من فريات وتحريف وتزييف للحقائق والتاريخ، ويكفى أن نقول إنه لولا هؤلاء «الجباع والعطشى الذين غزوا أرض مصر» لما تم إنقاذ أقباطها من مذابح الرومان، لكن ما تجدر الإشارة إليه هي تلك الازدواجية الغريبة في المواقف بين ما يُكتب وما يقال في الأحاديث السيارية.. فعلى عكس ما كتبه في ذلك الكتاب التبشيري، وقف الأنبا يوحنا قولتنا في المؤتمر ليدافع عن الإسلام، بينما كان المسلمون يتقنون في المساس به!

أما القرارات التسعة، وعلى الرغم من كتابتها بصياغة ملتوية مضغمة، قد يفلت مغزاها من كثير من القراء، فلا بد من تناولها بشيء من التفصيل. ففي البند الأول يتم التركيز على دور المثقفين العرب ودفاعهم عن مصالح الأمة، الأمر الذي أدى إلى الوحدة الثقافية، وهذه الوحدة الثقافية تظل أساسا لا بد منه من أجل تجديد المشروع الحضاري العربي.. ولعله كان من الأوقع أو الأوضح لو قيل «دور المثقفين المسيحيين أو الأقباط» والأدوار الوطنية التي لعبها البعض منهم، الأمر الذي قام بتدعيم الوحدة الوطنية.. وفي مثل هذه

الظروف الحالية التي يطالبون فيها باقتلاع الإسلام، علينا اعتبار الوحدة الوطنية في كل بلد إسلامي أو عربي أساساً لا بد منه، ولا شك في هذا، شريطة ألا ينجرّف المسيحيون في أحاييل الغرب وتسهيل مهمة المبشرين..

وتؤكد التوصية الثانية على أن إنجاز الاستقلال الوطني والقومي لكل الأقطار العربية هو إنجاز ينبغي الحفاظ عليه والدفاع عنه.. ويا لغرابية هذا البند الذي يصف القواعد العسكرية في العالم الإسلامي والعربي «إنجازاً واستقلالاً وطنياً وقومياً ينبغي الحفاظ عليه». - ولا نقول شيئاً عن الاحتلال الوقح للعراق ولا عن استباحة الشعب الفلسطيني وغيرها من القضايا الاستقلالية الحقّة! ترى هل يجهل كاتب هذا البند سيادة السياسة الأمريكية في المنطقة وعدم أمانة معاييرها المزدوجة؟

أما عن الجزء الثاني من هذا البند الثاني، فمن العار علينا وأى عار، بعد أن تم وأد القضية الفلسطينية بصمت الكافة، أن نتشدد قائلين «إنه من حق الشعب الفلسطيني تحرير أرضه المحتلة وإقامة دولته المستقلة»! فهذه الدولة المزعومة التي وعدوا الشعب الفلسطيني بها لا تمتلك بالفعل من مقومات الدولة إلا اسماً على ورق.. وكلنا نعرف من وكيف ومتى ولم تم إنشاء هذا الكيان الصهيوني في أرض فلسطين المغتصبة، وكان الأجدى بهذا المحفل أن يطالب بوحدة الصف الإسلامي والعربي لتحرير هذه الأرض بصورة فعالة ويطالب الغرب الذي اختلق هذا الكيان الصهيوني وعاونه على الاستيطان، ولا يزال يسانده، أن يتراجع عن فعلته - ولدينا ما يسمح لنا بمثل هذا الموقف الجاد وليس مجرد التغني بالاعتراض، أو عدم الموافقة الشفاهية، أو حتى بأنه من حق ذلك الشعب تحرير أرضه.. ومجرد التديد أيضاً بالاحتلال العسكري للعراق ووضع اليد على مقدراته وثرواته بمنطق رعاة البقر، فلا يقل نفاقاً وخزياً، فالثابت أن ذلك الاحتلال لم يكن من الممكن أن يتم إلا باشتراك الكافة ومنح التسهيلات سرّاً وعلانية اعتماداً على التعتيم على

الشعوب وعلى الأكاذيب التي بدأت تشرأب وتفوح..

وتأتى التوصية الثالثة كنتقرير واقع شكلا، فالأمة العربية بها من «المقومات ما يدفع عنها اليأس وما يدرأ التفريط والتهاون فى المسائل القومية».. فالأمة الإسلامية والعربية قادرة بالفعل على النهوض وتجاوز العقبات والنكسات شريطة أن تنزع عنها القيود الأجنبية وحروبها الصليبية المتنوعة، والقيود المحلية المؤيدة لها، وأن تترك وشأنها بلا تدخل وبلا حراسة مدججة بالسلاح من أحد..

وتطالب الوصية الرابعة، وهى من أكثر التوصيات لياً للمسميات، بإلغاء «الأوضاع العرفية» التى تحاصر الحريات، ومنها حرية الرأى والفكر والمعتقد والإبداع الأدبى والفنى.. ومن الواضح أن التورية فى عبارة «الأوضاع العرفية» ليس المقصود بها مجرد «الأحكام العرفية» التى تمسك بزمام مختلف الدول والحريات، ولكنها تكملة لمطلب التخلّى عن قيود الحلال والحرام من جهة، وفتح الباب على مصراعيه لفرق المبشرين وللانقلات الأخلاقى.. فعبارة من قبيل «حرية المعتقد» لا تخفى إلا مطلب إلغاء حد الردة الذى طالما طالب المستشرقون بإلغائه لأنه يعوق عمليات التصدير، فهل وصل حد المهانة والاستهتار بديننا إلى درجة أن نساعد ونحمى من يقتلعوننا منه؟! أما حرية الإبداع الأدبى والفنى التى يطالب بها هذا البند فلا يبدو فيها إلا السماح لأعمال من قبيل «وليمة لأعشاب البحر» أن تحتل الصدارة فى إنتاجنا.. وأغرب ما يطالب به هذا البند هو حرية الاجتهاد الفكرى باعتباره «اجتهادا وطنيا وقوميا» وهو، فى مثل هذا الإطار، لا يعنى إلا فتح الباب لتحريف العقيدة الإسلامية وفقا لعقيدة الآخر وقبول عقيدة التثليث وعقيدة أكل لحم الإله وشرب دمه وابتلاع بقية الأسرار الكهنوتية لتسهيل عملية التصدير فى منطقة الشرق الأوسط حاليا، فكل ما يرمى إليه الغرب المسيحى المتعصب هو فرض نظام سياسى واقتصادى واحد، ونظام دينى واحد حتى تسهل قيادة

العالم وفقاً لهواهم وأطماعهم وأحلامهم المتعنتة. أما عن باب الاجتهاد فى الإسلام فهو لم يفلق وله شروطه وقوانينه الشرعية التى يجب أن يدور فى حدودها التى تحميه من المخربين..

وتواصل التوصية الخامسة نفس النسق.. فتحت ذلك المطلب البرىء لتطوير التعليم العام والجامعى وإصلاح الجهاز المدرسى ومحو الأمية يأتى مطلب غير أمين هو: «مشاريع تعليمية تكوّن الوجدان الوطنى وتحفظ الوحدة الوطنية تعترف بالفئات غير العربية وثقافتها ودورها فى كل قطر ويطور المشترك القومى بين الأفكار العربية» فمصطلح «الوحدة الوطنية» أصبح يعنى الحد الفاصل لحماية الأقليات التى لا تكل ولا تكف عن اختلاق المواقف التى تساعد الغرب المتعصب على تنفيذ مآربه.. فكل ما يدور من محاولات لتخريب الإسلام يتم اعتماداً على هذه الحجة، وهى الذريعة التى تعلن كلما مسبنا تلك الحقائق الممنوع الاقتراب منها، وخاصة ذلك الخلاف الجذرى الذى يفصل بين المسلمين والنصارى وهو: تأليه السيد المسيح فى القرن الرابع والشرك بالله عز وجل واختلاق بدعة التالوث التى تخلت عنها بعض البلدان المسيحية مثل هولندا، لعدم تمشيها مع المنطق، وألغتها من كتاب التعليم الدينى الجديد الذى أصدرته وحذفت منه العديد من تلك العقائد حفاظاً على بقاء أتباعها.. ونحن لا نتنقد أو نهاجم المسيحية، فليؤمن بها من شاء وليكفر بها من شاء، لكنه ليس من حق أحد أن يفرضها على المسلمين. والمشاريع المزمع عملها لتكوين الوجدان الوطنى ترمى إلى تكرار ورش العمل التى تمت فى أحد الفنادق بين بعض الأئمة المسلمين وبين بعض القساوسة لتدارس كيفية تقبل المسلمين لعقيدة الشرك بالله. «وتطوير المشترك بيننا» يعنى السكوت على الشرك بالله وقبوله. وهو ما يمثل كفرة فى حد ذاته بالنسبة لعقيدة التوحيد الإسلامية، ويعنى تطبيق مطالب المحاورين النصارى الذين يشترطون عدم المساس بالخلافات ومناقشة المشترك فحسب، الذى لا

يخرج عن بعض التعاليم الأخلاقية أو عن المقبول . من جانبهم . فيما يتعلق ببعض المعطيات التاريخية .. ويا لها من تنازلات مخزية ..

أما «الاعتراف بالفئات غير العربية»، فتشير إلى الأقليات المسيحية واليهودية التي تعيش فى البلدان الإسلامية، وهم ليسوا بحاجة إلى وصاية أو توصيات لأنهم يعيشون فى بلدانهم كجزء لا يتجزأ من أمة الإسلام، ولهم دينهم ولنا ديننا، لكن السعى إلى فرض قبول فرق المبشرين الذين يغزون العالم الإسلامى فهو مطلب غير أمين، مثله مثل تلك البدعة الأخرى المسماة: «قبول الآخر»، التي يتغنى بها نضر قليل من متعصبى القبط والنصارى، واستقاها منهم واضعو هذه الوثيقة .. إنها عبارة جد مقلوبة الأوضاع والحقائق، فمن ذا الذى فى واقع الأمر لا يقبل الآخر؟

لقد دأب التعصب الكنسى على اضطهاد الإسلام والمسلمين منذ بداية انتشاره وحتى يومنا هذا بالسلاح والقتل والحرق والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش التي أحرقت من المسلمين أكثر مما أصابت من المسيحيين المنشقين على كنيسة روما، فمن ذا الذى لا يقبل الآخر؟ من ذا الذى صار فاقد البصر والبصيرة ويصرّ إصراراً أكمه على تنصير العالم؟ ليتنا نكف عن استخدام العبارات المضغمة فى مثل هذه المسائل المصيرية حتى تفهم شعوبنا المغيبة ما يحاك لها فى غياهب السياسة الأمريكية، فما يتم حالياً من محاولات لاقتلاع الإسلام، يتم بصورة مواكبة له لاقتلاع كافة المذاهب المنشقة فى المسيحية لتوحيدها تحت لواء كاثوليكية روما . وقد خصّت الأيادى العابثة هذا العقد الذى نحن فيه للانتهاء من المهمتين .

وتضم التوصية السادسة من قلب الأوضاع والتلاعب بالألفاظ ما يجعل الاشمئزاز كلمة كالحمة .. إذ تطالب «بضوّر الوصل إلى الشروط الاجتماعية والثقافية التي تنتج خطاباً دينياً متدوراً منفتحاً على العصر يتجاوز الخطابات الدينية الركودية والمتزمّنة» . وأنه يتعين على الدول العربية

أن تأخذ موقفاً محايداً في صراع الأفكار! فالمطالبة بخطاب ديني منفتح على العصر يعنى توظيف الدين أو ما سوف يتبقى منه لفرض الانحلال والانحراف إلى جانب تسيير عمليات التبشير والتنصير التي تتم بإيقاع محموم لا سابقة له في هذه الحرب الصليبية التي يقودها بوش وطاقمه.. ولا أدل على ذلك من آلاف المبشرين الذين أمطروهم على بلدان العالم الإسلامي والعربي، والذين فضحتهم الصحافة الغربية قبل أن تشير إليهم بعض الصحف المحلية.. وكلها فرق تعتمد أساساً - مثلها مثل السياسة الأمريكية - على الكذب والغش والخداع ونظام التسلل حتى التمكن، أو نظام «السحلية» بلغة أهل الإسكندرية.. وما نطالعه في مجلة «تايم» الأمريكية وغيرها عن استعداد هؤلاء المبشرين إلى بناء «مساجد لسيدنا عيسى ابن مريم» كما يقولون، أو عن استعداد من يقمن بالتبشير إلى ارتداء الحجاب أو الخمار للوصول إلى مآربهن، كما هو وارد بالعدد الصادر في ٢٠/٦/٢٠٠٢ من مجلة «تايم» الأمريكية لدليل على مدى تدنى ضمائرهم وعلى مدى عدم إيمانهم بعقيدتهم وبما يقومون به حقاً، فلو كان ما يبيعونه من عقائد أو ما يفرضونه سليماً خالصاً لما احتاجوا إلى كل هذا الغش والخداع والكذب لفرضه على المسلمين.. والأدهى من ذلك أن تُطالب الدول الإسلامية بعدم التدخل في عمل هؤلاء المبشرين أو هذا الزحف الصليبي، وإنما عليها على الأقل أن تقف «موقفاً محايداً»، مكتوفة الأيدي، مسلوبة الإرادة، معمية الضمير، وتتركهم يعملون في صمت حتى لا يتعرضوا إلى أي رد فعل من جانب المسلمين. كما يقول نيافة البابا! لقد باتت كلمات من قبيل «عيب» أو «عار» أو «خزي» جد قاحلة جرداء وحيال مثل هذه التنازلات المهينة..

وتصل المغالطة والقحة إلى قممتها بالتوصية السابعة، فهي من ناحية تعالط في تقديم عبارة «الحوار الثقافي»، فالحوار المقصود بها هو «الحوار الديني»، وكل اللجان العاملة في هذا المجال تعمل تحت إشراف لجنة التبشير

والتصوير التي شكلها يوحنا بولس الثانى لتصوير العالم. وكلها حوارات تدور لفرض مزيد من التنازلات من جانب المسلمين، لأن الحوار فى مفهوم البابا ووفقاً لما هو وارد فى كل خطبه الرسولية التى تتناول هذا الموضوع تنص صراحة على «أن الحوار يعنى فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح».. وكل ما يرجوه هو أن يتم ذلك التصوير دون أن تتعرض الأقليات المسيحية إلى أى رد فعل من جانب المسلمين الإرهابيين الذين ستأخذهم الحمية للدفاع عن دينهم ومعتقداتهم ومقدساتهم» أما أن يعلن أصحاب هذا المحفل أنهم «يرفضون دعوات الانعزال عن العالم ومناصبته العدا». فمن الواضح أنهم لا يعلمون، ولا يقرأون، ولا يتابعون الأحداث، ولا يعرفون شيئاً عن التعصب الكنسى الذى لايزال يتصدى للإسلام منذ بداية انتشاره حتى يومنا هذا، بل ولم يسمعوا شيئاً عن هؤلاء الجنود الأمريكيين المنتشرين فى أكثر من ستين دولة، أو عن تلك القواعد العسكرية ولا عن احتلال العراق ونهبه وقتل المدنيين، ولا عن تلك المساندة للكيان الصهيونى المغتصب لأرض فلسطين.. فمن ذا الذى يناصب الآخر العدا؟!

وبدعة قبول الآخر التى ضجت بها العديد من الأبحاث والمداخلات، والتى يتشدق بها بعض المتعصبين من إخواننا النصارى وجعلوها عنواناً لعدد من الكتب والمقالات، ليست إلا قلباً آخر للأوضاع، فالتعصب الأكمه هو الذى لا يقبل الإسلام، لأنه الدليل الثابت فى الوثائق الكنسية والتاريخية والاجتماعية والحضارية برفضه وإدانته لما تم من تحريف فى عقيدة التوحيد وتآليه السيد المسيح والشرك بالله..

وتأتى التوصية التاسعة كقمة أخرى للسخرية والمغالطة فى عرض الحقائق، إذ يطالب المشاركون فى هذا الزخم الثقافى «جميع المثقفين العرب إلى الخروج عن الصمت، والانتظار، والارتياح، لتحدى القمع والتهميش، وإعادة طرح القضايا والأسئلة باتجاه مد الجسور بين المجتمع المدنى

والدولة» ولا يملك قارئ هذه التوصية التاسعة والأخيرة إلا أن يتساءل عما إذا كان كاتبو هذه التوصيات من أهل هذا البلد أم من كوكب آخر؟ فالقمع والتهميش من ذا الذى يفرضه أو يمارسه؟ ومعنى مد الجسور بين المجتمع المدنى والدولة فى الفترة التى يحاولون فيها اقتلاع الإسلام، فإن مد اليد بالمفاهيم المطروحة به يعنى قبول ما يتم فرضه والتعاون على تنفيذ المآرب.. فإعادة طرح القضايا والأسئلة فى هذا السياق لا يعنى إلا فتح الأبواب لتلك الحرب الصليبية وجنودها المدججين بالأناجيل..

وقبل أن ننهى التعليق على ذلك البيان، نود أن نسأل أولئك الذين كتبوه: هل عز عليكم كتابة كلمة «الإسلام» أو «المسلمين» فى هذا المسمى بإعلان القاهرة الثقافى؟ أم لعلكم اعتبرتموه قد انتهى أمره ولم تعد هناك أهمية ولو لذكر اسمه؟ فلقد أتت كافة بنود هذا البيان العقيم خالية تماماً من هذا الاسم الكريم.. لقد تم تكرار عبارة «الثقافة العربية» و «الشعوب العربية»، و«المثقفون العرب»، و «الأمة العربية» - وكان الشرق الأوسط بأسره لم يعد به إلا «عرب» وانعدم فيه الإسلام والمسلمون..

لقد جرى العرف، بحكم الواقع، على قول الثقافة الإسلامية والعربية، والشعوب الإسلامية والعربية، والأمة الإسلامية والعربية، لأن سكان هذه المنطقة مسلمون أساساً وعرب، والمسيحيون يمثلون أقلية يبلغ عددهم حوالى اثنى عشر مليوناً فى الشرق الأوسط، وفقاً لإحصائية الفاتيكان أو كما هو وارد فى كتاب «الجغرافيا السياسية للبابا يوحنا بولس الثانى». ولنفترض أن عدد هذه الأقليات بكل مذاهبها قد وصل إلى حوالى خمسة عشر مليوناً، فالمعروف أن الشرق الأوسط يضم ٢٤ بلداً بما فيها إيران وتركيا وفلسطين المحتلة، وتعدادها حوالى أربعمائة مليون. فهل من العقل أو المنطق أن نزيح من الوجود أربعمائة مليون من المسلمين من أجل مرضاة أو مجاملة أو حتى حماية خمسة عشر مليوناً؟

إن البابا يوحنا بولس الثاني قد ثار واختلف مع بوش بكل هيلمانه، وتوترت العلاقات بينهما، بعد أن تلاحت سياسات الدولتين لاقتلاع اليسار، بسبب تصريح بوش في هذه الحرب على العراق.. وقد عارضه البابا بكل إمكانيته، لا حباً في السلام كما تشدق البعض، ولكن كما قالها هو ونشرت في الجرائد والمجلات الغربية: «حماية للأقليات المسيحية التي تعيش وسط بحر من المسلمين» و «خشية من أن يدفعوا هم ثمن هذه الحرب» إذا ما وقع أى رد فعل لما يدور من عدوان وتبشير.. فهل من المعقول أو حتى من باب اللياقة الأدبية أن نلغى وجود المسلمين من الشرق الأوسط بهذه البساطة؟! ولا نخاله بأمر خفى على هؤلاء الصياغ أن كل عربى ليس بالضرورة أن يكون مسلماً.

أما قضية تجديد الخطاب الدينى فقد تم تناولها وفقاً لمحاوَر خمسة، هى: فقه الأولويات، والتيسيز، والانفتاح على الآخر، وإبراز الوجه الإنسانى والحضارى للإسلام، وتوضيح أن التضامن الإسلامى لا يعنى معاداة الآخرين... كما تم طرح بعض الاقتراحات الأخرى من قبيل إعادة النظر فى مصطلحات الفقهاء حول «دار الحرب ودار السلام» وغيرها من المفاهيم..

وقضية تجديد الخطاب الدينى، التى احتلت مكانة متأقفة منذ فترة، وخاصة بعد الاحتلال الأمريكى للعراق، هى الصيغة المضمغة التى يحاولون من خلالها التلاعب بالإسلام وثوابته وأصوله وقواعده.. فإذا ما نظرنا إلى هذه المحاوَر الخمسة فى إطار الوضع الراهن وبرنامج السياسة الأمريكية وتصريحاتها المعلنة مراراً وتكراراً عن احتلال الشرق الأوسط وتغيير معالمه وفرض نظام العلمنة مثلما حدث فى تركيا «لاقتلاع ذلك الدين الذى يتمخض عنه الإرهاب»، وهو ما أعلنه بوش شخصياً قبل اندلاع الحرب بيومين، وذلك فى سياق إعلانه عن عزمه الذى لا رجعة فيه على احتلال العراق سواء تنحى صدام حسين أم لا، إذا ما وضعنا هذا الإطار فى الاعتبار لأدركنا أن تلك المحاوَر الخمسة تأخذ معانى أخرى غير تلك التى توصى بها للوهلة الأولى، إذ

أن فقه الأولويات سيتحول إلى الفقه الذى يقوم بتسهيل المآرب من تبشير وتنصير، بما أن تنصير العالم هو المطلب الأساسى فى هذا العقد ويأخذ مكان الصدارة فى أولويات البرنامج الأمريكى.. والتيسير سيصبح معناه تيسير عمليات المبشرين وتسهيلها.. كما سبق وتم ترتيب لقاءات بين الأئمة والقساوسة فى أحد الفنادق الكبرى لتدارس كيفية تقبل المسلمين لبدعة الثالوث.. والانفتاح على الآخر لن يكون معناه إلا تقديم المزيد من التنازلات ووضع خاتم «حلال» على بضاعة المبشرين - بدلاً من تحريمها أو التصدى لها..

لقد دخلت قضية تجديد الخطاب الدينى بكل معانيها المضغمة حيّز التنفيذ فعلاً، ومنذ فترة، وذلك فى مجال التعليم واستبعاد مادة الدين، وفى مجال الإعلام بكل ما يفرض علينا من إباحيات لا صلة لها بقيمتنا وأخلاقنا - لكنه الانفتاح على الآخر! وفى مجال اللغة العربية حيث لم تعد لغة القرآن هى الأساس وإنما لغة وسائل الإعلام وبرامجها التى تحاكي الغرب بفجاجة، من قبيل: مغامرة كليب، وفيديو كليب، وتوب تن، وويك إند، وضحكة سكوب، ونيوز كليب، وخليك دايمًا كول.. وهى على سبيل المثال لا الحصر.. والمضحك المبكى أن ذلك الآخر قد ملّ من الانفلات والانحلال الذى هو غارق فيه وبدأ يعود للقيم والأخلاق والروابط الأسرية..

ولقد تغلغت قضية تجديد الخطاب الدينى حتى تم تحجيم خطباء المساجد، بل ها هى الجرائد تعلن عن بحث مشروع توحيد خطبة الجمعة وتوزيعها على الأئمة.. كما تحدثت الصحافة عن موافقة مجلس الشعب على إنشاء «مجلس أعلى للخطاب الدينى» يكون هو المرجعية الرئيسية.. ومريرة هى الكلمات.. ففى الوقت الذى أدخل فيه البابا يوحنا بولس الثانى مادة الدين بصورة إجبارية فى كافة مدارس الكتلة الشرقية، بعد أن ساهم بكل ثقله على اقتلاع اليسار منها، وأعاد صلاة الصباح القصيرة قبل بداية اليوم الدراسى إجبارية.. بل حتى جورج دبليو بوش وطاقمه أصبحوا يمارسونها فى

بداية يوم العمل بالبيت الأبيض. وقد أعاد البابا منذ زمن قليل مادة الدين في كافة المراحل التعليمية حتى الثانوية العامة في إسبانيا، بعد أن كان قد تم إلغاؤها بعد رحيل فرانكو.. وها هو يسعى حثيثاً لإعادة مادة الدين في البلدان التي أعلنت العلمانية وفضلها الدين عن الدولة، بل ويحاول فرض عبارة «المسيحية» و «التراث المسيحي» على دستور الاتحاد الأوربي، لمزيد من المحاصرة للأقليات المسلمة في أوروبا والبالغ عددها سبعة وثلاثين مليوناً كما يعلنون.. بل لقد رأينا كيف بدأ تحجيم الدراسات الإسلامية في البلدان الإسلامية والعربية، وها هو إمام مسجد «أبو حنيفة» في بغداد قد أعلن في أول شهر أغسطس ٢٠٠٣ أن أحد أعضاء مجلس الحكم المؤقت العراقي قد طالب بإلغاء مادة التربية الإسلامية والاستعاضة عنها بمادة تسمى «التربية الأخلاقية»، وأنها مادة غير ملزمة للطلاب كمادة نجاح وسقوط.. وهو ما يوضح إلى أي مدى يتم تنفيذ تعليمات السياسة الأمريكية بكل قحتها..

ألم يكن أولى بنا بدلاً من الانجراف في مواكبة هذه المطالب المغلوطة المرفوضة، أن نقوم بتناول حقيقة ذلك الخلاف وذلك العداء الذي يكنه التعصب الغربي للإسلام والمسلمين؟ فمن المؤكد - كما يؤكد العديد من الباحثين والمؤرخين الأماناء في الغرب - أن معظم المسيحيين لا يعرفون أن دينهم قد تم نسجه عبر المجامع على مر التاريخ، ولا يعرفون أن أناجيلهم لم تكتبها تلك الأسماء التي هي معروفة بها، وأن كل ذلك الكيان الكنسي المتعصب قائم على أكبر كذبة تمت في التاريخ، ألا وهي: تأليه السيد المسيح في مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥، وتأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١.. ومن الواضح والمؤكد أن معظم المسيحيين لا يدركون حقيقة معنى الآيات التي تقول: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» أو «لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة» ولا يعرفون سبب نزولهما - وغيرهما كثير..

والأدهى من هذا وذاك، أن يتشدد البعض بكل ثقة واستتكار ليقول إنه لا توجد مؤامرة على الإسلام والمسلمين..

وقبل أن تنتهى هذا الجزء من انعكاسات هذه الحرب الصليبية، نود الإشارة إلى افتضاح سياسة الرئيس بوش وتابعه بليز، واتهامهما علنا بالكذب على شعبيهما وعلى العالم أجمع، بتقديم براهين وأدلة مزيفة تبرر لهم ضرب العراق واحتلاله لسلب موارده.. ونود الإشارة خاصة إلى افتضاح الكذب فى تلك الواقعة الرسمية الخاصة بادعاء شراء العراق مادة اليورانيوم من نيجيريا وتقديم مستندات عليها توقيعات مزورة لشخصيات وهمية، إذ أن تلك الشخصيات كانت قد غادرت مناصبها منذ أكثر من عشر سنوات قبل التواريخ الواردة على تلك الوثائق والمستندات!

ويتساءل فيليب كوست فى مقال بعنوان «أمريكة جورج دابليو بوش»، معلماً على هذه الواقعة قائلاً: «بقى أن نعرف بالتفصيل كيف وبأى تسلسل من الإهمال والغفلة البيروقراطية، والجبن، والاندفاع البذئ أمكن لمثل هذه المعلومة الرسمية أن تتسلل إلى رئيس القوى العظمى عشية بداية الحرب على العراق»؟! (مجلة إكسبرس ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٣).

ولا شك فى أن الردود الرسمية تتم عن تخبط واضح: فحتى شهر مارس الماضى كان كل من رامسفيلد وكوندوليسا رايس وديك تشينى يلوّحون بخطورة أسلحة الدمار الشامل، التى تحولت الآن مسمياتها فى الصحافة الغربية ومن باب السخرية إلى «أسلحة الاختفاء الشامل»، التى يحاولون إلقاء تبعية أكاذيبها على المخابرات المركزية الأمريكية وعلى رئيسها جورج تيننت، لكى لا تتحول رسمياً هى الأخرى إلى «أكاذيب دولة». على حد قول فيليب كوست كاتب المقال. علماً بأن تيننت نفسه، فى أكتوبر ٢٠٠٢، كان يتشكك فى وجود أسلحة دمار شامل، ويتشكك فى المعلومات البريطانية التى تم تقديمها لدرجة أنه نصح كوندوليسا رايس بعدم إدراجها فى خطاب جورج

بوش فى تشييتشيناتى وأن تضيف عبارة «مشكوك فى أمرها». إلا أن بوش قد استخدمها بكل جبروت وصلف..

وقد أصبحت هذه الأكاذيب تثير شكوك العديد من المحللين السياسيين، ومنهم زيجنييف بجيزينسكى، المستشار الأسبق لجيمى كارتر والذى يشغل حالياً منصب رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى واشنطن. ومن الواضح أن الصدق كان أول ضحية لذلك الجمع فى إدارة بوش، الذى وصل به الأمر إلى خلق جهاز جديد منافس للمخابرات المركزية الأمريكية، يطلقون عليه فيما بينهم «جهاز المتأمرين»، وجميع العاملين به يتبعون بول وولفويتز، مساعد رامسفيلد.

ومن الواضح أيضاً. فى مجال الكذب. أن كثيراً من المتقدمين لمنصب الرئاسة فى الانتخابات القادمة يدخرون الذخائر أو الوثائق التى تكشف عن المزيد من الأكاذيب لحملةم الانتخابية على رئاسة الولايات المتحدة، أو على رئاسة «دولة الأكاذيب» كما يجب أن يطلق عليها.

أما فى بريطانيا تونى بلير، فلقد وضعه انتحار العالم دافيد كيلى فى مأزق واضح، كما يضع علامات استفهام حول ذلك الفريق الذى كونه بلير، أو ذلك الجهاز الخاص بالاتصالات الذى أحاط به نفسه من أجل السيطرة على الرأى العام..

وتطلق الصحافة البريطانية على هذا الفريق من المميّزين: «دكاترة اختلاق الكذب» وقد تضاعف عددهم منذ عام ١٩٩٧، من ستة أشخاص إلى سبعة وعشرين حالياً، وهم فى حدود الأربعين من العمر، ويتقاضون رواتب أعلى من كبار موظفى الدولة البريطانية. وهؤلاء المتخصصون فى اختلاق الأكاذيب وصياغتها، على حد وصف ديمتر، عليهم حماية تونى بلير من الهجوم، وتسريب الموضوعات إلى الجرائد ونشرات الأخبار المصورة، وتحديد الأزمات والفضائح، وهدم المعارضة.. ويتأسهم أستير كامبل، الصحفى

السابق بالدليلى ميورور، وهو واحد من الذين يدين لهم بليبر بنجاحه..

ويقول ديمتز فى ذلك المقال الصادر بنفس عدد مجلة اكسبرس (٢٠٠٣/٧/٢٤)، إن كامبل قد مَثَّل أمام اللجنة الخاصة بالشئون الخارجية فى البرلمان البريطانى، ليجيب على سؤالين: «أنه قد جعل تقرير خدمات المعلومات التى قدمها عن تهديد أسلحة الدمار الشامل «أكثر جاذبية» (more sexy)، وذلك على عكس رأى الخبراء، مؤكداً أن العراق يمكنه استخدام أسلحته الفتاكة فى أقل من خمس وأربعين دقيقة». الأمر الذى بدأ ينفذه حالياً! أى أنه ينفى الكذب بأكاذيب جديدة..

والسؤال الثانى: «اتهامه بأنه قد اختلق ملفاً مليئاً بالاتهامات ضد العراق وضد نظام صدام حسين استقاه من هنا وهناك، وخاصة من رسالة دكتوراه قديمة، هى نفسها منتحلة!» أما أخطر ما يوجه إليه من اتهامات اليوم فهو أنه قد سرَّب اسم العالم دافيد كيلى لزعزعة مصداقية شهادته، وخاصة ليزيح الأنظار بعيداً عن التساؤل حول شرعية حرب العراق.. والأرجح أنه قد تم «استبعاد» دافيد كيلى لكى لا يفضح المزيد من الأكاذيب الدامغة..

وإذا ما أضفنا إلى هذه الأكاذيب المعلنة، والتى تخص الجانب السياسى فى القضية، تلك الأكاذيب التى دارت وتدور فى المجال التبشيري، وخاصة ما ورد بمقالة مجلة التايم الأمريكية العدد الصادر فى ٢٠/٦/٢٠٠٣: «أن الإسلام هو الإرهابى والمسلمون ضحاياه»، و «أن المبشرين يصلون من أجل أن يفتك الرب بسلامة الدمار الشامل الذى هو الإسلام»، و «أن هناك من يدعو عند سماده أصوات المؤذنين عند الفجر متمنياً «أن يزيح الرب كليه ذلك الجو الدينى الخائق الطغيان»، و «أن قوات المبشرين قد دخلت أرض المعركة العراقية التى لاتزال مشتتة مزمعين إعادة تشكيل مستقبل شعبه، اعتماداً على وجود الجيش الأمريكى». أى أن التبشير يتم تحت حماية السلاح

الأمريكي.. و «أن عدد المبشرين قد تضاعف في البلدان الإسلامية فيما بين ١٩٨٢ و ٢٠٠١، (أى فى ذلك العقد الذى كان مخصصاً لاقتلاع الإسلام وفقاً لفاتيكان ٢)، من أكثر من خمسة عشر ألفاً إلى سبعة وعشرين ألفاً، نصفهم تقريباً من الأمريكان، وثلثهم تقريباً من الإنجيليين، وما يقوله جورج براسويل الابن، وهو أحد أساتذة التبشير بالمعهد اللاهوتى لمعداننى الجنوب الشرقى بأمريكا: «لدينا الآن جماعات أكثر من أى وقت مضى يذهبون إلى أناس كالمسلمين».. وهنا يعلق دافيد فان بييما كاتب المقال قائلاً ما له مغزاه: «من الواضح أن ١١ سبتمبر لم يكن إلا سبباً لإشعال ذلك الحماس التبشيري»؟!

والغريب أن الإعلام فى كل مكان يكتفى بوجهة النظر أو بالكذبة الأمريكية ولا ينظر إلى الحقائق الدامغة التى يتم التعتيم عليها، وأقلها ذلك «الانهيار تحت السيطرة» الذى أطاح بالأبنية الثلاثة وسقطت مكانها.. و «أن هؤلاء المبشرين قد وظفوا ملايين الدولارات لاستغلالها فى مشاريع «خيرية» تعاونهم فى مخططاتهم التبشيرية». الأمر الذى يكشف عن مدى الكذب والتحايل فى شخصيات ونوايا هؤلاء المتعصبين.. ويضيف مقال التايم الواردة صورة غلافة بملزمة الصور بأخر الكتاب، «إنهم يستخدمون مسميات وظيفية مدنية كنوع من التخفى لأن عشرات البلدان الإسلامية ترفض منح تأشيرات الدخول باسم «عمال دينيين»، و «أن هناك من المبشرين من يقومون بالتمويه على هويتهم باتخاذ مذهب المتصوفة شكلاً للتقرب إلى المسلمين لتنصيرهم».. ويصف كاتب المقال هذا الوضع بأنه «وضع يدمج الوقاحة الدينية بالوقاحة السياسية»..

ويا له من موقف جد حقير.. حقير فى المجالين: فى المجال السياسى وفى المجال التبشيري.. فالغرب المسيحى الذى يبيع بكل صلف وتعال للمواطن لديه أن يفعل ما يحلو له من الانحلال والانحراف والفسوق والفجر والردائل على أنها من قبيل الحرية الشخصية، والذى يهيج ويتفطرس ويثور

لأى كذبة، ويعتبر الكذب كبرى الكبائر، وانهياراً فى القيم الإنسانية ما بعده انهيار.. فالكذب فى نظر الحضارة الأمريكية والغربية يمثل ما لا يمكن أن يغتفر.. ها هم قادته فى كلا المجالين، السياسى والتبشيرى، والذين يزعمون قيادة اعالم، يوصمون بالأكاذيب رسمياً..

ولر، نسأل عما سيكون مصيرهم أمام شعوبهم.. لكننا نسأل أصحاب القرار أينما كانوا فى العالم الإسلامى والعربى، والذين ينساق بعضهم مهرولاً فى الانصياع لذلك الغرب المتعصب، وفى التعاون معه على تنفيذ حربه الصليبية وعلى تنفيذ مآربه السياسية الظالمة، وفى التعتميم على ما يدور فى العالم الإسلامى من تبشير، وفى إقامة المؤتمرات لإضفاء الشرعية.. هل مثل هذه الحفنة من الكذابين، الذين يلجأون إلى الكذب بكل قحة وإصرار، هل يستحقون منا أن نقبل الاقتلاع من ديننا ومن هويتنا من أجل أكاذيبهم؟

حسبنا الله ونعم الوكيل..



خاتمة

رأينا مما تقدم أن عبارة «حرب صليبية» جزء لا يتجزأ من التاريخ الكنسى المعاش، وأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرها، وتمثل أحد الموضوعات الرئيسية فى السياسة البابوية، حتى قبل أن يعلنها البابا أوربان الثانى عام ١٠٩٥ بكثير، وأنه قد تم إعلانها باسم الرب يسوع المسيح، وأن البابا أوربان الثانى قد طالب المشاركين فيها أن يحيكو صليباً ضخماً من النسيج على صدر ثيابهم.. وهو ما نراه فى كافة اللوحات الفنية والوثائقية التى تتناول تاريخ وأحداث الحروب الصليبية، فهى تمثل جزءاً من التراث التسجيلى الغربى، بما أن اللوحات الفنية - إضافة إلى الوثائق المكتوبة، كانت وسيلة أساسية من وسائل التسجيل قبل اكتشاف آلة التصوير والإعلان عنها فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر.. أى أن محاولة طمس معالم هذه المعلومة وهذه الحقائق عن ارتباط الحروب الصليبية بالكنيسة ومحاولة الزج بعبارة «حرب الفرنجة» بدلاً عنها يعد تزيفاً وتحريفًا للتاريخ.

كما طالعنا التفاصيل المتعلقة بالمجمع الفاتيكانى الثانى الذى يعد بمثابة الخطة التنفيذية للحرب الصليبية الدائرة حالياً، أو لتلك الحرب العالمية الرابعة كما يطلق عليها البعض، والتى تتضافر فيها جهود التعصب الكنسى التلبد، والتعصب الأمريكى بقحته المتعجرفة، وتعصب الغرب المسيحى بدرجات متفاوتة العلانية.. وكيف أن التحرك الحربى يواكبه تحرك كنسى

قائم على فرق المبشرين ووسائل الإعلام وبدعة الحوار.. وإن ذلك الحوار المسيحي الإسلامي المزعوم لا يهدف إلا إلى اجتثاث الإسلام بالتدرج، تفادياً لأية مصادمات، «حماية للأقليات المسيحية التي تعيش وسط أغلبية مسلمة» على حد قول البابا يوحنا بولس الثاني، وكيف أن الكذب يلعب دوراً أساسياً في هذه اللعبة..

وتابعنا كيف أن هذه الحرب الصليبية أو الحرب العالمية الرابعة، ترمى إلى اقتلاع الإسلام وإلى إعادة احتلال أراضيه بالاستعمار وبالسيطرة على ثراوتها الطبيعية والبشرية. وهو ما نطالعه في بحث جورجيو بومباسي المعنون: «إمبراطورية الغرب تعيد تشكيل الشرق الأوسط»، المنشور في أواخر عام ٢٠٠٢، إذ يوضح هذا المخطط قائلًا إنه «يرمى إلى السيطرة والتحكم فيها، وفرض نفس النظام «الديمقراطي» عليها على بلدان المنطقة وذلك عن طريق تجزئتها حتى تسهل السيطرة عليها وإجبار كل هذه البلدان والتقسيمات الجديدة لها على تكوين منظمة تعاونيات تحت إدارة وسيطرة إسرائيل الكبرى والسيطرة على سوق البترول ومنابعه ومصادر المياه والمخدرات، ووضع فرق عسكرية تابعة للإمبراطورية الأمريكية في كل هذه البلدان في الشرق الأوسط الجديد لمواجهة حرب عظمى في جنوب شرق آسيا بعد ذلك!! إضافة إلى استعادة مكانة الدولار حيث إن صدام حسين كان أول من حوّل رصيد الدولة إلى اليورو، وقد تبعته عدة دول أخرى.

واللافت للنظر هنا هو عبارة «المخدرات» والسيطرة عليها! إلا أن جلسة ١٧ / ٦ / ٢٠٠٢ في مجلس الأمن توضح من المداخلات التي دارت أن زراعة نبات الخشخاش كانت قد كادت أن تختفي حوالى سنة ٢٠٠٠ من أفغانستان، وبعد الغزو الأمريكي لها أصبح إنتاجها يمثل ثلاثة أرباع الإنتاج العالمي، إذ وصل إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة طن سنوياً. وهذا الارتفاع الخطير لإنتاج الأفيون في أفغانستان بعد احتلالها يؤكد أن الأمل في إعادة بناء هذه الدولة

جد ضعيف. وقد أوضح خالد مسعود، ممثل باكستان، أن أثر هذا الإنتاج الضخم قد انعكس على البلدان المجاورة. فبينما كان المدمنون قلة في باكستان أصبح عددهم اليوم أكثر من ثلاثة ملايين.

وإذا ما ربطنا بين معلومة «المخدرات» التي أشار إليها البحث وبين ما أشار إليه في نهاية هذه الجزئية من استعداد أمريكا لمواجهة حرب عظمى في جنوب شرق آسيا بعد أن يستتب لها الأمر في إعادة تشكيل الشرق الأوسط لوجب علينا أن نتساءل إن لم نكن مقبلين على «حرب أفيون» جديدة تفرضها دول ذلك التحالف الشيطاني على البلدان المسلمة، مثلما سبق وفعّلوا ذلك في حربهم مع الصين، وخاصة ضد أندونيسيا التي تمثل أكبر دولة مسلمة من حيث التعداد!؟

كما عاصرنا كيف بدأت هذه الحرب الحالية بمحاصرة الإسلام في البوسنة ثم في أفغانستان ثم في تيمور الشرقية ثم في العراق، والمخطط يستهدف باقي الدول الإسلامية لا في الشرق الأوسط وحده ولكن في العالم أجمع.. ورأينا كيف تم استخدام عتاد حربي أكبر وأقوى مما تم الإفصاح عنه، وكيف تم التعقيم على حقيقة عدد الضحايا والخراب الذي فرض قهراً وتواطؤاً على بلد تم استنزافه لمدة عشر عاماً قبلها، وكيف تم تحريف الحقائق وتزييف التواريخ لتبرير الحرب مع استخدام ترسانة إعلامية رهيبة للتصويه على الرأي العام لصالح الغزاة.. وكيف اتضح أن إسقاط نظام صدام حسين والاستيلاء على أسلحة الدمار الشامل والأسلحة البيولوجية لم تكن إلا ذريعة رخيصة فأقل معلومة بدائية عن هذه الأسلحة تقول - وفقاً للخبراء ولرئيس لجنة التفتيش - أن عمرها الافتراضي خمس سنوات، أي أنها بحكم المدة والواقع: لا وجود لها، إضافة إلى استنفادها بلجان التفتيش بعد «عاصفة الصحراء» التي قام خلالها الأمريكيان بدك العراق «لإعادته إلى العصور الحجرية» كما أعلنتها آنذاك.

كما شاهدنا كيف تم استخدام الأكاذيب والمبررات غير الحقيقية لسحب القوات الأمريكية من قواعدها من المنطقة العربية لتهدأة غضب الثائرين هناك، وتم ذلك بعد استتبابها في مناطق أخرى أكثر قربا وأكثر فائدة لتنفيذ مآربها. وكيف تمت عمليات نهب التراث العراقي وتدميره . الأمر الذى يؤكد أن الإعداد لتلك الهجمة الشرسة ولهذه السرقات قد تم قبل الإعلان عنها بكثير، وأنه كانت هناك دراسات تمهيدية للمسئولين الأمريكان عن المتاحف والمكتبات العراقية، وأن إنشاء «المجلس الأمريكى للسياسة الثقافية» واتصالاته بالمسئولين لتغيير القوانين فى العراق بغية تسهيل عملية تهريب الآثار عبارة عن جزء من لعبة ترمى إلى الإجهاض الحضارى للعراق وإلى الإثراء غير المشروع لبلد بلا حضارة أو جذور، ترجع جيناته إلى خريجي سجون وحنات ومباغى أوروبا . كما تصفهم كل كتب التاريخ الغربى ..

وإذا ما استرجعنا الجانب الدينى لرأينا ذلك الإصرار الرهيب على تنصير العالم، والمحاولات المستميتة لضم بلدان أوروبا الشرقية إلى السوق الأوروبية المشتركة لى لا «تتجرف» وتعتق الإسلام . على حد قول البابا، وهى نفس المحاولة التى يتوجهون بها إلى بلاد البلقان وبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، مثلما أوضحه وولفجانج شوسل، رئيس وزراء النمسا، فى مداخلته التى ألقاها فى المؤتمر التمهيدى الذى انعقد فى فيينا من ٢٣ مايو إلى أول يونيو ٢٠٠٢، حتى وإن كانت تخالف عبارة فرانسيس فوكوياما حين قال: «إن الإسلام لم يعد يمثل بديلا له مصداقيته لأنه لا يخاطب غير المسلمين، كما أنه لم يعد يقى بتطلعات المسلمين التابعين له!» فإن كانت مثل هذه المقولة صحيحة لما خصصوا كل تلك الترسانات الحربية والتنصيرية والإعلامية لاقتلاعه .. فالتعبير عن رفض الإسلام والهلع من وجوده فى أوروبا أو فى ذلك النصف الشمالى المتعصب تكاد لا تخلو منه صحيفة أو خبر .. ألم يعلن جون ميجور أيام حرب البوسنة أنه لن يُسمح بوجود كيان إسلامى فى

أوروبا، وقال كلود شوسون لعلى عزت بيجوفيتش: «أنت رجل أصولى، ولن نسمح بوجود دولة أصولية فى أوروبا»^٩.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك الضغط الذى يمارس من القوى السياسية الخارجية ومن كافة أصحاب القرار وكل ما يدور من محاولات لتهميش مادة الدين فى بعض البلدان الإسلامية وفى بعض المعاهد والكلية الدينية، بل وتزايد الضغوط الأمريكية بقحة منفردة لإلغاء مادة الدين من المناهج التعليمية فى المدارس، فى الوقت الذى أعادها البابا يوحنا بولس الثانى إلى مدارس بلدان الكتلة الشرقية بعد أن كان من المعاول الأساسية فى اقتلاع اليسار منها.. ونطالع فى جريدة الموند الفرنسية الصادرة فى ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٣ أن الكنيسة الكاثوليكية قد ضاعفت الجهود لفرض تعليم الدين الكاثوليكي فى كافة المدارس الإسبانية ومراحلها حتى المرحلة الثانوية أو البكالوريا كما يطلقون عليها. وتم اعتبارها مادة نجاح ورسوب. وذلك بعد إلغائها عند وفاة فرانكو. فكيف يقتلعون الدين عندنا ويفرضونه عليهم! وخاصة ما يتم فرضه من خلال اتفاقيات الحوار الملتوية لتغيير النصوص الإسلامية «وفقاً لعقيدة الآخر»، وبالذات إذا ما أضفنا البرنامج الذى فرضته السياسة الأمريكية فيما يتعلق برجال الدين الإسلامى، والدعاة بصفة خاصة، وما أصدرته من تعليمات بعدم المساس بالسياسة الأمريكية وعدم المطالبة بمقاطعة بضائعها، أو عدم التحدث إلا عن الجهاد النفسى فقط وإسقاط الجهاد الاستشهادى، وما يتم من تغيير فى لغة الخطابة وابتعادها عن القضايا والأحداث المصيرية، والإصرار على «تجديد الخطاب الدينى» بمعنى جعله يتمشى ويتفق مع مطالب السياسة الأمريكية الرامية إلى اقتلاع الهوية الإسلامية من جذورها بلا أية مصادمات. حرصاً على الأقليات المسيحية، كما يقول البابا، وإقامة ورش عمل بين الأئمة والقساوسة بهدف كسر «الحاجز الدينى» وتغيير المفاهيم الإسلامية عن الآخر، الذى يعنى هنا: قبول

كل ما قامت به الأيادي العابثة من تحريف فى المسيحية أدى بها إلى الشرك بالله وجعل كل من السيد المسيح والروح القدس مساويين له عز وجل!!

ولقد تزايدت الضغوط على العراق فى هذه الحرب الصليبية الرامية إلى اقتلاع الهوية الإسلامية حتى إن إمام مسجد «أبو حنيفة» فى بغداد قد صرح فى أول شهر أغسطس قائلاً: «إن أحد أعضاء مجلس الحكم المؤقت العراقى قد طالب بإلغاء مادة التربية الإسلامية والاستعاضة عنها بمادة تسمى «التربية الأخلاقية»، وأنها مادة ليست ملزمة للطالب كمادة نجاح ورسوب» وقد تم فرض نفس المطلب من الدول الإسلامية الأخرى.. كما قلنا.

إذا ما استعرضنا كل تلك الخيوط وربطنا بينها جميعاً لأدركنا فداحة الموقف، ولأدركنا حقيقة وحتمية أن الجهاد عن الدين والجهاد عن الوطن وعن أمة الإسلام فى مواجهة التنصير والاحتلال الجديد قد أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

ومن أهم وأخطر المعطيات التى نخرج بها فى مجال الحرب الصليبية على الإسلام حالياً هو: تخصيص العقد الحالى للتبشير والتنصير، وللمصالحة بين كافة الكنائس وضمها تحت لواء كاثوليكية روما، بالتلويح لها دائماً بخطورة المد الإسلامى وتزايدده.. وتتكشف أبعاد تلك الحملة من الجهود التى تقوم بها الجهات المعنية بالتبشير والتنصير فى الفاتيكان وفى مجلس الكنائس العالمى وفى كافة المؤسسات والجهات الأخرى بلجانها المتعددة.. فقد قام أربعة كرادلة كاثوليك، هم الأسقف جودفريد وانيلز من بروكسل، وجان مارى لوستيجيه من باريس، وكريستوف شوبورن من فيينا، وخوزيه واكروز بولسيكاريو من لشبونة، بعمل مشروع جماعى خاص بعملية عقد التبشير الجديد، حتى يأتى هذا العقد بشماره الكاسحة، وذلك بعمل مؤتمرات سنوية تمهيدية.

ويقول البيان الصادر عن لجنة الكنيسة الكاثوليكية بفرنسا: «إن العاملين فى حقل التبشير فى العشرين سنة الماضية، قد لاحظوا التغييرات

التي طرأت على المجتمع في السنوات الأخيرة. والتجارب التي تمت في الآونة الأخيرة توضح أن زماننا هذا متعطش إلى تبشير جديد. فنظرا للحاجة الماسة التي نعيشها رأينا أن نقوم في عواصم بلداننا الكبرى بتوضيح تبادل التجارب والآراء، للإعلان عن الإنجيل في كل لقاء من هذه اللقاءات. وكل لقاء سوف يكون له طابعه وموضوعه»..

فالمؤتمر المقام في فيينا كان موضوعه الرئيسي: «افتحوا الأبواب للمسيح». والمؤتمر القادم سوف ينعقد في باريس عام ٢٠٠٤ ثم في لشبونة عام ٢٠٠٥ ثم في بروكسل عام ٢٠٠٦. ومن أهم الموضوعات التي تتم مناقشتها «التبشير في المدن الكبرى، السياسة والمجتمع، الشباب، الفن والثقافة» وذلك بغية التعريف بالكاثوليكية الرومية أو الفاتيكانية.

وفي الخامس من يونيو ٢٠٠٣، اجتمع المسؤولون عن الكنائس الفرنسية لمناقشة ما بعد حرب العراق، وقال جان أرنولد دي كليرمون، رئيس الاتحاد البروتستانتي في فرنسا، إنه قد أمكن إعداد هذا اللقاء بفضل التقارير التي تم جمعها من مختلف اللجان التابعة للكنائس الأرثوذكسية والرومية الكاثوليكية والمعمدانية والانجليكانية واللوثرية وغيرها وهي في مجملها عشرون لجنة تمثل عشرين كنيسة مختلفة لكنها تتعاون جميعها في حملة التبشير والتصوير.. وقد قال بيتر ويدرود مدير المجلس المسكوني للكنائس: «إن هذا اللقاء سيسمح لنا بمواصلة بحث كيفية ما يمكننا تقديمه ككنائس لتقوية دور الأمم المتحدة، واحترام القانون الدولي، وكيفية نشر القيم والأفكار والمبادئ التي تمثل القاعدة الأساسية للتعددية».. والتعددية أصبحت تعني قبول المبشرين حتى يتم التصير..

أما في نشرة الكنيسة الإنجيلية الميثودية الصادرة في التاسع من يونيو ٢٠٠٢، والخاصة بالاجتماع الذي انعقد في العراق بين القادة الدينيين في لبنان والعراق والمجلس القومي للكنائس الأمريكية، قال القس أنطونيولى

كيريبوبولس، رئيس الشؤون الدولية فى المجلس القومى: «إن سكان منطقة الشرق الأوسط سواء المسيحيين أو المسلمين يرون أن جهود التبشير التى يقوم بها المسيحيون الأمريكان فى المنطقة بأسرها أكثر زعزعة للاستقرار من الحرب نفسها. إذ أن ذلك سيؤدى حتماً إلى صراع بين الحضارات وإلى حرب صليبية أو إلى أى شىء من هذا القبيل»..

ويا له من تعصب فاقد البصر والبصيرة! فلو كان كل ما قامت به الأيادى العابثة فى الكنيسة صحيحاً أو حقاً، كيف يمكن تفسير ما نجم عنها من مجتمع وحضارة وثقافة أبعد ما تكون عن قيم وتعاليم المحبة الباقية من كلمات يسوع!؟ وهنا يقول جاك إيلول فى كتابه عن «تخريب المسيحية» (الصادر عام ٢٠٠١):

«إن الهجوم اللاذع الذى قام به كل من فولتير وهولباخ وفيورباخ وماركس وباكونين وشاربونو ضد الكنيسة كان هجوماً محققاً للغاية... إن الهجوم الذى يقوم به المعارضون للمسيحية هجوم مشروع تماماً ويجب أن ننصت له كشهادة ضد الفرق الشاسع بين التعاليم والممارسة الفعلية للمسيحية... ولا بد لنا من الاعتراف بأن هناك مسافة لا يمكن قياسها بين ما نطالعه من تسامح فى الإنجيل وبين الممارسة التى تقوم بها الكنيسة والمسيحيين، لدرجة أنه يمكن الإشارة إلى التحريف والتخريب!» ثم يضيف قائلاً: «إن الفكر اليهودى المسيحى هو السبب وهو أصل الشر الموجود فى العصر الحديث وفى استبداد الدولة وفى الانحراف الرأسمالى والكذب واللؤم بصفة عامة، وفى عقدة أوديب والخطيئة، وتهميش المرأة، واستعباد العالم الثالث، وتشويه الطبيعة والبيئة. إن كنيسة العصور الوسطى هى محاكم التفتيش، والعبودية، والحروب الصليبية، واستبداد رجال الدين، والبناء القهرى للكاتدرائيات على حساب شعب مستعبد ومرعوب قهراً. ثم تأتى بعد ذلك قضية جاليليو والتصدى للعلم، وسيطرة الرأسمالية وغزو

العالم بأسره ومحاولة تدميطه، وهدم الثقافات الأصلية والمحلية، وسحق الشعوب تحت وطأة العقيدة والأخلاق المسيحية... بل لن نكف عن تكرار أن الممارسة المسيحية كانت دائماً تحريفاً لحقيقة يسوع!»

وينهى جاك إيلول، أستاذ القانون وعضو المجلس القومي للكنائس البروتستانتية في فرنسا ذلك الفصل الخاص بالتناقضات متسائلاً: «عندما قام المسيحيون بصنع المسيحية، فعلوا ذلك بمنتهى الوعي والإدراك، واختاروا طواعية ذلك الطريق، وابتعدوا بإرادتهم عن التعاليم المنزلة من ربهم واختاروا عبوديات جديدة... لذلك يطرح هذا السؤال الإنساني نفسه: لماذا قام المسيحيون بعمل عكس التعاليم؟ وما هي القوى أو الآليات والمجازفات والاستراتيجيات والبنيات التي أدت بهم إلى كل ذلك التخريب؟... لماذا قامت الكنيسة بتحريف الكلمة أو الرسالة التي أسندت إليها؟»...

وللرد على مثل هذا السؤال المركب أو المتعدد التساؤلات، والذي يلخص في نفس الوقت مجمل ما قام به كيان المؤسسة الكنسية عبر التاريخ، لابد لنا من العودة إلى أصل الحكاية وإلى حقيقة ما حدث.. ونبدأ بفكرة التوحيد بالله التي هي أساس الرسائل الثلاث التي بُلّثت من خلالها، باختصار شديد وبوضوح حتى يمكن للقارئ أن يعي ما حدث وما سبب كل ذلك العداء من الجانب الكنسي، وخاصة أن يفهم أولئك الأتباع الذين قال عنهم موريس بوكاي في كتابه عن «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»: «إن كثيراً منهم لا يعرفون أن المسيحية التي يتبعونها قد تم تحريفها عبر المجامع على مر التاريخ، وكثير منهم لا يعرفون أن الأسماء التي تعرف بها الأناجيل ليست هي التي كتبها!!»

تقوم فكرة رسالة التوحيد بالله على أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، هو في جانب وكافة المخلوقات والعوالم في جانب آخر، وإن كل شيء خاضع له ولأمره. وقد خلق الإنسان لعمارة الأرض وليس لتدميرها أو

للاستحواذ عليها. وقد بُلّغت رسالة التوحيد إلى موسى ﷺ في الوصايا العشر. ثم حاد اليهود عنها وعادوا لعبادة العجل وقتل الأنبياء.. ثم أتى عيسى ﷺ، الذي لم يأت. كما يقول «إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٥: ٢٤)، أى أن رسالته محدودة منحصرة في نطاق تلك «الخراف الضالة» وليس لتتصير العالم وفقاً لمزاعم التعصب الكنسى. فقد رأينا كيف ومتى تم تكوين بدعة الثالث وبدعة الشرك بالله في مطلع القرن الرابع، وأن وجود عبارة «اذهبوا وكرزوا كل الأمم باسم الأب والابن والروح القدس» التى ينتهى بها إنجيل متى قد وضعتها تلك الأيادى العابثة وتمت بفعل فاعل يقينا.

فبعد رفع السيد المسيح كما يقول القرآن، أو بعد صلبه كما يقولون، أشركوا بالله عز وجل وتم تأليه السيد المسيح فى مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ م. ثم تم تأليه الروح القدس عام ٣٨١ فى مجمع القسطنطينية، وتمت بدعة الثالث بالمساواة بين الله وعيسى ابن مريم والروح القدس، كما رأينا بالتفصيل سالفاً.

وبعد هذا الشرك الصارخ بالله والمخالف لرسالة التوحيد شكلاً وموضوعاً، والذي أدى إلى انشقاق الكنيسة وإلى خلافات عقائدية لا يمكن تخطيها بأى قلفطة، إلا بالتنازل عنها أو إنكارها والاعتراف بخطئها للانشقاق الآخر بُلّغت الرسالة لثالث وآخر مرة. فأتى سيدنا محمد ﷺ مصوباً وخاتماً لرسالة التوحيد وللنبيين. فبدأت الكنيسة تتصدى له على أنه يمثل «هرطقة» من الهرطقات التى اعترضت على تأليه السيد المسيح مثل أولئك الذين اعترضوا، وما أكثرهم (راجع كتاب فيليب سيناك: «صورة الآخر»).

فبدأت الحروب الصليبية بصور شتى يذخر بها التاريخ والمراجع، منذ بداية انتشار الإسلام حتى يومنا هذا، لأن الإسلام يمثل فى حقيقة الأمر الدليل الإلهى والثابت تاريخياً ضد أكبر جريمة غش واحتيال تمت فى

التاريخ، وإدانتته لكل أو لمختلف أنواع التحريف التي قام بها العابثون بالرسالة.. فما أكثر الآيات التي تدين أفعالهم، ومنها:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية (٧٣/ المائدة)، و ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية (١٧/ المائدة)، و ﴿يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الآية (١٣/ المائدة)، و ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ﴾ الآية (٧٥ البقرة).. ولا نقول شيئاً عن العديد من الآيات التي تتنبأ وتحذر مما يدور الآن، وذلك من قبيل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الآية (٨٢/ المائدة)، أو ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية (٢١٧/ البقرة).

والمعروف علمياً أن أول ما يهتم به صاحب أى جريمة هو إخفاء أو طمس معالم الأدلة التي تكشف عنها أو تؤدي إلى إدانتته.. فما بالنا بأكبر جريمة وأكبر كذبة تمت فى التاريخ؟! والإسلام هنا هو الدليل الحى، الدائم، الشاهد على هذه الجريمة وعلى أنه لا إله إلا الله. أن هذه الحقيقة بكل بساطتها وبكل مرارتها هى السبب الدفين لذلك العداء المستحکم ضد الإسلام والمسلمين، وسبب ذلك الغل الراسخ الذى لم يترك مجالاً إلا واستغله لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وسبب تلك الكراهية الدامغة لتلك الحروب الصليبية وخاصة هذه الحرب الضروس التي حددوا لها هذا العقد الأول من الألفية الثالثة لاقتلاع الإسلام والمسلمين، ولاقتلاع بقية «الهرطقات» الأخرى المخالفة لكاثوليكية روما من أورثوذكسية وبروتستانتية وميتودية وإنجيلية والعديد غيرها.. أى كل ما نجم من انقسامات نتيجة لعمليات التزييف التي لا حصر لها..

ولم يعد يخفى على أحد الآن ذلك التيار الجارف الذى يتهدد التعصب

الكنسى وذلك الكم من الكتابات والمراجع التي تدين الفضائح التي تكشفتم لهم بصورة قاطعة.. وما أكثر الذين أصبحوا يكتبون عن «أسطورة يسوع» أو «يسوع الآخر» أو «حقيقة الأناجيل» إلخ.. وأغلبهم من الكنسيين برتب متفاوتة.. بل لقد قام الإيطالي لويجي كاتشيولى بالإعداد لرفع قضية على الكنيسة مستنداً إلى البند رقم ٦٦١ من قانون العقوبات الإيطالي «للإفراط فى سوء استخدام سداجة الشعب»، وإلى البند رقم ٤٩٤ من نفس قانون العقوبات لاستبدال شخصية بشخصية أخرى» والمقصود بها أن الشخصية التي نسجتها الكنيسة ليست هى شخصية يسوع الحقيقي.

ولم نحاول شرح هذه الحقائق إلا أملاً فى وقف تيار التعصب الكنسى السياسى الذى سبق له وأطاح بالملايين من الأبرياء منذ محاولة استيلائه على السلطة فى مطلع الألفية الأولى وحتى يومنا هذا. فمن أشهر هذه الملايين على سبيل المثال لا الحصر: أكثر من مليونين راحوا ضحية الحروب الدينية الصليبية ضد المسيحيين، وأكثر من مليونين من المسلمين فى معارك الحروب الصليبية المعروفة، وقرابة نصف مليون أعدمتم أو أحرقتهم محاكم التفتيش، وإبادة أكثر من عشرين مليوناً من سكان الأمريكتين الأصليين واستراليا، وأربعمائة ألف يابانى عند غزو اليابان لتتصيرها.. إلخ.

وإذا ما أضفنا إلى هذه الملايين من البشر الذين راحوا ضحية ذلك التعصب الفاقد للبصر والبصيرة، وكل ما تم من تحريف وأكاذيب فُرضت قهراً، وقد أوردنا جزءاً منها على سبيل المثال لا الحصر، وكلها مستقاة من المراجع الغربية، إضافة إلى تلك الترسانة الحالية المشاركة فى عملية التبشير والتتصير لأدركنا أننا حيال حرب صليبية بكل المقاييس.. حرب لم يعرف لها التاريخ مثلاً من قبل من حيث اتساعها وتعدد جوانبها..

إن انكشاف حقائق عصور الظلمات والتعتيم ومحاربة العلم والعلماء، بمختلف آليات القهر والتعذيب، بغية الاستحواذ على السلطة والسيطرة على

العقول والثروات، قد أدى إلى الإلحاد، والعلمانية، والانفلات الخلقى القائم على المتعة والفساد والإفساد، وإلى ما يطلقون عليه في فرنسا «النزيف الصامت للكنيسة» إذ أن الأمناء من رجالها أصبحوا يتسللون بعيداً عنها في صمت..

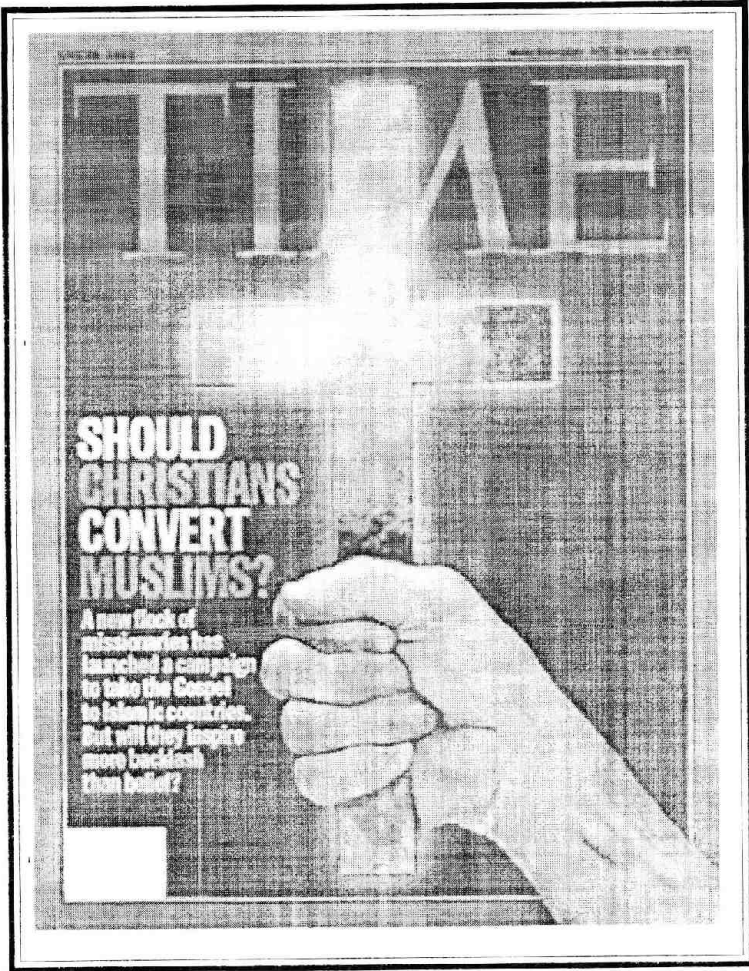
فبدلاً من الاستمرار في ذلك التشبث الرهيب بكل ما تم من تحريف وفريات، وبدلاً من محاولة فرضها بكل تلك الآليات التي طالعناها واعتماداً على الخيانات والتواطؤ والكذب والتسلل البطئ، لقد آن لهذا التعصب الأكمه التليد أن يكف عن حروبه، وخاصة عن هذه الحرب الصليبية الجديدة، وليتقى الله في أتباعه أينما كانوا، وليتقى الله في جميع ذاته وعباده من كافة الديانات والعبادات.. فالإسلام لا يفرض نفسه على أحد لأن القرآن الكريم ينص بوضوح شديد: لا إكراه في الدين.. فليؤمن من شاء وليكفر من شاء.

ولا يسعنا إلا أن نختم بالآيات الكريمة: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧/ المائدة)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤/ المائدة)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥/ المائدة).

فإلى أولئك الكافرين بنعمة ربهم، إلى أولئك الفاسقين الظالمين في كل مكان تقدم هذه الصفحات عليهم يرجعون عما هم منساقون فيه، ويرجعون عن تلك الحرب الصليبية التي حددوا لها العقد الحالي لتنصير العالم! فالحرب صليبية بكل المقاييس، والأساليب التي يعتمدون على فرضها قائمة على التحايل، والغش، والأكاذيب... والتواطؤ... والتنازلات التي تتم بناء عليها أكثر فداحة، لأنها تنازلات مفروضة بالغش وبالسلاح. وإن كان ذلك لا يعفى الراضخين من ذنبهم أمام الله، وأمام شعوبهم، وأمام التاريخ..



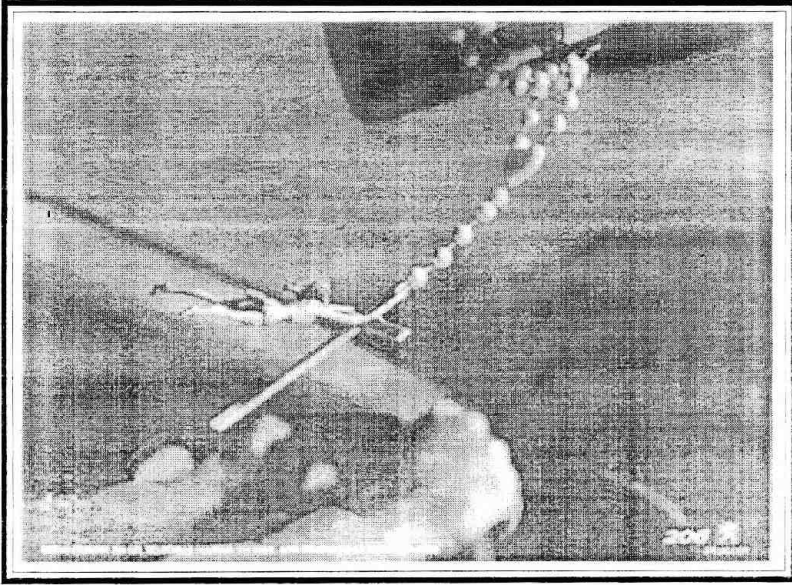
إلى اللذين ينكرون وجود
الحروب الصليبية، وينكرون
ارتباطها بالكنيسة وبالصليب..



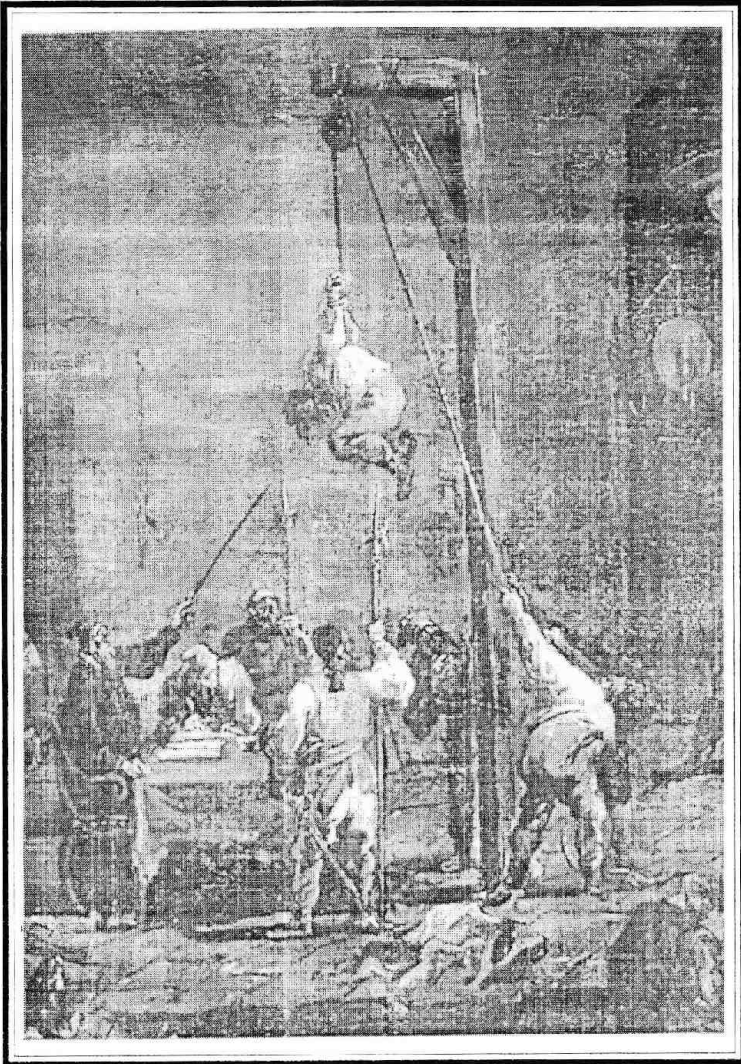
غلاف مجلة تايم الأمريكية «يونيو ٢٠٠٣»

والسؤال الرئيسي يقول: هل على المسيحيين تنصير المسلمين؟
بيتما التساؤل الثاني يقول: أسراب من المبشرين قد إنطلقت فى حملة جديدة
لتوصيل الإنجيل إلى بلدان إسلامية ترى هل سيحصلون على رد فعل معاد أكثر
مما ينشروا العقيدة؟

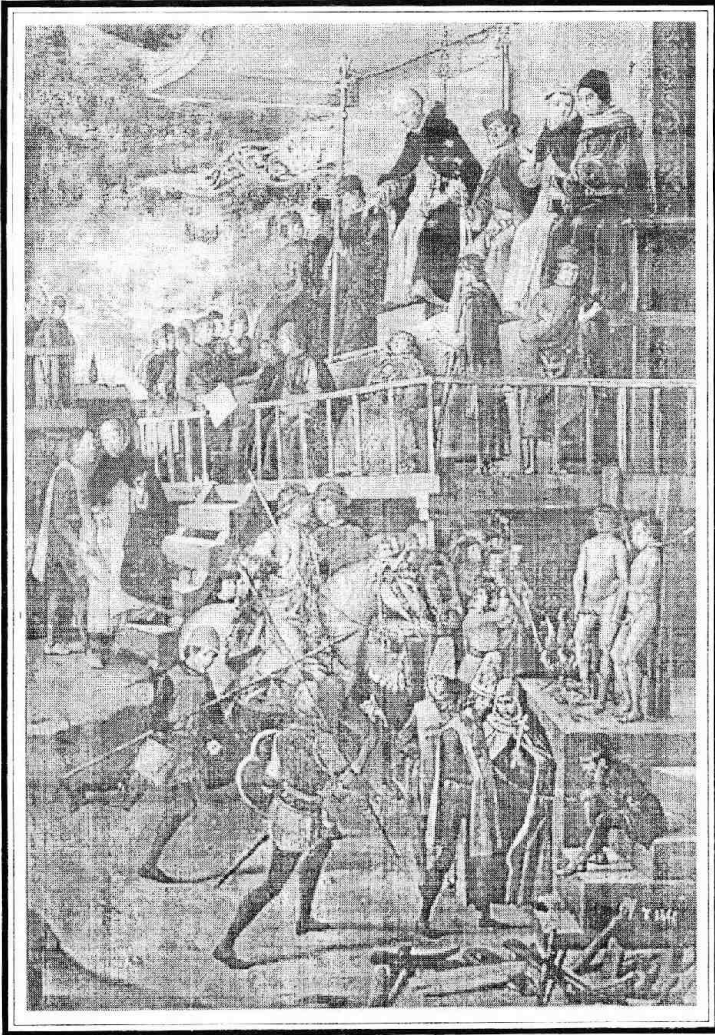




إعلان عن سرعة السيارة بيجو ٢٠٦ ظهر فى إحدى المجلات البولندية..
وكان السرعة قد أدت إلى اقتلاع الرب يسوع المسيح الذى يحاول التمسك
بصليبه! وياله من استخفاف...



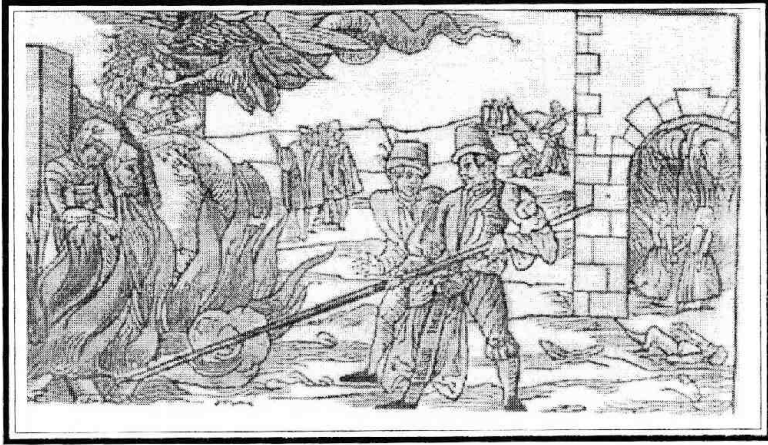
« التعذيب بالحبل » تفصيل من لوحة « المحكمة » للفنان الإيطالي
الساندرو مانيا سكو توضح كيف كان رجال محاكم التفتيش يعلقون
الذين يعذبونهم ويحققون معهم بعد أن اباح البابا التعذيب للحصول
على الاعترافات...



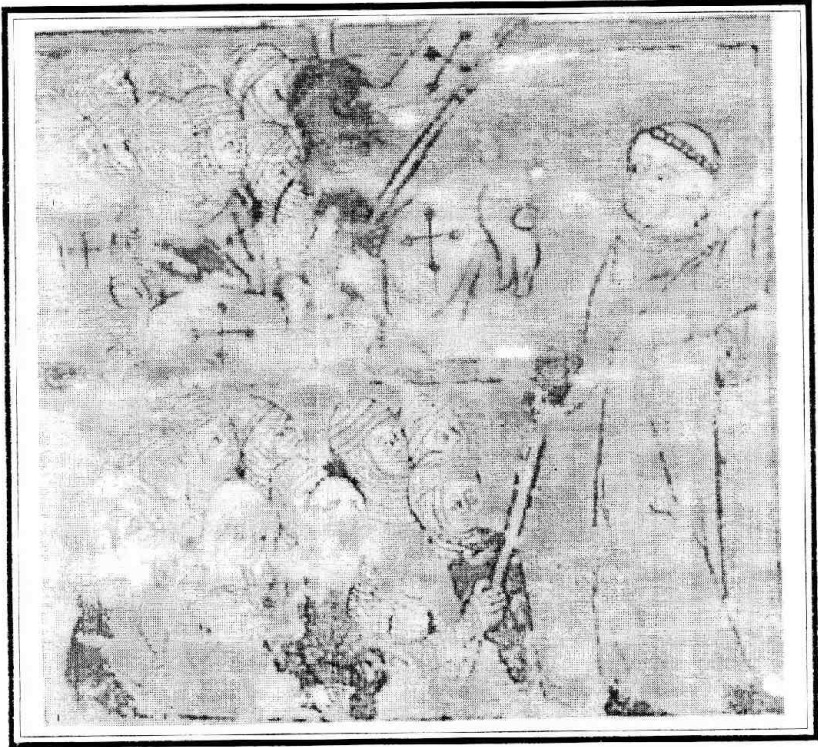
لوحة لإحدى محاكم التفتيش ويرى في القسم العلوى الاساقفة المحققون وفي الجزء السفلى الثمان من الضحايا وحوالهم الجنود بالرماح لوخزهم للحصول للاعترافات



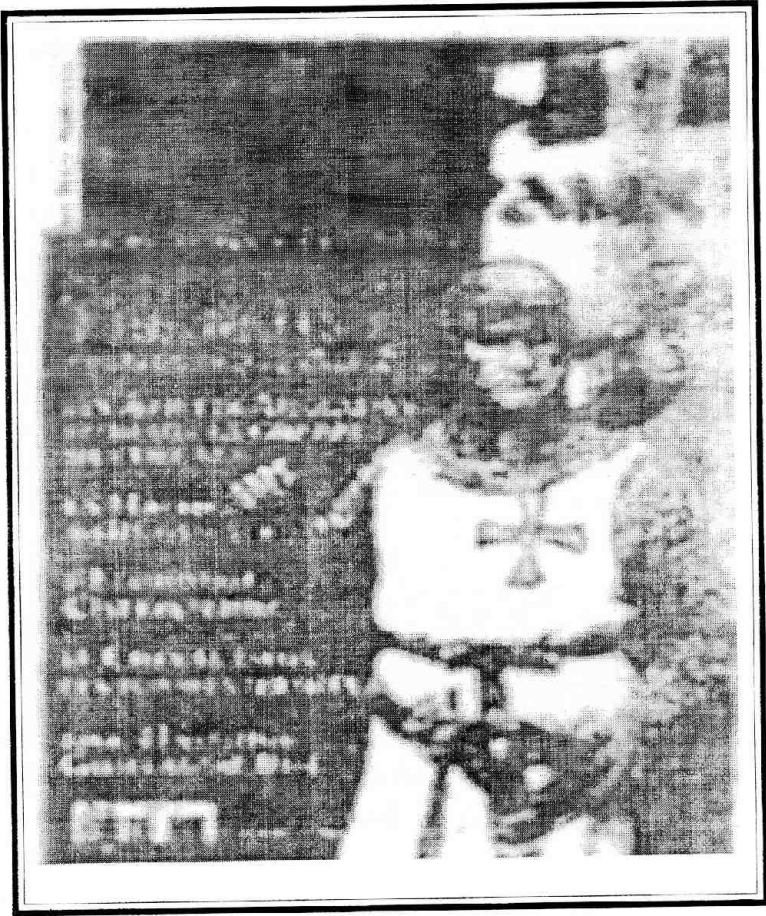
لوحة لإحدى لجان محاكم التفتيش اثناء حرقها لكتب العلماء



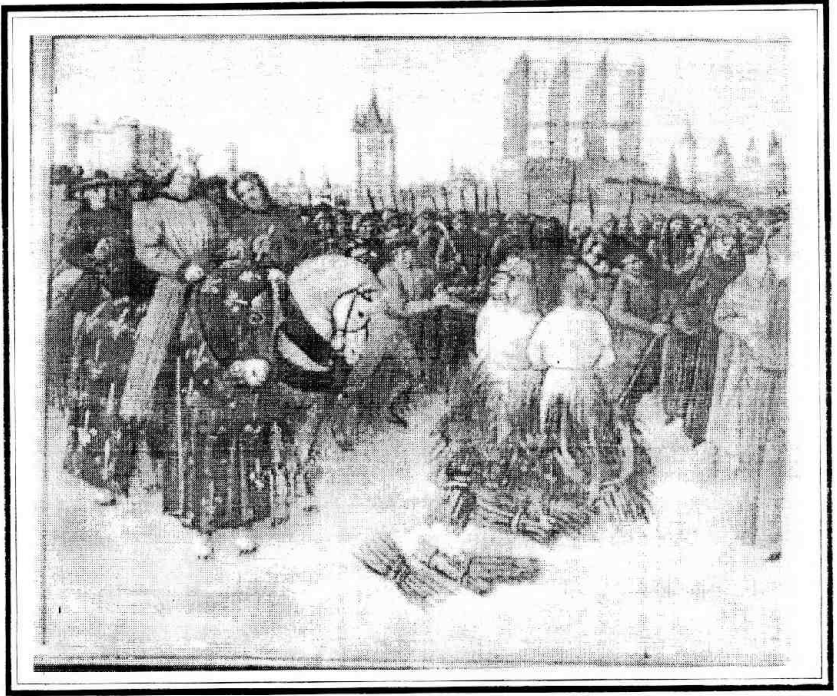
رسم لحرقة يتم فيها حرق ثلاث سيدات أحياء



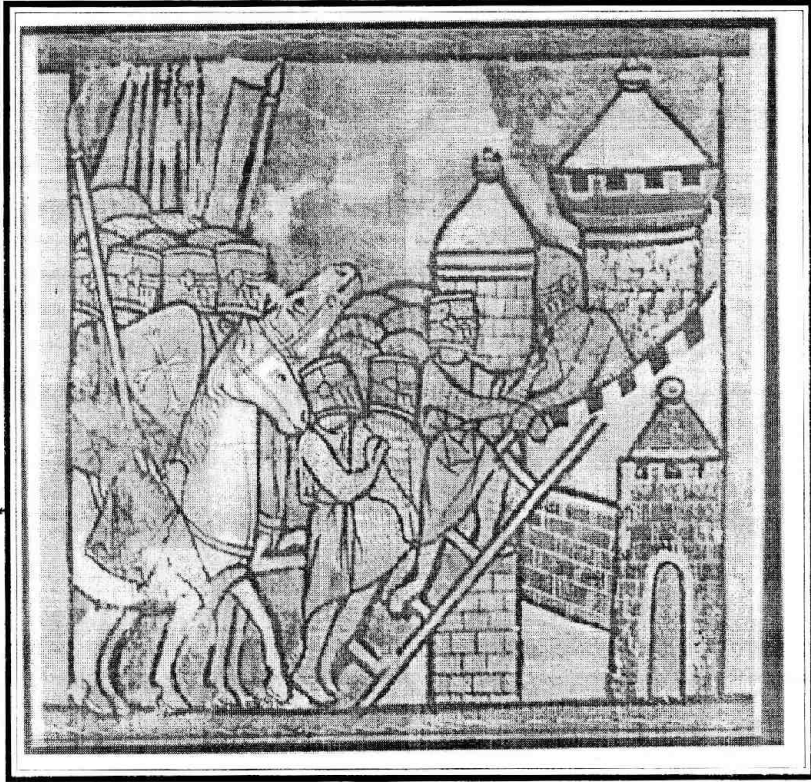
القس بطرس الناسك الفرنسى يقود الصليبيين الى الحرب من كتاب
« اختصار التاريخ » القرن ١٤



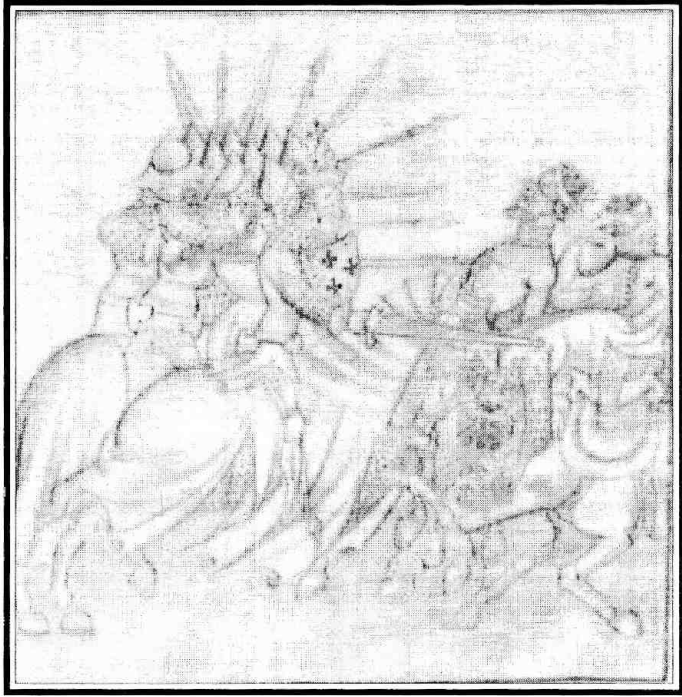
غلاف مجلة «العصور الوسطى» العدد السابع إبريل / مايو ٢٠٠٢



الملك القديس لويس يحضر جلسة حرق بعض الاشخاص الذين
اعتبرتهم المحكمة من الهرطقة، وفي الخلفية آلة اعدام جماعية
يعلقون عليها جثث الذين تم اعدامهم.



لوحة لإحدى المعارك الصليبية والجنود يحاولون الاستيلاء على احد الابنية وتلاحظ الصليب على الدرع الذي يمسكه احد جنود الرب



لوحة لعركة يبدو فيها الصليبيون وهم يصوبون رماحهم ويقتلون المسلمين وقد ظهرت الصليبان على درع الجندي الامامي



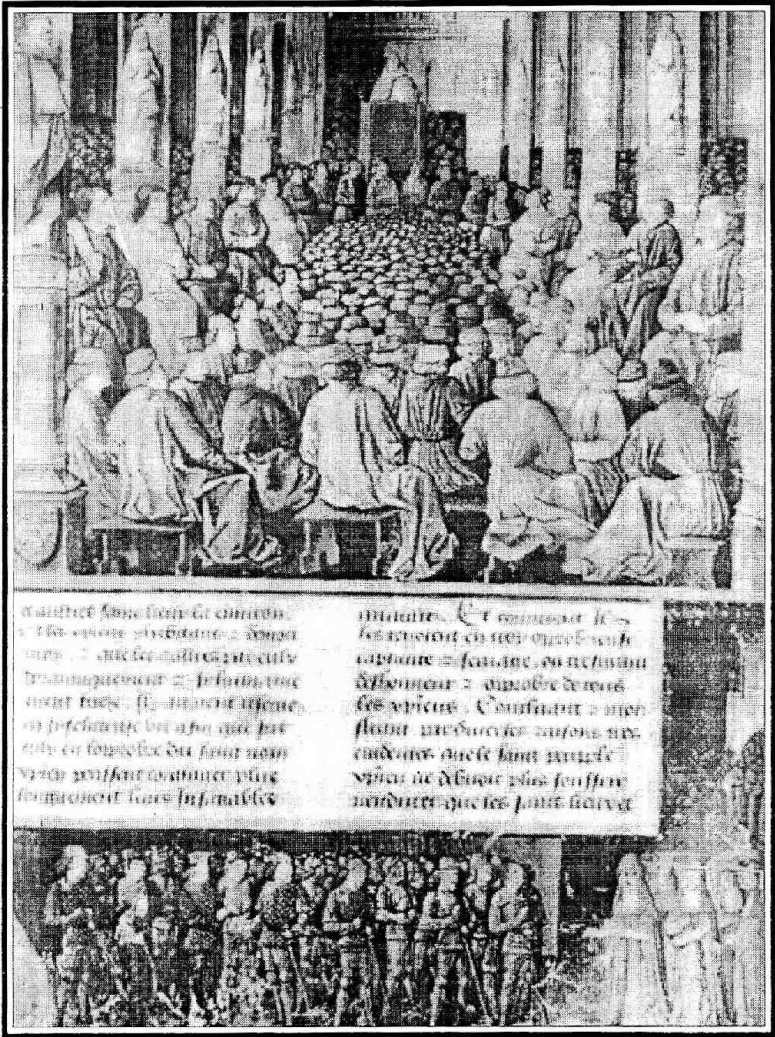
رسم توضيحي لأحد الجنود الصليبيين وتبدو
الصلبان على الراية وعلى ثيابه



رسم بالألوان المائية يمثل أحد قادة الحرب الصليبية الأولى ويبدو فيها الصليب واضحاً على صدره وعلي ظهره الذي يحدثه



جودفرواى بربرن قائد الحملة الصليبية الاولى (رسم
جدارى فى قصر لامانتا بشمال ايطاليا)



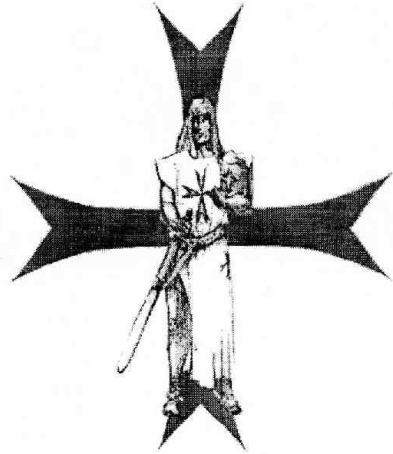
البابا أوربان الثاني وهو يدعو للحرب الصليبية في كلير مون عام ١٠٩٥
 (من كتاب «ممرات عبر البحار» القرن الخامس عشر المكتبة الوطنية
 باريس)

croisades et templiers

d'après le site

<http://www.templiers.org/chrono.html>

<http://www.cathares.org>



أهم المراجع

- ALBERIGO, Giuseppe:** Les Conciles OEcumeniques, 3 vol.
ed. du Cerf, Paris 1994
- BOMBASSEI, Giorgio:** L'Empire Occidental remodele le
Moyen Orient, Paris 2002
- CASANOVA, AnToine:** Vatican II et l'evolution de L'eglise,
ed. sociales, Paris 1969
- CASIOLI, Luigi:** La Fable de Christ, ed. Quatrini Viterbo,
Roma, 2001
- COLONNA-CESARI, Constance:** Le Pape, combien de divi-
sions? ed. Dagorno, 1994
- DELUMEAU, Jean:** Histoire du Christianisme, ed. Uni-
versalis/ Albin Michel, 2000
- ELLUL, Jacques:** La Subversion du Christianisme, ed. La Ta-
ble Ronde, Paris, 2001
- LACOSTE, JeanYves:** Dictionnaire Theologique, ed. P. U. F.
Paris, 1998
- LEBRUN, Francois:** Les Grandes Dates du Christianisme, ed.
Larousse, Paris, 1989

- LEVILLAIN, Philippe:** Dictionnaire Historique de la Papauté, ed. Fayard, Paris, 1994
- MINNERATH, Poland:** Histoire des Conciles, ed. P. U. F. Paris, 1996
- POUPARD, Paul:** Le Concile Vatican II, ed. P. U. F. Paris, 1997
- THOMA, Joseph:** Vatican II, ed. P. U. F. Paris, 1989
- Un Nouvel Age** (Ecumenique (collectif) ed. Le Centurion, Paris, 1966
- Vatican II,** Les Relations de L'Eglise avec les religions non chretiennes, ed. du Cerf, Paris, 1966

الفهرس

٥	إهداء
٧	تمهيد
١٢	مقدمة
٢٧	جذور هذه الحرب الصليبية
٥٥	حرب صليبية بأقوالهم وأفعالهم
٨٥	مجامع، تواريخ، أحداث ومنتاقضات
١٢٥	أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها
١٤٧	خاتمة
١٦١	ملحق الصور
١٧٩	كشف بأهم المراجع
١٨١	الفهرس

د. زينب عبدالعزیز



❖ أستاذ الحضارة ورئيس قسم اللغة الفرنسية في
جامعتی الأزهر (بنین) والمنوفیة سابقا.

❖ أول مصرية مسلمة في التاريخ تترجم معانى
القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية في أول
ترجمة نقية ومنصفة للكتاب العزيز - وقد
صدرت عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في
ليبيا سنة ٢٠٠٢.

❖ ساهمت بالمقالات والأبحاث وفي الجرائد والمجلات المصرية والعربية منذ ١٩٦٥.
❖ ساهمت في مجلة «إيماج» بالفرنسية التي كانت تصدر عن دار الهلال
بالمقالات الفنية والأدبية وبأبحاث عن ألفية القاهرة عامي ١٩٦٧ - ١٩٦٨.

من مؤلفاتها الخاصة بالاسلام:

❖ «محاصرة وابداء.. موقف الغرب من الإسلام» المؤسسة الجامعية - بيروت
١٩٩٣ ودار القدس للنشر والاعلان ٢٠٠١ - دار الكتاب العربي دمشق -
القاهرة ٢٠٠٣.

❖ «ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لچاك بيريک» دار الهدى - القاهرة ١٩٩٤
طبعتان ودار النهار للطبع والنشر ٢٠٠١ - دار الكتاب العربي دمشق -
القاهرة ٢٠٠٣.

❖ «الفايكان والإسلام» دارالقدس ١٩٩٥ و ٢٠٠١ دار الكتاب العربي دمشق -
القاهرة ٢٠٠٣.

- ❖ «مقالات من رنيه جينون - الشيخ عبدالواحد يحيى» دار الأنصار ١٩٩٦ .
- ❖ «حملة المناققين الفرنسيين» دار النهار ١٩٩٨
- ❖ «تيسير متن أبي شجاع» دار النهار ٢٠٠٠ - دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة ٢٠٠٣ .
- ❖ «حائط البراق» دار الحرمين ٢٠٠١ - دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة ٢٠٠٣ .
- ❖ «تصوير العالم» دار الوفاء ١٩٩٥ المنصورة - دار الكتاب العربي دمشق - القاهرة ٢٠٠٣ .

من مؤلفاتها فى الحضارة وتاريخ الفن:

- ❖ «يوميات فنان» دار المعارف ١٩٧١
- ❖ «فولتير رومانسيا» (بالفرنسية) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .
- ❖ «لعبة الفن الحديث» (بالفرنسية) إبيس ١٩٨٤ .
- ❖ «لعبة الفن الحديث بين الصهيونية - الماسونية وأمريكا» دار الزهراء ١٩٩٠ والأنجلو ٢٠٠٢ .
- ❖ «النزعة الإنسانية عند فان جوخ» الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ .

فى مجال الترجمة:

- ❖ «الإسلام وحضارته» (كتاب أندريه ميكيل) المكتبة العصرية - بيروت ١٩٨١ .
- ❖ «الإسلام الراديكالى» (كتاب إتيين برونو) دار الزيبلى - مالطة .
- ❖ «التعسف فى استخدام الحق» (رسالة دكتوراه فى القانون الاسلامى بالفرنسية لمحمود فتحى) - المؤسسة الجامعية - بيروت .
- ❖ «الريح» (رواية كلود سيمون - جائزة نوبل) دار الهلال ١٩٨٦ .
- ❖ «هيجل والمسيحية» (للأب جاسقون فيسار) دار الزنابيلى - مالطة .

هذه السلسلة : تتناول العديد من القضايا التي تدخل
تحت مسمى التعصب الكنسى وحربه الصليبية ضد الإسلام
إلقاء مزيداً من الضوء عليها وكشف القناع عنها ...

صليبية
الغرب
وحضارته

حرب صليبية بكل المقاييس

كثر الحديث فى الأونة الأخيرة حول عبارة
(حرب صليبية)، فى محاولات غير أمينة
لإثبات عدم وقوعها أو عدم ارتباطها بالكنيسة
وبالصليب، ومحاولة الزج بعبارة مائعة المضمون
بدلاً عنها، هى : حرب الفرنجة !
وتتناول (الدكتورة زينب عبد العزيز) هذه
الجزئية بالتحليل الدقيق وبالتفصيل من خلال
الوثائق الكنسية و الغربية لتوضح بما لا يدع
مجالاً للشك فى ان الحروب الصليبية تمثل
جزءاً أساسياً فى الفكر والمنهج الباباوى، حتى
قبل اعلانها بقرون، وان البابا أوربان الثانى هو
الذى أعلن عن قيام اول حملة ضد المسلمين
عام ١٠٩٥، وانه قد أعلنها باسم الرب يسوع
المسيح، وطالب (جنود يسوع). كما أطلق على
المشاركين فيها . حياكة صليب ضخّم من
النسيج على صدر ثيابهم أو رسمه على دروعهم.
ثم تتناول حرب بوش الصليبية، الدائرة حالياً
لاقتلاع الإسلام والمسلمين، والتي تندرج للقيام
بها بمسرحية الحادى عشر من سبتمبر التى
افتعلها لاكتساب شرعية دولية قائمة على
الكذب و الأكاذيب التى بدأت تتكشف .. ومنها
إلى توضيح الجذور الحقيقية لهذه الحرب التى
ترجع الى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى
عام ١٩٦٥، الذى نص من ضمن ما نص على
تبرأة اليهود من دم المسيح، واقتلاع اليسار فى
عقد الثمانينيات، واقتلاع الاسلام فى عقد
التسعينات حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم
تنصير العالم بأسره!

الناشر



W.Salama 010 15 17 873